العلامة الأميني

دروس

من الثقافة الإسلامية

تعريب

الأستاذ جعفر الهادي

الجزء الأول

دروس من الثقافة الإسلامية

العلامة ابراهيم الأميني

١

مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
قم ـ ص ـ ب ٨٧ ـ تلفن ٢١٢٤٤
الجمهورية الاسلامية الايرانية
١٣٠ تومان

العلامة ابراهيم الأميني

دروس
من الثّقافة الإسلاميّة

تعريب: الاستاذ جعفر الهادي

الجُـزْء الأوّلُ

مؤسسة انصاريان ـ شارع الشهداء ـ قم المقدسة ـ ايران

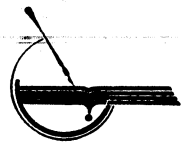

مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
شارع شهدا - قم . ايران

الكتاب:	دروس من الثقافة الاسلامية
المؤلف:	العلامة ابراهيم الأميني
تعريب:	الاستاذ جعفر الهادي
الطبعة:	الاولى ـ رجب /١٤١١
المطبعة:	الصدر ـ قم المقدسة
الكمية:	٣٠٠٠
الناشر:	مؤسسة انصاريان ـ قم المقدسة ـ
	شارع شهداء ص ـ ب ـ ١٨٧ ـ تلفن (٢١٧٤٤)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اَلحمدُ للهِ الذي عَلّم بالقَلم، عَلَّم الانسان ما لم يَعلم، والصَّلاة والسلام على محمّد خاتم الانبياء وسيّد وُلد آدم الّذي بُعِثَ بشيراً ونذيراً للناس كافّة، وآله وعترته المنتجَبين، الذين أذهبَ اللهُ عنهم الرجسَ وطهّرَهم تطهيراً.

خلال أسفاري ورحلاتي العديدة إلىٰ عدّة دول، دَرستُ أوضاع المسلمين الثقافية، واحتياجاتهم الدينية، كما أنني زرتُ مدارس العلوم الإسلاميّة، وراجعت كتبها الدراسيّة التي يقرأوها طلاب العلوم الاسلاميّة، فتوصّلتُ إلى النتيجة التالية وهي: أنّ البرامج الدراسيّة لا تتناسب واحتياجات المسلمين الدينية في تلك البلاد، ولا تستطيع أن تقدّم إجابات كاملة على تلك الاحتياجات الثقافية والدينيّة، ولا تُلَبّيها بشكلٍ مناسبٍ.

إنّ أهمَّ مشكلة، وأبرزَ نقيصة في هذه البرامج هو: عدم وجود الكتب التي تتناسب واحتياجات المسلمين الواقعيّة، وتكون ملائمةً لطريقة تفكيرهم، وطبيعة ثقافتهم، هذا مضافاً إلى كونها مُعدَّة للتدريس، ومرعيّاً فيها حالُ طلبة العلوم الإسلاميّة.

ومن الكتب التي لمستُ ضرورةَ وجودها وفراغ مكانها كتابٌ مختَصر وموجَز في الثقافة الاسلاميّة.. كتابٌ يستعرضُ الاسلامَ في أبعاده: العباديّة والسيَاسيّة والاجتماعية وَالأخلاقيّة بشكلٍ موجَز ومُقتَضَب ويكون إلى جانب ذَلك مؤلَّفاً في صوره

كتاب دراسيّ قابل لفهم الشباب، وللأخذ والحفظ، ولتبليغهما في التالي إلى الناس.

وبعدَ العودة من السَفَر هَيّأتُ الكتبَ التي احتملتُ أنّها تحقّق هذه الغاية وراجعتُها بدقّة، بَيدَ أنني ـ وللأسف ـ لم أجدْ بينَها ذلك الكتاب الذي تتوفّر فيه جميع الشروط والمواصفات المنشودة.

وفي ضوءِ الحاجة الشديدةِ التي أحسستُ بها إلى تدوين مثل هذا الكتاب، أحسستُ بثقل الواجب على عاتقي، فعزمتُ ـ رغم مشاغلي الكثيرَة ـ على أن أنهض بهذه المهمّة، وأسعىٰ بمقدار جهدي وإمكانياتي إلى إعداد وتأليف مثل هذا الكتاب الذي يسدّ الحاجة، ويلبّي الضرورة، فتركتُ أعمالي ومشاريعي العلمية جانباً وهي ناقصة، وبدأت، مستعيناً بالله، بتنفيذ هذه المهمّة.

إنّ مواضيع هذا الكتاب ومحتوياته ستدور بصورة عامّة حول عدة محاور هي: التوحيد ومعرفة الله، المعاد، النبوة العامّة والخاصّة، الإمامة، مسائل العبادة الكليّة، المسائل السياسيّة، المسائل الاجتماعيّة، المسائل الأخلاقيّة في الاسلام.

واني لأشكرُ الله تعالىٰ على أن وفّقني لإنجاز القسمين والمحوَرين الأوّلين وهما: «معرفة الله» و«المعاد».

وها أنا أُقدّمُ الجزءَ الأوّل من هذه السلسلة وثقتي باللطف الآلهي كبيرة بأن يوفقني في المستقبل القريب لتكميل الشوط، والقيام بالخطوات التالية.

التعريف بالكتاب

وهنا لا بدَّ من التعريف بالكتاب بصورة إجماليّة والتذكير بالمنهَجِ المتبَّعِ فيه:

١ ـ الكتاب الحاضر، وسائر الموضوعات التي ستلحقه فيما بعد، ما هي إلاّ خلاصَة موجَزة عن الدين الاسلامي في أبعاده المختلفة العبادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاخلاقية.

٢ ـ جميع المواضيع في هذا الكتاب قُرنَت بالبراهين والأدلّة، وقد أعرضنا عن ذِكر المواضيع الضعيفة التي لا تَستند إلى دليل.

٣ ـ استَعَنّا ـ لدىٰ البَرهَنة والاستدلال ـ بالادلّة العقليّة،وآيات القرآن، وأحاديث النبي والأئمة المعصومين من أهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

٤ ـ في فصل «معرفة الله» إتّبعنا ـ في الاغلب ـ طريقة القرآن، يعني التذكير بعجائب الكون، ولفت الأنظار إلى الاسرار المودعة في خلقة الانسان والطبيعة، وتركنا الاستدلال بالبراهين التي يعسر فهمها وأستيعابها على اكثر الناس.

٥ ـ عند اختيار المواضيع في هذا الكتاب راعَينا احتياجات المسلمين الثقافية، والدينيّة، كما راعينا الأوضاع والظروف السائدة على بلادهم، وكذا المستوى العلميّ فيها.

٦ ـ مواضيع هذا الكتاب أُلِّفَت لغرض تدريسها لطلبة العلوم الدينيّة، ومَن في مستواهم من عامة الطلبة، ولهذا نُظّمت في صورة دروس منفصلة، ولكنها مفيدة مع ذلك لعامّة الناس.

٧ ـ في ختام كلّ درس من هذه الدروس طرحت أسئلة لتكون مفيده في مجال فهم المادة وضبطها، كما تكون نافعة أيضاً للاستعانة بها في الامتحانات.

٨ ـ مواضيع الكتاب أُلِّفت ونُظِمت في مستوىٰ متوسِّط ولطلبة العلوم الدينية وَمن يشبههم في المستوى من عامة الطلبة الذين اجتازوا قبل ذلك مرحلةً قصيرةً من العلوم الاسلاميّة، او تكون لهم معرفة إجمالية بها، ولكنها مع ذلك قابلة لاستفادة عامة الناس أيضاً.

وفي الخاتمة نرىٰ من اللازم أن نقدِّر مساعي فضيلة الشيخ جعفر الهادي ونشكره على ما بذله من جهد كبير في تعريب هذا الكتاب وإعدادقسمٍ من الهوامش النافعة الضروريّة.

إبراهِيم الأميني ـ قم ـ ايران

بتاريخ ١٥ شعبان المعظم ١٤١١ المطابق لـ ١١ إسفند ١٣٦٩

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الأول

ثمار الإيمان في الحياة (١)

الإيمانُ بالخالقِ العظيم لهذا الكون، وبالنبوة وصدق الانبياء والرسل الالٰهيين، وبالمعاد والحياة الآخرة ، يمنح حياة المؤمنين جمالاً وصفاءً، وسكينةً وطمأنينةً خاصّة.

وفي هذا الدرس نشير إلى بعض ثمرات الايمان وندرس حياة المؤمنين في ظلّها، مع مقارنتها بحياة الكافرين ، المظلِمة القذِرَة.

١ ـ الأمل

إن قلب المؤمن* مفعَمٌ ومليءٌ ـ في ظل ايمانه بالله ووعوده الصادقة ـ بالأَمَل والنشاط، ويكون دائمًا، وفي جميع الأحوال، راجياً لألطافه العميمة، ورحمته الواسعة.

إنّ المؤمن يعتقد بأنّ الله تعالى قادرٌ رحيم، ولذا فهو يلجأ إليه عند الصِّعاب

---

* نريد بـ «المؤمن»: الانسان الذي يكون مؤمناً بالله تعالى في كلا المجالين: النظريّ والعمليّ، أي كما ينطوي على اعتقاد قلبي بالله سبحانه فانه في عمله وسلوكه يكون مظهراً صادقاً لذلك الاعتقاد، فيكون بالتالي مؤمناً اعتقاداً وسلوكاً.

والمشكلات، رافعاً إليه يد الحاجة، ومداداً إليه كفَّ الاستعانة، آملاً في عونه، وإمداداته الغيبيّة.

إن المؤمن يسعى عن طريق العمل إلى حلّ مشكلاته، وهو على ثقة بأن الله وليّ المؤمنين، ومعينهم.

إنّ اليأس والقنوط ـ الذي هو من أسوأ ما يُلمُّ بالحياة ـ ليس له مكانٌ في قلب المؤمن، فلماذا ييأس؟ أليس هو مؤمن بالله القادرِ الرحيم، المالكِ لعالَم الوجودِ كلِّه؟ بل ولماذا يقنط؟ وهو مؤمنٌ بآلهٍ هو مصدر كل قدرة، ومنبعُ كلّ كمالٍ وخير.. بلى فهو يعتقد بأن هذا الاله الشفوق الرحيم هو وليّ الذين يجاهدون، ويعملون في سبيل الحق والفضيلة، والعدالة والخير، وهو لذلك على يقين كاملٍ بالنجاح والظفر.

إن المؤمن الذي عرف ربّه، وشاهد مظاهر رحمته ولطفه وآمَنَ بهما لا يجدُ اليأسُ والقنوط إلى قلبه سبيلاً أبداً.

أمّا الكافر فكيف؟

ان الكافر لا يؤمن بالله تعالى ليلجأ إليه في المشاكل والصّعاب.. وانه بعد أن يخفق في تحقيق نتيجة لسعيه، وتوسّله بالاسباب الطبيعيّة، يرى نفسَه عاجزةً وحيدة، وتتمثل له وهي حائرة، لا ملجأَ لها ولا ملاذَ تجاه مشاكل الحياة ومصاعبها، ويسيطر عليه الإضطراب، ويتملّكه القلقُ، ويسقط في هُوَّة اليأس الرهيبة، ويصبح اليأسُ كأرضة تنخر روحَه، وتتركه في عذابٍ دائِم، وعناءٍ أليم.

٢ ـ الإطمئنان إلى مصير الحياة

إنّ الانسانَ المؤمن ـ بفضل إيمانه بالحياة الأُخرى ـ لا يخاف الموت، فهو مطمئِنٌ إلى نهاية الحياة، غير قلِقٍ على مصيرها ومآلها، لأنه يعلم بأنَّ الانسان لا يفنى بالموت، بل ينتقل من هذا العالم إلى عالم الآخرة، الخالدِ الجميل.

إنّ المؤمن يعتبر الحياة مزرعةً للآخرة، والحياة الدنيوية محلًّا للسعي والعَمل،

وفرصةً للعبادة والطاعة، ومكاناً لتربية الفضائل، وتنمية الكمالات، والسير حثيثا نحو مرضاة الله تعالى، وهو على ثقةٍ كاملةٍ بأنّه لا يخلو أيُّ عمل مهما صَغُر من نتيجةٍ، وانه سيلقى ثوابَ اعماله جميعها في العالَم الآخرَ.

إنَّ المؤمنَ لايرهب الموت فحسب، بل يعتبرُ الموتَ في سبيل الله، وفي ميادين الجهاد، موهبةً كبرى، فهو يستقبلُ هذه الموهبة بصدرٍ رحب، وشوقٍ كبيرٍ، ليقدر على مواصلة حياتِه الأُخرويّة الخالدةِ، الجميلةِ، في جوار الرحمةِ الآلهيةِ، مع الابرار والصالحين.

إنّ المؤمنَ لا يرى الحياةَ في هذا العالم أمراً عَبَثاً، لا طائل منه ولا ينطوي على غاية وهدف، بل ينظر إليها على أنها فرصةٌ ثمينةٌ لبناءِ الذات، وتزكية النفس، واكتساب القابليّة والصَّلاحيّة لنيلِ السَّعادة الأُخْرويّة، ولهذا السبب يسعى المؤمنُ ـ بمنتهى النشاط والثقة ـ في تزكية نفسه وتربيتها، بمزاولة الأعمالِ الصالحةِ، وممارسةِ العبادات، والاجتهادِ في خدمة الناس.

إنّ الانسان المؤمنَ لا يعتبر البرّ، والصدق وأداء الامانة، والاحسان إلى عباد الله، وغيرها من الأعمال الصالحة، تذهب هباءً، بل هو على يقين بأنَّ أيّ واحد من هذه الأعمال لا يضيع، ولا يبقى من دون أجر وثواب، وأنه سيرى نتيجتَها جميعاً في عالم الآخرة.

أمّا الكافر فكيف؟

هل ان الكافر مطمئنٌّ على مصير الحياة أيضاً أم لا؟ والجواب على ذلك هو انّ الكافر ـ لعدم ايمانه بعالم الآخرة، والمعاد ـ يرى نهاية الحياة هلاكاً وفناءً، ويظنّ أنّ الحياة عبثٌ ولغوٌ، ولعبةٌ باطلةٌ.

إنّ الحياةَ ـ حسب تصوّر الكافر وظنّه ـ تبدأ من هُوّة العدم، وتنمو تدريجياً، وترقى أكثر فأكثر، تُخَلِّفُ وراءَها الطفولةَ، ويبلغ الانسانُ ذروةَ نشاطِهِ وقوته عند الشباب.. ولكنّه وللأسف سرعان ما تبدأ رحلةُ الهبوط، فينزلُ من قمة النشاط والقوّة،

وتتوارد عليه حالاتُ الضَعف والعجز، والمرض والشيخوخة، الواحدةُ بعد الأُخرى.. والانسانُ بعد تحمّل كلّ تلك الآلام والأمراض، والعذاب والعناء، يسقط في المآل، وبـأقدام مرتعشة في هُوّة العَدَم ذاتِها، ويختفي جثمانه الميّت تحت اكوام من التراب والحجر.. ما أوحشـه من مصير؟! وما أوجعها من نهاية؟! وأيّة حياة عابثة هذه؟! ترى هل هناك شيءٌ أوحش من العدم والفناء؟!

إنّ الكافر يرى ـ عند بلوغه فترة الشيخوخة ـ أنّ جميع أعماله التي عَملها في حياته كلُّها أعمالٌ لا غيةٌ وغير مفيدةٍ، وأنَ عليه أن يدعَ كلّ ما شيّده أو ادّخرهُ بطويلِ سعيهِ، ويموت ويفنى. فهل مِثْلُ هذه الحياة يمكن أن تكونَ باعثة على الطمأنينة؟

كيف يستطيع الكافرُ أن يمارسَ عَمَلاً صالحاً بمعناه الحقيقي؟ تُرى لمن يعمل! ولماذا يعمل؟ إنه لا يؤمن بالثواب والعقاب الأخرَويين، فعلى أيّ أمَل يُحسِن للآخرين، وأيّ تبريرٍ صحيحٍ يمكن أن يعطيه للتضحيةِ والايثار شخصٌ كهذا؟

لهذه الاسباب يعاني الكافرُ خوفاً واضطراباً دائمَين من الموت، ويرفض أن يفكّر فيه بشكلٍ صحيح، ولا لحظةً واحدةً، لأنّ مجرّد التصوّر ـ الذي لا يعنى في ظنّه إلّا الفناء والعدم ـ يكون أشـدَّ عليه وأوجع من مئات الجَلدات والضربات بالسياط والأعواد.

٣ ـ المعرفة بالواجب

إنّ الانسان يواجه ـ باستمرار ـ قضايا متنوّعة (فرديّة، اجتماعية، سياسيّة...) تفرض عليه أن يَتّخِذَ فيها موقفاً مناسِباً، ويقوم تجاهها بردّة فعل مناسبة.

فاذا كان مؤمناً بدينٍ، استَلْهَمَ واجبَه من ذلك الدين... إنَّ وظيفته ـ في هذه الحالة ـ واضحة، فلا تردد، ولا حيرة لديه.

أمّا إذا لم يكن مؤمناً برسالةٍ ودينٍ، تردَّدَ في تحديد واجبه، وتعيين وظيفته، وبقي متحيّراً ضائعاً.

إنّ الانسان المؤمن يتحلى بحالة خاصة من التسليمِ والتعبُّد، فهو يأخذُ طريقَه

وهدفَه ومواقفَه من الله والانبياء ويتّبع برنامجاً خاصاً، وينتهج منهجاً معلوماً ومعيناً، ويستمدّ واجبه تجاه كلِّ حادثةٍ جديدةٍ من دين الله المنهاج الآلهيّ ـ ويقوم بوظيفته بطمأنينة وأمل، وعن رغبة واندفاع.

وحيث أنه يؤمن بطريقه، وهدفه المختار، إيماناً كاملاً، فانه يضحّي في سبيل تأدية واجبه، ويجتهد في ذلك بمنتهى الرغبة والاندفاع.

إنّ الانسان المؤمن يرى أنّ نفسه والعالَم كلّه مملوك لله تعالى، ويعتقد بأنّ الله سبحانه ـ لعنايته بالانسان وارادته لكماله ـ جَعَل برنامج سعادته (الدين) بواسطة الانبياء في متناول يـده.

إنّ الانسان المؤمن، يَعتقِد بأن إتّباع أحكام الدين وقوانينه يُحقّق له السعادةَ الحقيقيةَ. إنـه يعتـبر نفسَـه مختـاراً ومسؤولاً عن مستقبَله، ويعمل بواجبه في غاية الطمأنينة، ومن دون تحيّر، وببصيرةٍ كاملةٍ.

اما الكافر فكيف ؟

إنّ الكافرَ،لأجل انّه لم يرضخ للحق،ولأنّه لا يؤمن بدينٍ، فهو حائر متردّد،لايعلم أيّ منهج يختار، وأيّ طريق يسلك؟ إنه أسيرُ ميوله ورغباته، وسجينُ أهوائه النفسية، ينجرّ تارةً إلى هذا الجانب، وتارةً إلى ذاك الجانب، يختارُ ما يختارُ، ويعملُ ما يَعمَلُ وهو غير متيقّن هل هذا في مصلحتِه أو أنه يلحق الضرَرَ به.

إنّ الكافرَ لا يمكنه أن يختار هدفاً واضحاً يَضمِن له سعادته الواقعيّة، ويسير نحـوه. إنّـه غير متقيّدٍ بطريقٍ وهَـدَفٍ معتَمِدٍ عليه لكيْ يتخلّص مِنَ الاضطراب الفِكريّ، ولهذا السَّبب نجده يميل كلَّ يوم إلى جهة، ويقع في مصيدة.

وحيث أنه لا يستمد وظيفته من الأنبياء فانه يحدّد له الآخرون منهجَ حياته، ويُعيّنون له واجباته، وحيث أنه لم يُسلّم نفسَه لله ولدينه، تخدعه المباديء الباطلة وحيث انه لم يقبل بقيادة الانبياء، ولم يعتنِ بهدايات أولياء الله، يقع فريسةً في مصائد المحتالين والكذّابين.

اجيبوا على هذه الاسئلة

١ ـ لماذا يكون المؤمن نشِطاً مفعمًا بالأمل دائمًا؟ ولماذا يكون الكافر مضطرباً؟

٢ ـ لماذا يكون المؤمن مطمئناً على مصير الحياة؟ ولماذا يكون الكافر قلقاً؟

٣ ـ لماذا لا يتردد المؤمن في معرفة واجباته؟ ولماذا يكون الكافر متحيراً سادراً في ضلاله؟

٤ ـ كيف تكون حال المؤمن عند الموت؟ وكيف تكون حال الكافر عند الموت؟

* * *

الدرس الثـــاني

ثمار الإيمان في الحياة (٢)

تسْتَقِرُّ بذرة الايمان في قلب المؤمن وتتجذّر أوّلاً، ثم تُسقى بالأعمال الصالحة، فتكبُر، وتكبُر حتى تُلقي بظلالها ـ كشجرةٍ عاليةٍ كثيرةِ الاغصان والأوراق ـ على ما حولها، وتعطي الثمارَ الحلوةَ الشهيّة.

ولقد استعرضنا في الدرس السابق بعض ثمار هذه الشجرة العالية المباركة، ووصفناها، وفي هذا الدرس نشير إلى طائفة أُخرى من تلك الثمار، ونعني بها ثمار الايمان.

١ ـ طمأنينة الروح

إنّ الانسان المؤمن قد عرف ربّه، وآمن بعلمه وقدرته، ولطفه ورحمته، إيماناً كاملاً.. انه يعتبر ان مالكَ الكون بأسره إلَهٌ رحيمٌ كريمٌ، ويعتبر قدرتَه نافذةً في كل شيء.. انه يعتبر الله حاضراً وناظراً في كل مكانٍ ومحيطاً بكل شيء.

إنّ المؤمن يعتقد بأن الله تعالى يريد الخيرَ لعباده وصلاحَهم. إنّه رحمٰنٌ رحيم. لا يضِنُّ بفيضه ولطفِه عليهم أبداً. ولهذا فهو يتمتع بطمأنينة قلبية، لا يعاني من أيّ قلق أو إضطراب. إن قلبه مسرور بذكر الله، ومأنوسٌ به دائمًا.

إنّ الانسان المؤمن سلّم دفة سفينةَ حياته ووجوده بيد الله تعالى،وهو واثق بأنّها ستعـبر كلَ الامواج الرهيبة، وتجتاز جميع العقبات والازمات الصعبة، بسلام وأمان وترسو عند ساحل السعادة المطلوبة بفضل هداية الله وقيادته.

إن الانسان المؤمنَ قد عرف الهدف المنشود من الحياة كما عرف جيداً طريق الـوصول اليه، ووثق بانه إذا سلَك ذلك الطريق نال السعادة الأبديّة، ووصل إلى المقصد النهائي المطلوب.. ولهذا فانه يتمتع بسكينة قلبية عميقة على الدوام، ولماذا لا

يكون مطمئناً، ولا يتمتع بالسكينة؟! إنّ له ربّاً هذه صفاته..وإن له رباً هو منشأ جميع الخيرات والبركات.. فلماذا يكون مضطرباً قلِقاً مع أنه متيقنٌ بأنه يحظى بمعونة ربّه وامداداته الغيبيّة، وأنه لن يبقى وحيداً من غير ناصر أبداً؟

اما الكافر فكيف ؟

إنّ الكون وحوادثه في رؤية الكافر وفي نظره بمنزلة بَحْرٍ متلاطم هائج، تتدافع فيه أمواجُ البلايا والمحن، ولَجُجُ الشقاء والمصائب، فلا مِن سفينة تنجّي، ولا مِن منقذٍ خبيرٍ مهتمٍ بمصير الانسان مُتحرّقٍ على حياته وشأنه.

إن حوادثَ العالم في نظر الكافر أُمورٌ منفصلة، وسلسلة متبعثرة الحلقات، لا يرتبط بعضها ببعض، وكل ما في الكون عبث ومن دون هدف وغاية.

إنّ الكافر يرى نفسَه في هذا الخضم، الهائج، وهذا البحر المتلاطم، عاجزاً لا كهف له فيؤويه، ولا ملاذ له فيحميه، تندفع عليه الأمواجُ من كل جانب.. وتهاجمه الاخطار من كل صوب.. انه كسابح متعَب لا يعرف مُخلِّصاً ينتشله، ولا منقِذاً ودوداً قادراً على انقاذه.. يرتعد من كل موجةٍ تهيج، ويحسب كلَ صوت عَدوّاً يتهدّدُ كيانه وحياتـه، لا يقدر شيء على إعطائه الاملَ والسكينة، وكيف يطمئِن ويتمتع بالسكينة والاستقرار وقد تراكمت على قلبه أكداسُ الهموم والاحزان، والإخفاقات والهزائم، والعـداوات والضغـائن، والمخـاوف من الامـراض، والهـواجس من العوز والفقر، واللامبالات والقسـوة، والخوف من الشيخوخة والموت.

كيف يمكن ان يكون مطمئن الفؤاد، مرتاح البال والخاطر وهو لا يجد ملجأً قويّاً يلجأ اليه، ومخلِّصاً يهمُّه مصيرُه وشأنُه ليطمئنّ اليه، ويسكن خوفه بجواره، فيقضي على قلقه، ويزيل اضطراب فؤاده، ووحشة نفسه.

إنّ الكافر ـ لانه لا يمتلك عقيدة حقّة قويّة ـ لا يمتلك لحياته هدفاً ثابتاً، وغاية صحيحة ليسعى في سبيل تحقيقها والوصول اليها سعياً متواصلاً ومستمراً، إنه يظنُ أنّ وجودَه، وكلَّ حوادث العالَم عبث، ومن دون هَدَف، فكيف يمكن ان يختار

هدفاً ثابتاً قيّمًا.

إنّ الذي يحسب أن له مصيراً مقروناً بالهلاك المحض كيف يمكن أن يطمئنّ له قلبٌ ويهدأ له بالٌ؟

إن الكافر ـ لانه لا يؤمن بعالَم الآخرة ـ يرى مستقبلَه مظلمًا حالكاً، ولهذا يعيش حالة إضطراب دائم، بل ويرتعد كلّما تصوّر ذلك المستقبل الرهيب.

٢ ـ الصَّبر والاستقامة

يواجه الانسانُ طيلة حياته الكثير من المشاكل والمحن والمشاق والصعوباتٍ، والحـرمان والاخفاق والعجز والمرض، وغير ذلك مما لكيفية التعامل معها أثرٌ كبيرٌ وخاصٌ في حياة الانسان.

إن بعض هذه الحوادث يمكن توقيّها،وبعضها لا يمكن. كما أنّ بعض هذه الحوادث التي تحدث يمكن علاجُه، وبعضها لا يمكن علاجُه والمؤمن والكافر ليسا سواءً في جميع هذه المراحل، وفي التعامل معها.

إنّ الانسـانَ المؤمنَ ـ مستعينـاً بقـوة الايمان وفي ضوء ارشـادات الانبياء وتوجيهاتهم ـ يمكنه أن يمنَع من وقوع الحوادث المرّة، والقابلة للتوقّي أفضلَ من الآخرين، وأن يقلّل من عدد الحـوادث. كما أن الانسان المؤمن يعمل بشكلٍ أفضل لحلّ وعلاج المشاكل والحوادث التي وقعت، وتكون قابلة للعلاج، وذلك بمعونة القدرة الالَهيّة الازليّة، وبفضل الأمل في التأييدات الغيبية، وبالصبر والاستقامة، ولذا وفهو بهذه الطريقة يتغلب على المشاكل والمحن. بنحوٍ افضل.

إنّ الانسان المؤمن ـ لانه يمتلك هدفاً واضحاً، ودافعاً آلهيّاً، بل ويمكنه أن يسعى دائمًا وفي جميع الاحوال للقيام بوظائفه وواجباته ـ يستطيع بنحو أحسن أن يحتفظ بطمأنينته الروحية تجاه المشكلات، وان يسعى لمعالجتها بالصبر والتدبير، وان يقاومها كالجبل الراسخ.

إنّ هناك حوادث مثل الشيخوخة، والامراض المستعصية، وحوادث السير،

والحوادث غير القابلة للتكهن، وموت الاقارب المفاجيء وغيرها، يمكن القول وبدون شك ان الايمان الـديني يستـطيع أن يجعل الانسانَ مقاوماً تجاه مثل هذه الحوادث والصعاب. بل وانّ مقاومة الانسان المؤمن وطمأنينته تجاه أمثال هذه الحوادث المرّة، شديدةٌ جدّاً، حتى لَكأنّه يواجه حوادثَ، حُلوةً لا مُرّةً، لذيذةً لا أليمةً.

إنّ المؤمن يعلم بأن حوادث الكون والحياة ليست أُموراً إتفاقية عَفْوية، لا هَدفَ لها ولا غاية، بل ان الانسان لو سعى في اداء واجباته، لاستطاع أن يستفيد من جميع الحوادث الحلوة والمرّة، لتكميل نفسه، وتنمية فضائله الأخلاقية، وبلوغ السعادة الحقيقية والأُخرويّة.

إنّ المؤمن في الوقت الذي يسعى ويجتهد في أداء واجباته ووظائفه، يكون عند مواجهتـه الحـوادث مسلّما لله، راضياً بما يريد، صابراً عليه، ويعتقد أنّ هذا الصبر والرضا المقرونَين بالسعي والجدّ، يوجبان تربيةَ نفسه، وتنميةَ فضائله النفسية، بل ولا يتوجه اليه أيُّ ضررٍ واقعيّ منها.

لماذا؟ لأنه يعتقد انه سيتلقّى أجرَ سعيه، وثواب اجتهاده، ونتيجة صبره ورضاه في عالم الآخرة، من جانب ربّه الرحيم الودود.

ولأجل هذا الايمان والاعتقاد، وهذه الرؤية والبصيرة، يستقبل المؤمنُ الصعابَ والمشاكلَ بصدرٍ رحب، ولا يتملكه الجزعُ والفزعُ أبداً، فهو تجاهها أقوى من الجبل، يسعى لحلّها بأمل ونشاط قدرَ المستطاع.

وباختصار: ان الانسان المؤمن يتمتع في ظلّ ايمانه بأربعة أُمور:

١ ـ انه مسيطرٌ على أهوائه ورغباته النفسية، كابحٌ لجماحها، ولهذا فانه يتجنب بصورة جدّية ما يوجب سقوطه وذلته وشقاءه. يعني: انه صبور في مقابل الهوى.

٢ ـ انه لاجل إتكاله على الله ربِ العالمين وامداداته الغيبية، ثابت في سبيل اداء واجباته، ومستقيم في سعيه الدؤوب، يتوقى الحوادث، ويمنع من وقوعها، بحسنِ تدبيره ومثابرته وهمتّه، يعني: أنه صبور في أداء الواجبات.

٣ ـ يواجه المشاكل والصعاب بصبر وثبات كاملَين، مجدٌّ في حلِّها ومعالجتها،

يعني: أنه صبُورٌ عند مواجهة المشكلات.

٤ ـ لا يفقد طمانينته وسكينته القلبيّة في وجه الحوادث، يعني: انه صبور عند المصائب.

اما الكافر فكيف ؟

إن الكافر لايمكنه أن يتمتع بذلك الصبر وتلك المقاومة، لأنه محروم من نعمة الايمان وثمراته.

إنّ الكافر أسيرُ رغباته النفسيّة الرديئة، وسجينُ شهواته واهوائه الرخيصة، فهي تجرّه في كلّ ساعة إلى ناحية، وتميل به في كل لحظة إلى جانب.

إن الكافر ذليلٌ حقيرٌ بين يدي ميوله ورغباته النفسية، ولا يمكنه أن يُعَدِّلها، ويصونها من الانحراف بصدقٍ.

كما إنه ليس للكافر ـ في طريق الكفاح والصراع مع المشكلات والمحن ـ أيُّ رُكْنٍ يَركن إليه، ليستطيع ان يقاوم ويثبت، ولهذا فانه سرعان ما يفقد تماسكه وتوازنه في وجه المشاكل والمِحن، ويبأس من بلوغ الهدف.

بل إن الكافرَ يفقد استقامته وصبره تجاه الحوادث التي لا تقبل الحلّ (مثل الشيخوخة، وبعض الامراض، وقرب الأجل وموت الاحبّة، وافتقاد المال و..و) ويرى ان باب الحيلة مسدودٌ وموصدٌ في وجهه، فيغرق في بحر من الهموم، ويسيطر عليه الجزع والفزع.

ولهذا يقلق الكافر من وقوع مثل هذه الحوادث ويضيق بها ذرعاً، فليس للكافر من هدف سوى التمتع الحيواني والتلذذ المادّي، مثل الاكل، والشرب، والنوم، واللبس، فكيف يستطيع أن يقاوم، ويصبر على الحوادث والمحن التي تهدم حياته هذه، او تعكّر صفوها، وتهدّد استقرارها.

اجيبوا على هذه الاسئلة

١ ـ ما هو سبب الاطمئنان الروحي عند المؤمن؟ ولماذا لا يتمتع الكافر بمثل هذه الطمأنينة؟

٢ ـ ماذا يفعل المؤمن مع الحوادث القابلة للتوقي؟

٣ ـ كيف يتعامل المؤمن مع الحوادث غير القابلة للعلاج؟ وماذا يفعل الكافر مع هذهِ الحوادث؟

٤ ـ بأيّ شيء يعدّل المؤمن رغباته النفسيّة الجامحة؟ وكيف يكون سلوك الكافر أمام ميوله ورغباته النفسية؟

* * *

الدرس الثـــالث

العالَم في نظر المؤمنين

مَن أنا؟ من أين أتيتُ؟ هل جئتُ بنفسي؟ وهل أذهبُ بنفسي؟ أم جاء بي غيري، وهو الذي يذهب بي؟

ماهو مستقبلي والى أين اذهب؟

هل تنتهي حياتي بالموت؟ أم تستمرّ حياتي بعد الموت؟ ... هل هذا العالَم العظيم وُجدَ بنفسه وبالصدفة أم أنّ له خالقاً؟.

هذه الأسئلة وأمثالها تطرح نفسَها على ذهن كل إنسانٍ عاقل، وبخاصّة في فترة الشبـاب وسِنّ البلوغ، ويسعى الانسان إلى الحصول على إجابات صحيحة عليها لإقناع نفسه بها.

في هذا الدرس نبدأ ببيان نظرة المؤمنين إلى الانسان والعالم باختصار، كما ونقف عند أجوبة الكفار على هذه الأسئلة، لتتضح ـ بالمقارنة والمقايسة ـ قيمة كل واحدة من الإجابتين.

ثم نعمد في دروس هذا الكتاب القادمة، إلى ذكر البراهين، والأدلّة التي تدعم نظرة المؤمنين، ونشرحها ونوضّحها بشكل ابسط.

ومن الجدير بالذِكر أنّ الانسان المؤمن قد أدرك الأجوبة على الأسئلة المذكورة وعرفها جيّداً، وأخذ عن كل واحدٍ منها فكرةً واضحةً ومناسبةً، ولهذا فهو يؤمن بها عن دليل وبرهان، ومن أعماق قلبه.

أ ـ العالَم في نظر المؤمنين

إن الانسـانَ المؤمنَ يعتبر العالَم مجموعةً مترابطةً متناسقةً ومنظّمةً، لم تُوجد نفسَها، بل خَلَقها ويدبّرها خالقٌ عليمٌ قادرٌ حكيمٌ، ويعتقد بأنَّ الكون يُحفظ ويُدار

عن طريق سلسلة من القوانين الدقيقة والسنن القوية، والناشئة من مشيئة الله وارادته العظيمة، ولو أنّ هذه الأنظمة، وهذا العالم حُرِمَت من العنايات والألطاف والآلهيّة لم تستمر ولا لحظة واحدة.

إنّ المؤمنَ يعتقد بأنّ العالم وحدة منظّمة وهادفة، وُجِدَت بمشيئة الله الحكيمة، وأنّ كلّ شيء في هذا الكون حَسَنٌ وجميلٌ، بالنظر إلى موضعه ومحلّه، وأنّ هذا النظام المتناسق الدقيق يسير باتجاه هدفٍ واحد رفيع.

إنّ جميع موجودات العالَم ـ في نظر الانسان المؤمن ـ محتاجة في وجودها وبقائها إلى خالق الكون، ولولا لطف الله وعنايته لم يُخلَق أيُّ كائن، ولولا إحسانه لم يبق هناك موجودٌ. وعلى هذا الاساس يَعتبر المؤمنُ كلَ واحدٍ من الكائنات آيةً ساطعةً على لطف الله ـ خالقِ هذا الكون ـ وعظمته وقدرته.

ب ـ مصير الحياة في نظر المؤمن

المؤمن لا يعتبر الموت عدماً، ونهاية للحياة بل يعتبر الموت انتقالاً إلى دار الآخرة الخالد، وبداية لحياة خالدة.

إن الانسانَ المؤمنَ يعتقد بأن الحياة في هذا العالَم ليست أمراً لغواً وعبثاً، وحادثة بلا هدف، بل هي فرصة للاستعداد والتهيّؤ، ولتربية النفس واعدادها، وبالتالي فرصة لتحصيل الزاد اللازم للعالَم الأُخروي.

إنّ المؤمن يعتقد بأن المحسنين والمسيئين ليسوا سواء، وإنّ كلتا الطائفتين ستَلقيان نتائج أعمالهما حتماً ويقيناً، فسيعطي الله تعالى المحسنين في عالم الآخرة أجر أعمالهم الحسنة، وسيعيش المحسنون في ذلك العالَم الجميل الخالد في هناء واستقرار.

وسيلقى المسيئون ـ هم أيضاً ـ جزاء أعمالهم السيّئة وستكون لهم ـ في ذلك العالم ـ حياةٌ صعبة، وشاقّة جدّاً.

إنّ المؤمنَ يعتبر سعادَته المستقبلية، رهنَ أعماله وأقواله، وأخلاقه الصالحة، ويسعى دَوماً لتوفير سعادته الأُخروية، يبتعد عن القبائح والسيّئات.

ج ـ خالق الكون في نظر المؤمن

إنَ الانسـان المؤمن يعتقد بوجود الله تعالى، ويعتبره خالقَ الكون ومالكَه، ومدبّر العالم وأهله كلَّه.

إن المؤمن يعتقد بأنّ هناك قوة عظيمة، وارادة جبارة تسمى «الله»، هو الذي خلق هذا العالم، وهو الذي يدبره ويديره، وانه يراه عالماً، قادراً، رحيمًا، حيّاً، وباقياً إلى الابد.

إنّ المؤمن يعتبر الله تعالى منبع كل الخيرات والكمالات، ويعتبرهواحداً، وغنياً، يحتاج إليه كلُ العالم وكلُ أهله.. وأنه هو الذي يحفظ العالم وأهله، ويدبّر أُمورهم، ويدير شؤونهم..

إنّه هو الذي يحفظ السماوات والأرض.. ولو أنه قطع عنها فيضه، وصرف عنها عنايته، لانهدم كلُّ شيء، وهلك كلُّ شخص، وهو الحاضر في كل مكان، والناظر لكل شيء، وليس مثله شيء أو أحدٌ.

د ـ الأنبياء في نظر المؤمن

الأنبياء حسب عقيدة المؤمن بشـرٌ مطهَّرون، وأشخاصٌ كاملون، اختيروا لهداية البشر وارشادهم نحو طريق الكمال والسمو، لأنّ الله الحكيم لم يكن ليترك البشـر في حالـة الحيرة والجهل، بل بعث اليهم انبياءَ معصومين، وزوّدهم بالبرامج الضرورية اللازمة للحياة الفردية والاجتماعية، والسياسية الدنيوية، وسبل النجاح في الحياة الأُخـروية، وأرسلهم من أجـل أن يرشدوا البشر ويضعوا تحت تصرّفهم ما يُسعدهم ويكفل خيرهم.

هذه هي نظرة المؤمن إلى مبـدأ الكـون ومصـدر الـوجـود، وهذه تصوراته الاساسية وأُصول عقائده.

واجابات المؤمن المختصرة والقصيرة على الاسئلة الاساسية: «مِن اينَ أتيتُ»؟

و«أين أنا»؟ و«إلى أين اذهبُ»؟ تكون على النحو التالي:

١ ـ مِن أينَ أتيتُ؟

لقد خلقني الله العليمُ القديرُ بلطفه ورحمته بأجمل خلق وأحسن تقويم.

٢ ـ أين أنا؟

أنافي عالم عابرٍ،ومتغيِّرٍ غير ثابت،خلقه الله وهو الذي يدير شؤونه..أنا أعيش في هذا العالم لأُنَمّيَ نفسي وأخلاقها النبيلة، وفضائلها الانسانية في ضوء هدايات الأنبياء الآلهيين وأوصيائهم، واستعدَّ للتمتع بالحياة الخالدة، ونِعَمِ العالَمِ الأُخرويّ غير المحدودة.

٣ ـ إلى أين أذهبُ؟

أنا أذهب إلى عالم الآخرة الخالد، الباقي، وهناك سوف ألقى جزاء كلّ أعمالي... والموت ليس نهايةَ الحياة، بل هي انتقالٌ من الحياة الدنيا، وبداية لحياة جديدة أُخرى.

العالَم كيف في نظر الكفّار: من أنا؟ ما هي مسؤوليّتي؟ مِن أينَ جئتُ ومَن الذي أوجدني؟ وأين أنا؟ وما هو الهدف من مجيئي؟ وإلى اين سأذهَبُ، وماذا سيكون مصير حياتي؟

إنّ هده الأسئلة ـ كما قلنا سابقاً ـ تطرح نفسها على كل انسان، ويحاول كلُ ذي عقل، بسعيه الفكري وتفحصه، أن يحصل على إجابات صحيحة عليها يهدّيءُ بها ضميره.. ومن المحتَّم أنّ هذه التساؤلات تطرح نفسَها على الكفّار أيضاً، ولكنّهم لا يفكّرون حولها بصورةٍ منطقيّةٍ وصحيحةٍ.. ولا يستخدمون عقولهم لحلّ هذه المسائل الأساسية بشكل جيّد.

إنّ التعلّقَ بالأمور الدنيويّة، وعبادة الهوى، ألقت بغشائها الكثيف على أبصارهم وبصائرهم.. وإنّ الخوضَ في المتعة واللذّة من دون حساب أشغَلَهم، وأصابهم بالغفلة.. إنّهم يتهرّبون من التفكير في هذه المسائل.. وإذا تَوَفَّرَ لديهم شيءٌ مِنَ الفراغ، وسمعوا نداء ضمائرهم، وتساؤلاتها، صرفوا عنها أنفسهم فوراً، بل وربما

خَدَعوا أنفسهم باعطائِها بعض الأمل بالمستقبل بظنّهم.

إنّ الكافر لايمتلك إجابات تنبع عن يقين وثقة، بل هو يقول وهو يعتمد على ظنونه وأوهامه:

١ ـ من أنا؟

... أنا حيوان أُدعى إنساناً، مثل بقية الحيوانات، والأنعام. آكل مثل سائر الحيوانات واشرب، وأذهب يميناً وشمالاً لإرضاءِ ميولي وإشباعِ رغباتي، وإستجابة لاحتياجاتي، وأنا متحرّر في توفير مطاليبي مِن كلّ قيد وحدّ، ليست عليَّ في مقابل أي موجود أعلى أيّة مسؤولية والتزام.

٢ ـ من اين أتيتُ ومَن الذي خلقني؟

يقول الكافرُ ـ في معرض الاجابة على هذا السؤال وحسب ظنّه ـ: أنا كائنٌ مادّيٌ، لم يخلقني أحدٌ، ولستُ موجَداً من قِبَل خالقٍ عالمٍ واعٍ.. إنّما وُجِدتُ بالصدفة، وليس من الصحيح أنّه خلقني خالقٌ عليمٌ قديرٌ أعلى، لحكمة وهدف.. فليس وراء حدوثي أيُّ هدف، ولا أيّة رؤيةٍ مستقبَليّةٍ.

٣ ـ أين أنا؟

أنا في عالَمٍ مادّي خالصٍ .. وبلا هَدَف، أعيش إلى جانب كائنات وحيوانات وبشر وُجِدوا هم أيضاً عفوياً.. وأن جميعهم مِثلي من دون هَدَف ولا غاية مستقبليّة.

٤ ـ إلى اين اذَهبُ وكيف سيكون مصير حياتي؟

إلى اين سأذهبُ... إلى المـوت والشيخوخة والعَطَب، والعجز، وفي المآل إلى الفناء والعَدَم.

إنّ الحياة ـ في نظر الكافر ـ تسير على النحو التالي:

إنّ الانسـان يبدأ من العَدَم، ينمو من غير قصد ولا وعي، ويصعد ثم يصعد حتى يتجاوز مرحلة الطفولة، وعند الشباب يبلغ النشـاطُ والقوةُ ذروتهما، والشابُ يجلس على أعلى قّمةٍ من قمم الحياة، ولكن وللأسف سرعان ما ينقضي ذلك النشاطُ، وتنفد تلك

القوّة ويتجه الانسان بعد مدّة قصيرة نحو الحضيض، وفي مسير السقوط والهبوط تتوجه اليه ضرباتٌ ومِحَنٌ، وتهجم عليه أمراض ومصائب... تتضاءل طاقة الشباب شيئاً فشيئاً، وتسير القوى الجسمانية والبدنية نحو الذبول والأُفول، وينتهي عهدُ النشاط، واللذّة، ويحلّ محلّه عهدُ الضعف والعجز، فيجفوهُ الابناءُ والاحبّة، ويقسُون عليه، ويتركونه وحيداً مع مشاكله حتى يسقُطَ في المآل في هُوّة السقوط، ويندفِنَ تحت الاحجار والاتربة.

هكذا تكونُ نهايةُ الحياة ـ في نظر الكافر وحسبَ ظنّه ـ عابثةً ورهيبةً ومؤلمةً. فما أتعسها من نهاية.. إنَّ الكافر يظنّ إنّ نهاية أمره هو السقوط في وادي العدم، وعندما تهاجمه الاسئلةُ، وبخاصّة تلك الاسئلة التي تتعلق بمستقبل حياته، وبالموت، يحاولُ أن يصرفَ نفسَه عنها بكلّ وسيلة ممكنة.

إنّه يحاول عن طريق اللَهو واللَعب، والخوض في الملذّات الخارجة عن الحدود، إطفاءَ شُعْلة عَقْله، وإخماد جذوة وَعيه، وإسكات نداء ضميره، ووجدانه، ولكن حتى لو استطاع ـ ولمدةٍ قصيرةٍ ـ أن يهدّيء أعصابَه، هل يترك وجدانُ الانسان الباحث، وعقله الفاحصُ تساؤلاتِهما واستفساراتِهما الملحّة؟!

إن تصوّر العبثية، والعدم والفناء المطلَق، أمرٌ مرٌّ المذاق، وشيءٌ مؤلِمٌ للكافر.. إنّ هذا التصور وهذا الظنّ يُشبه الحيّة السامّة، تلسعُ روحَ الكافر من باطنها على الدوام، وتنفث فيها سمومَها المؤلمة، وتزيد من عذابه الوجدانّي، وعنائه النفسي.. فما أحسن به من أن يشغِّل عقلَه، ويطلبَ الأجوبة الصحيحة المقنعة على هذه التساؤلات!!

* * *

اجيبوا على هذه الاسئلة

١ ـ كيف يكونُ العالَم في نظر المؤمنين؟وكيف يكونُ العالم في نظر الكافرين؟

٢ ـ كيف تكونُ نظرة المؤمنين إلى مصير الحياة؟ وكيف تكونُ نظرة الكافرين إلى مصير الحياة؟

٣ ـ ما هي نظرةُ المؤمنين إلى هدف الحياة؟ وما هي نظرةُ الكافرين إلى هدف الحياة؟

٤ ـ أيّة واحدةٍ من هاتين النظرتين تختارون انتم؟

٥ ـ لماذا؟

أجب على كل واحد من هذه الاسئلة بكلٍ مِن اجابة المؤمنين والكافرين؟

٦ ـ مَن أنا؟

٧ ـ مِن أين أتيتُ؟

٨ ـ مِن أينَ أنا، ولما أتيتُ؟

٩ ـ إلى أين أذهب، وكيف سيكون مصير حياتي؟

* * *

الدرس الرابـــع

ضرورة اختيار «رؤية صحيحة عن العـالم»

فترة الشباب والبلوغ فترةٌ مصيريّةٌ وحسّاسةٌ جدّاً، وفي هذه الفترة تبدو الحياة وكأنّها تبدأ وتتكون من جديد، وتتفتح طاقةُ العقل، والتفكر عند الانسان.

في هذه المرحلة من العمر البشري يتأسس مستقبل الحياة.. وعلى الشباب ـ في هذه المرحلة الخطيرة ـ أن يرسم مستقبله، ويبرمج له، .. وانّ تفويت مثل هذه الفرصة الثمينة يستتبع خسائر وأضراراً لا يمكن ملافاتها، لأن الفرصة الفائتة، والعمر المنقضي لا يعودان مرّة أُخرى أبداً.

إنّ الانسـان كائنٌ عاقلٌ، عالٌم، ولا يمكنه ان يكون كالحيوانات هائمًا على وجهه، تابعاً لغرائزه ورغباته النفسيّة فقط... بل يجب عليه ان يستفيد من طاقة العقل، ويحـدّد وظيفتـه الخاصّة في هذا العالَم.. ويجب عليه ان يجد طريق انسانيته، وطريق الحصول على سعادته الحقيقية.

إنّ الانسان العاقل العالِمَ لا يفوّتُ فرصة العمر الثمينة، بل يعتبر الأمرين التاليَين من أشدّ احتياجاته ضرورةً، ويسعى إلى تحصيلهما وهما:

١ ـ نظام فِكريّ صحيح

٢ ـ برنامج متناسق مدروس

أنتم الآن قد دخلتم في مِثل هذه المرحلة الخطيرة المصيرية، ويجب أن تستفيدوا من هذه الفرصة استفادةً جيّدةً.. إنّ عليكم ان تعرفوا الهدفَ الحقيقيّ لهذه الحياة، وتقرّروا لمستقبلكم.. وتجدوا طريق سعادتكم الحقيقية، وتسيروا بوعي وبصيرة كاملتين في ذلك الطريق، وتجتهدوا في الوصول إلى ذلك المقصد.

ولكنكم تعلمون ان انتخاب برنامج متناسق ومحسوب، والحصول على طريق السعادة، يتبع عقيدة الانسان ونمط نظرته إلى الكون والحياة. فكلّ إنسان يحدّد هدفَ

حياته، ويرسم مسيرَتَه وفقاً لمعرفته ونظرته إلى الحياة والوجود.. وكلَّما كانت معرفتنا ونظرتنا إلى قضايا الحياة، والوجود الاساسية اكمل إستطعنا أن نتعرف على هدف الحياة، ونُوَفّق للبرمجة من أجل الوصول إليه، بصورة أفضل وأحسن.

وعلى العكس من ذلك، إذا كانت معرفتنا عن قضايا الوجود معرفةً خاطئة، واذا اعتقدنا عقائدَ باطلةً، فاننا سنُصاب أيضاً بالخطأ والزلل في اختيار الطريق والهدف، وفي اختيار البرنامج، ثم نسقط في النهاية في وديان الهلاك الأبديّ.

وعلى هذا الاساس فإن تقوية أُسس العقيدة، واختيار نظرة عامّة إلى الحياة أُولى ضرورات الانسان العاقل المفكِّر.. فلابدَّ لكلّ إنسانٍ عاقلٍ من أن يقوم في أُولى مراحل حياته وايّام شبابه، بتقوية عقائده واعتناقها عن وعي وبصيرة، ويدعم معتقداته بالاستدلال والبرهان.

ومن خلال هذا الطريق يحرّر نفسَه من الحيرة والضياع، ومن سلوك السُبُل الضالّة الخاطئة.

إنَّ التحقيق والتفحص، والرغبة في اكتشاف أسرار الوجود هو أساساً أمر فطري عند الانسان المفكر، فكيف يمكنه أن يصرف نظره عن هذا المطلب الطبيعي الفطري، ويخمد جذوة عقله، ومشعل فكره؟اذ انه لو تجاهل هذه المطالب ما الذي يميّزه عن سائر الحيوانات التي لاهم لها الا اشباع غرائزها واطفاء رغباتها التافهة حينئذٍ؟

ماذا تعني «النظرة إلى الحياة»

إن ما يدور في ذهن الانسان من تصوّر عن عالم الوجود هو الذي يُدعى بـ «النظرة العامّة إلى الحياة والعالَم» وهي مجموعة من القضايا الاساسية التي تعطي في مجال الفكر ـ الاجابة على التساؤلات التالية:

هل هذا العالم وُجد بنفسه أم أنّ ذاتا أعلى خلقتَه وأوجدته من العدم؟ واذا كان مثل هذا الخالق موجوداً حقاً فكيف يكون؟ وماهي صفاته؟ وما هو هدف من خلق الانسان والعالم؟ وهل تنتهي

حياة الانسان في هذا العالم أم أن هناك عالماً آخر هو عالم الآخرة ينتقل اليه الانسان بعد الموت ليرى نتيجة أعماله؟ وكيف يكون عالم الآخرة، والجنة وجهنم؟

بل أيُّ كائنٍ هذا الانسان ، وماذا أُودِع في كيانه من القابليات والمواهب؟ وهل للانسان في هذه الحياة وظيفة ومسؤوليّة؟...؟

وهل يستطيع الانسان أن ينظّم برنامجاً كاملاً لضمان سعادته الدنيوية والأُخروية؟ أو أنه لابدّ حتماً من أن يتّبع برامج الانبياء ـ الذين يرتبطون بخالق الكون عن طريق الوحي ـ وهداياته؟ ومن هم الانبياء، وما هي الخصائص التي يشتركون فيها؟...؟

هل من شخص عالمٍ قويٍّ مؤيَّدٍ من جانب الانبياء، ومن جانب الله لحفظ وتنفيذ أحكام الشرع وقوانينه تنفيذاً صحيحاً، وللقيادة، ولحفظ النظام الاجتماعي واقامة العدالة في المجتمع ومواصلة طريق الانبياء؟...؟

إنّ إجابات الاشخاص على هذه الاسئلة ليست على نمط واحد، فسيعطي كل فريق أجوبة خاصة وفق عقيدته ونظرته الخاصة إلى الحياة والكون.. وتُشكل مجموعة تلك الاجابات نظاماً فكرياً يسمّى «النظرة العامّة إلى الحياة».

ما هي الايديولوجية؟[1]

بعد انتخاب «النظرة العامة إلى الحياة» يأتي دور الايديولوجية. وتُصطلح

---

(١) الايديولوجية لغة اجنبيّة، ولكن تعارف على استعمالها الخطباء والكتاب ، وقد استعملناها بنفس ذلك المعنى، وتوضيحها هو كالتالي: انّ الايديولوجية لفظة مركّبة من «أيده + لوجيا» و«ايده» يعنى الفكر، العقيدة، التصوُّر و«لوجيا» تعنى المعرفة ودراسة الرأي. وعلى هذا الاساس يكون معنى الايديولوجية: علم العقيدة، علم الافكار، دراسة العقائد والتحقيق فيها، ولكن هذه اللفظة تستعمل في المعنيين التاليين: =

الايديولوجية على البرنامج المتناسق الهادف، والمسلك العام للحياة، والنظام الفكري الذي يحدّد وظيفة الانسان.

ومن هنا تكون «النظرة العامّة إلى الحياة» بمثابة البنية التحتية، والاساس والقاعدة، وتكون «الايديولوجية» بمنزلة البنية الفوقية والنتيجة.

يعني ان انتخاب الايديولوجية يتوقف على انتخاب النظرة العامة إلى الحياة، وفي الحقيقة ان النظرة العامة إلى الحياة هي المعرفة أو هي الرؤية الكلية عن «الوجود»، ولكن الايديولوجية تعني المعرفة بالواجبات والوظائف وما يجب فعله، وما يجب تركه.. والقيم.

إنّ الاجابات التي يجب إعطاؤها على الاسئلة التالية تسمّى إصطلاحاً «الايديولوجية».

ما هي وظيفتنا في هذا العالم؟ ما هي مسؤوليتنا؟ في أيّ شيء تتمثل معارف الانسان ويتمثّل كمالُه الحقيقي؟ أيّ شيء من الأعمال حَسَن، وأيٌّ منها سيّئ؟...؟ أيٌّ منهاخير، وأيٌّ منها شرٌّ؟ ماهي الأعمال التي يجب القيام بها وما هي الأعمال التي يجب تركها؟...؟

وجوب التحقيق والحصول على الجواب؟

إن مثل هذه التساؤلات تنطرح في أذهانكم أنتم أيّها الطلبة الاعزاء، الذين بدأتم مرحلة الشباب، وهي تطلب إجابات مقنعة حتمًا. ولا شك انكم تبحثون عن تلك الاجابات الصحيحة.

= ١ ـ العقيدة والنظام الفكري الذي يتكفل ببيان الحقائق الخارجية وهي ترادف معنىً لفظ: «النظرة العامّة».

٢ ـ النظام الفكري الذي يعيّن المسلَك العام للحياة، ووظائف الانسان، وما يجب فعله، وما يجب تركه، والقِيَم وغيرها، وبهذا المعنى تكون من نتائج، وآثار النظرة العامّة للحياة.

وفي هذا الدرس استعمل هذا اللفظ في المعنى الثاني لا الأول.

إنّ فترةَ الشباب فترة البحث والتحقيق والتساؤل، فترة انفتاح العقل، وتفتح الفِكر.. فترة تحصيل الايمان والعقيدة.. ولذا فانه يجب أن تمتلكوا في هذه المرحلة رؤيةً صحيحة عن الكون، وأن تقوموا بتقوية معتقداتكم.. وإنَّ عليكم أن تفكّروا وتحقّقوا، وتحصلوا على كل واحد من هذه التساؤلات إجابة صحيحة مقنعة.

وعلى هذا فانَّ الحصول على «نظرة عامّة إلى الحياة» تَتَّسِم بالصحة والواقعية، وعـلى أيديولوجية واضحة ومتينة، أولى من أيّ شيء آخر بالنسبة إليكم... لأنكم عقلاء، وأصحاب فكر.. ولا يسمح لكم عقلكم الباحث الفاحص أن تمرّوا على هذه الاسئلة الاساسية والحيويّة مروراً عابراً.

إنّ المرور العابر غير المكترث على مثل هذه الاسئلة الاساسيّة الحيوية.. يجرّ الانسانَ إلى القلق والاضطراب، ويجرّ حياته إلى هوّة العبثيّة والحيرة الرهيبة.

أُصول «النظرة العامّة الى الحياة»

أُنظروا ثانيةً الى الاسئلة التي طُرِحت في مبحث «النظرة العامة إلى الحياة».. إنّه يمكن تقسيم تلك الاسئلة ونظائرها إلى خمسة أصناف:

١ ـ الاسئلة التي ترتبط بمبدأ الوجود، وخالق العالَم وصفاته، والتي تسمّى بمسائل «معرفة الله».

٢ ـ الاسئلة التي ترتبط بمستقبل الانسان وحياته بعد الموت، والتي تسمّى بمسائل «المعاد».

٣ ـ الاسئلة التي ترتبط بحاجة الانسان إلى برنامج متناسق، والحاجة إلى الانبياء، والحاجة إلى قيادتهم، وتوجيهاتهم، وإرشاداتهم، والتي تسمّى بقضايا «النبوّة».

٤ ـ الاسئلة التي ترتبط بالقادة الآلهيين، الذين يعتبر وجودُهم أمراً ضرورياً لإدارة المجتمع إدارةً عادلةً، وحفظ وتنفيذ القوانين السماوية، وهداية البشر، وهذا هو ما يسمّى ببحث «الإمامة».

٥ ـ الاسئلة التي ترتبط بالبرنامج والتكاليف والمسؤوليات الدينية، التي جاء

بها الانبياء.

ولقد نُظِّمَتْ دروس هذا الكتاب وفقاً لهذا التَريتب، وقُسِّمت إلى خمسة أقسام ستتعرفون عليها في المستقبل ان شاء الله تعالى.

اجيبوا على هذه الاسئلة

١ ـ ماذا تعني «النظرة العامّة إلى الحياة»، وعلى أيّة اسئلة تجيب؟
٢ ـ ماذا تعني «الايديولوجية»، وعلى أيّة اسئلة تجيب؟
٣ ـ ما هي العلاقة بين «النظرة العامّة إلى الحياة» وبين «الايديولوجية»؟
٤ ـ ما هي الأُصول الاربعة للنظرة العامّة إلى الحياة؟
٥ ـ لماذا يجب أن يختار الانسانُ نظرة عامّة إلى الكون والحياة؟
٦ ـ ما هو اشدّ الامور ضرورةً للشباب، ولماذا؟

* * *

الفصل الاول

معـرفـة الله

مقدمة الفصل

لإثباتِ وجودِ الله هناك هناك ثلاثة أنواع من البراهين:

الأول: برهان النظم.

الثاني: برهان الفطرة.

الثالث: برهان الوجوب والإمكان.. وغير ذلك من البراهين الفلسفية والكلامية.

ولكننا سنستفيد في هذا الكتاب ـ على الاكثر ـ من «برهان النظم» لأنّ القرآن الكريم يستخدم هذا البرهان أيضاً، حيث يوصي الناس في آياتٍ كثيرةٍ بأن يفكّروا ـ جيّداً ـ في نظام الكون العجيب، ويتأمّلوا في الأسرار المودَعة في تركيب الحيوانات، والنباتات، والانسان، والأرض، والسماء، لكي يهتدوا ـ من خلال ذلك ـ إلى خالقها العليم القدير.

هذا مضافاً إلى أن «برهان النظم» ابسط البراهين وأكثرها جاذبيّة، كما أنّه أقرب إلى فهم الناس عامَّة.

وفي البداية تتعَّرفون على معنى «النظم»، ثمَّ ضمن عدّة دُروس نشير إلى عدد من النماذج الحسّيةِ الجميلةِ والجذّابة، للنظم.

فَاْقرأوا جيّداً، وأَمعنوا النَظَر في هذه النماذج حتى تهتَدوا إلى عَظَمة خالقِ الكونِ.

* * *

الدرس الخامس

النظم والتناسق في العالم

خذوا كتاباً.. إنّ هذا الكتاب مكوَّنٌ من آلاف الأحرف والكلماتوالعبارات. فما هي العلاقة بين هذه الأحرف والكلمات والعبارات؟ هل اصطفَّ بعضُها إلى جانب البعض بصورةٍ عَشوائية واعتباطيّة، أم أنَّ هناك نظاماً خاصاً يسودُها، وارتباطاً معيَّناً يقومُ بينها، حتى جاء بعضُها تلو الآخر بانتظام؟

بعد أن تقرأوا الكتاب تهتدون إلى أنّ جميع الحروف والكلمات، وجميع العبارات والاقسام الموجودة في الكتاب، مترابطةٌ، ومتناسقةٌ، وأنّها ترمي إلى هدفٍ واحدٍ.. وأن جميع هذه الأحرف والكلمات استقرّ بعضُها إلى جانبِ بعضٍ بنظمٍ وترتيبٍ خاصّين.. وأنّ لكل واحدة منها مكاناً مخصوصاً.. وستدركون دون شك أن هناك هدفاً منشوداً وراء تنظيم هذه الأحرف والكلمات وتأليفها.. وتهتدون ايضاً إلى أنّ مؤلف الكتاب كان يمتلك عقلاً وشعوراً، وكان يعرف عمله سلفاً، وانه قد رتّب تلك الحروف والكلمات على هذا النسق لهدف معلوم، وغاية منشودة، وان ذلك الكاتب كان يتمتع بالقدرة والمهارة.

انّ جميع الاجزاء ـ في كل مجموعة منظّمة ـ مترابطة، وترمي إلى هدف واحد... يقع كلّ جزء من تلك الاجزاء في مكانه الخاص، ويؤدّي دوراً خاصّاً، بحيث لو وضع في مكان آخر، لتخلّف عن أداء وظيفته، ولتعطَّل عملُ تلك المجموعة، ولم تتحقق النتيجة المطلوبة.

هل تحتملون ان يكون هذا الكتاب قد وُجد بنفسه وعلى نحو الصدفة، ومن دون هدف؟

هل تحتملون أنّ موجوداً غير شاعر ولا قادر ـ كالريح ـ جرّ القلم على الورق، واوجد مثل هذا الكتاب بصورة عفوية؟

كلاّ، لا نذهب إلى مثل هذا الاحتمال أبداً.. لا نحتمل ان يكون هذا الكتاب قد وُجِدَ بنفسه، ومن دون هدف وغاية، ولا نحتمل مطلقاً أنَّ كائناً فاقد الشعور، عديم الادراك ألَّف مثل هذا الكتاب، وعلى وجه الصدفة.. لأنّنا نعلم أن لكلّ ظاهرة علةً تناسبها، واذا ما احتمل أحدٌ هذا الاحتمال سخرنا به، واعتبرنا كلامه كلاماً سخيفاً وغير عقلائي.

إذن فانتم تهتدون من وجود هذا الكتاب، ومن خلال النظم والتناسق السائدين في أحرفه وكلماته، وجمله وعباراته إلى موضوعين:

الأول: أن للكتاب مؤلِّفاً

الثاني: أن مؤلف هذا الكتاب عالِم عاقلٌ، وقادرٌ ماهرٌ، قاصدٌ في فعله، وهادفٌ في عمله.

وهكذا فلو شاهدتم أيّ جهاز منظّم، ذي هدف، فإنكم تهتدون إلى عقلية صانعه، وتدبيره وقدرته، وتتعرَّفون من خلال الوقوف على ما في ذلك الجهاز من الدقّة والنظم، على مدى علم صانعه ومبلغ قدرته.

إنّ كتاب الكَون العظيم هو الآخر ذو أحرفٍ وكلمات، وجُمَل. فكلُ كائنٍ من الكائنات، وكلِّ ظاهرةٍ من الظَواهر، بمنزلة حرف أو كلمة أو جملة من هذا الكتاب الكبير.

إنّ الظواهر والحوادث الكونية ليست أُموراً غير مترابطة، وأَشياءً تسودها الفوضى، بل هي كأحرف وكلمات كتاب ذي نَظْم وتناسُق، وتعاون وترابط.

أُنظروا إلى هذا الكتاب، وتأمَّلوا في جسم الانسان الذي هو كلمة من كتاب الخليقة، مئات من الأجهزةِ الدقيقةِ والمنظّمةِ، التي نشاهد في تركيب كلِّ جهازٍ منها مئات الموارد العظيمة الدقّة والظرافة. انّ هذه المجموعة العظيمة تشكِّل وحدةً مترابَطة الاجزاء، يسود بينها التعاون والتبادل، ويحتاج كل واحد منها إلى الآخر.

بل ان كل واحد من هذه الأجهزة المتنوعة الموجودة في الجسم الانساني يُشبه مصنعاً كبيراً وجميع هذه المصانع والمعامل مرتبطة بعضها ببعض، ويعمل مجموع اعضاء الجسم البشري في نظام واتساقٍ كاملَين، ليعيش الانسان ويواصل حياته.

انّ بدن الانسان هو الآخر لا يمكنه أن يواصل حياته بمفرده، بل يتوقف وجوده على موجودات أُخرى مثل: الماء، والهواء، والأغذية المتنوّعة، والنباتات، والحيوانات، والمصادر الطبيعيّة في الارض؛ فانه يحتاج اليها، ولا يستطيع ان يعيش من دونها.. وبقاء جميع هذه الاشياء يتوقف على ضوء الشمس، وتتابع الليل والنّهار، وفصلي الصيف والشتاء، بحيث تشكّل بمجموعها وحدة واحدة حقيّقةً، وحدة يسودها النظام الكامل والتناسق الكامل.

أُنظروا بدقة إلى كتاب الخليقة الكبير هذا.. انظروا إلى هذا العالم.. إلى كلماته العميقة والجميلة.. ولاحظوا بدقّةٍ هذا الترابط والتناسق السائدين على كل كلمةٍ كلمةٍ منها، فماذا ترونَ؟

انكم تدركون جيّداً أن مجموعة الكون العظيمة هذه لم تأت على سبيل الصدفة، ومن دون هدف.

إنّ الطبيعة الجاهلة غير الشاعرة لا يمكنها أبداً أن تأتي بمثل هذا النظام الدقيق الهادف.. بل وأنى يمكنها ان تسطّر مثل هذا الكتاب العظيم الزاخر بالمعاني، الحافل بالروائع.

انكم بمشاهدة الكون، ومعرفة الترابط والتناسق السائدَين فيه تهتدون جيّداً إلى علّته الحقيقية.. وتدركون أن للعالم خالقاً عالماً قادراً، خلق الكون وهو الذي يديره بالعلم والتدبير، لهدف وغاية.

وهكذا لو طالعتَ أيّ ظاهرة من الظواهر لشاهدت ـ جليّاً ـ آثار العلم والقدرة عند خالق الكَونِ.

وهذا الطريق، اعني مشاهدة عالَم الخلق، هي إحدى افضل الطرق لمعرفة الله، وهي التي تُسمّى بـ «برهان النظم».

وقد جاءت ـ في آيات القرآن الكريم ـ توصية مؤكَّدة على أن يتفكّروا في خِلقة الارض والسماء والشمس والكواكب، والحيوانات والنباتات وظهور الليل والنهار وتعاقبهما المنتظم، وفي عجائب الخلق البشري، واختلاف الألوان، والاشكال

والألسن، كَيما يهتدوا إلى خالق الكون.

﴿وَمِن آياتِهِ خَلْقُ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضِ وَاْختِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وأَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِلْعَالَمِيْنَ﴾[1].

فكِّروا وأجيبوا

١ ـ ما هي خصائص المجموعة المنظّمة؟

٢ ـ ماذا نفهم ونستنتج من مشاهدة الترابط بين حروف كتاب وكلماته؟

٣ ـ بماذا شُبِّه عالَم الخَلق في هذا الدرس، وما هو وجه الشبَه؟

٤ ـ ماذا نفهم ونستنتج من مشاهدة مجموعة منظّمة؟

٥ ـ عرّفوا برهان النظم، ومَثِّلوا لذلك بمجموعة منظّمة؟.

٦ ـ احفظوا الآية وتعلموا تفسيرها.

* * *

(١) الروم ـ ٢٢.

الدرس السادس

الله منشأ الخلق ومصدر الوجود

عندما فرغ والدي من ابتلاع آخر لقمة من غذائه وأكلَها قال: «الحمدُ لله ربِّ العالمين» فقلت: أبتاه: ماذا تعني عبارة: «الحمد ربّ العالمين»؟

ولماذا أراكَ تكرِّرُها دائمًا عندما تفرغ من الأكل؟

قال والدي: بُنيّ، نحن بهذه العبارة نشكر الله تعالى على ما تفضّل به علينا من نِعَم.. نشكر الله الذي هو خالق كلِّ شيء وربّ كلِ شيء، وهو الذي أنعم علينا بجميع هذه النعم.. وعندما ننتفع بها ونستفيد منها يتوجّب علينا ان نشكر مَن وهبها لنا.

عزيزي أحمد؛ إنّ نعم الله تعالى علينا كثيرة جدّاً، إلى درجة أنّنا لسنا قادرين على عدّها وأحصائها.

فَكِّرْ في عمليّة أكلنا للطعام هذه.. أُنظر كم هي النعم التي أنعم الله تعالى بها علينا فيها؟

«بالعين» ننظر إلى الطعام.

«وباليد» نرفع اللقمة من الصحن، ونضعها في فمنا.

وبواسطة «الشفتين» نطبق الفم.

«وباللسان» ندير اللقمة في فمنا.

«وبالأسنان» نمضغُها، ثم نبتلعها...

ولكنَّ هذه الأعمال التي تبدو في نظرنا أُموراً بسيطة، هي في الحقيقة أمور دقيقة وعجيبة جدّاً.

أُنظر إلى يدكَ وأصابعكَ كيف خُلِقت جميلة ومناسبة؟ فاصابعك

تنقبض وتنبسط بارادتك، وتتخذ الشكل اللازم.. تدير يدك في كلّ إتجاه تشاء..

اليد والاصابع يمكنها أن تلبّي جميع إحتياجاتنا.

هل فكرت حتى الآن:

أن يدنا هذه لولم تكن تعمل بارادتنا هكذا ما الذي كان يحدث؟

إن خلقة أسناننا هي الأُخرى جذّابة ودقيقة أيضاً.. أُنظرْ في المرآة... أُنظر إلى أسنانك. بعض الاسنان حادّة مدبّبة، وهي التي تستعمل في تقطيع الطعام.

وبعضها الآخر لتمزيق الطعام.. ولكن اكثرها مناسب لطحن الطعام.. فاذا كنّا لا نمتلك مثل هذه الاسنان ما الذي كان يحدث؟

إذا كانت الاسنان على نمط واحد فكيف كان في إمكاننا أن نأكل الطعام؟؟

بُنيّ! إنّ الأعجب من هذا كلّهِ هو الماء الموجود في الفم والذي يُدعى «البزاق».

إنّ البـزاق ضروريٌّ لهضم الطعام، ولهذا السبب كلّما جَوّدنا المضغ تمّ هضم الطعام بشكل أفضل وأسرع، هذا مضافاً إلى أن البزاق يرطّب اللقمة، وحينئذ يسهل ابتلاعها.

إن البزاق يترشّح من ثلاثة أزواج من الغُدَد الصغيرة.. إنّ هذه الغدد تسمّى «بالغدد اللعابية» ترى لو كان فمنا جافّاً لا رطوبة فيه، ماذا كنا نفعل حينئذٍ؟

هل كان في مقدورنا أن ناكل؟ هل كان في إمكاننا أن نتكلم؟

أُنظر كيف يُعتَبر هذا البزاق نعمة كبرى، وكيف تؤدّي «الغُدَد اللعابية» وظائفَ مفيدة وهامّة؟

قل لي يا بنيّ لأعرف:

مَن هو الذي كان يهمّه أمرنا، وعَلِم من قبل، أن فمنا بحاجة إلى سائلٍ يرطّبه؟ مَن الذي كان يهتمُّ بنا، وعلِم سلفاً أن البزاق ضروريٌّ لهضم الطعام والتكلّم، ولهذا الغرض خلقَ فينا الغدد اللعابيّه؟

مَن كان يهتمّ بنا، ويعلم مسبّقاً أنّنا بحاجة إلى الشفتين والفم؟ مَن الذي كان يهتمُّ بنا ويعلم أن أصابعنا وأيدينا يجب أن تكونَ على هذه الهيئة؟

ولما سمعتُ ما قاله والدي جيّداً قلت له مجيباً: من الواضح أن الله تعالى هو الذي اهتمَّ بنا، فهو كان يعرف بحاجاتنا، فخلق فينا كلَّ ما كان لازماً وضرورياً.

قال والدي: أحسنتَ يا وَلَدي.. الأمر هو ما قلتَه تماماً.. إنّ «الغدد اللعابيّة» لم تأت بنفسها.

إن اللسان، والشفتين، والأسنان، والأصابع لم توجَد بنفسها ومن دون حساب.. إنّ هذا الترابط، والنَظم، والتناسُق خير دليل على أنّها نشأت من خالِقٍ عالِمٍ ذي قدرةٍ مطلقةٍ.

عزيزي أحمد: «الحمد الله رب العالمين» تعني أن جميع المحامد مختصة بالله ربّ العالمين.

اختبروا وفكروا (١) ..

ضُمُّوا أصابعكم بعضها إلى بعض

والآن إرفعوا قلمًا بهذه الاصابع المُنْضَمَّة بعضُها إلى بعض، بيدٍ واحدةٍ واكتبوا.

إرفعوا الملعقة.. وكُلُوا.

هل تستطيعون ذلك؟

إذا لم نكن نمتلك أصابعَ كيف كان يمكننا أن نكتب؟ وكيفَ كان يمكننا أن نأكل الطعام؟

إذا كانت الأصابع لا تنقبض ولا تنبسط وفق إرادتنا ماذا كنَّا نفعل؟

والآن افتحوا أصابعكم، وفرّجوا ما بينَها، ولا تحرّكوها أبداً.. والان وبهذه الاصابع المفتوحةِ المنفرجة إرفعوا قلمًا... واكتبوا به أسماءكم، هل يمكنكم ذلك؟

إرفعوا ملعقةً.. كُلوا الطعام في هذه الحالة.. هل يمكنكم ذلك؟

إذن: فالله العالم الرحيم الذي احاط بكل شي علمًا هو الذي ركّبَ فينا هذه الاصابع، وجعلها تحت مشيئتنا واختيارنا، لتُقبَض وتبسَطَ وفقَ رغبتِنا وإرادتنا.

مَن غير الله العالِم القادِر كان يمكنه أن يخلق لنا الاصابع بمثل هذه الهيئة الجيّدة؟؟

أختبروا وفكّروا (٢) ..

ابقوا على شفافكم من دون حركة

والآن تكلّموا

هل تستطيعون؟

هل يمكنكم أن تنطِقوا بجميع الكلمات؟

عندما تفتحون شفتيكم هل تستطيعون أن تأكلوا الطعام؟

ألا يخرج الطعام من فمِكُمْ؟

أي عمل نؤدّيه بلساننا؟

- نتكلم
- نتذوق الاطعمة

.....

ثم ماذا؟

هل تستطيعون أن تحتفظوا بألسنتكم من دون حراك عند مضغ الطعام؟

جرّبوا..

ما هي المساعدات التي يقدّمُها لنا اللّسان عند أكل الطعام؟

إذا نحن لم نمتلك اللّسان كيف كان في مقدورنا أن نأكل الطعام؟
أم كيف كان يمكننا أن نتحدَّث ونتكلم؟
مَنْ غير الله العالِم القادر يمكنه أن يخلق لنا الفم واللسان.

اختبروا، وفكّروا (٣)..

أديروا طرف لسانكم في الفم.. ماذا تجدون في الفم؟

- اللسان
- الحنك
- اللثّة

.....

ثم ماذا

والآن ابتلعوا بزاقكم.. ثم امتصُّوا الرطوبة الموجودة في الفم، هل يجفّ فمُكم جفافاً كاملاً..؟ مِن أين يأتي هذا اللعاب الجديد؟

هل تعلمون إذا لم يكن ذلك ما كان يحدث ويقع؟

بلا شك ما كان يمكنكم حينئذ ان تتكلموا.. وما كان يمكنكم أبداً أن تأكلوا الطعام.. وكان فمُكم يجفُّ جفافاً كاملاً.

هل تعلمون ما هي أسماؤها.. وكم هي؟

مَنْ الذي تحسَّبَ لذلك.. وهيّأ له هذه الأجهزةَ اللازمة.

مَن سِوى «الله العليم القدير» كان يمكنه أن يخلق لنا ذلك؟

* * *

الدرس السابع

اوراق النبات الخضراء أو صحائف التوحيد الجميلة

كلُّنا نحتاجُ إلى الغذاء، ومن دون الغذاء لا يمكننا أن نبقى أحياءً، ولا أن نقوم بعمل.. الأشجار والنباتات تصنع لنا الغذاء. إنّ أوراق النبات الخضراء معامل صغيرة لصنع الغذاء.. إنّها تعمل، وتصنع لنا الغذاء اللازم المناسب.

النباتات مثل شجرة التفاح ـ تمتص الماء والموادّ المعدنيّة من الأرض بواسطة الجذور، وتوصلها إلى الأوراق عبر السيقان.

ويدخل غاز الكربونيك الموجود في الهواء أيضاً من المسامات الصغيرة جدّاً إلى الأوراق كما يصل النور والطاقة الشمسية أيضاً إلى الاوراق.

ثم تعمل مصانع الأوراق الخضراء حينئذ وتصنع الغذاء بمعونة ضوء الشمس.

إنّ النباتات تصنع الغذاء اكثر من حاجتها، فتستهلك هي مقداراً منه بنفسها، لتبقى حيّةً وتكبر وتنمو، وتدّخِر المقدار الإضافيّ لنا.

والأغنـام والأبقـار هي أيضاً بحاجة إلى الغذاء، إنها تأكل الحبوب والعلف الأخضر، وتقدم لنا الحليب والزبد، والجبن واللبن، واللحم والسمن.

الدجاج تأكل الحبوب أيضاً، وتصنع لنا اللحم والبيض.

جميع الحيوانـات والدوابّ بحاجة إلى النباتات، ويُصنَع غذاؤُها ـ باجمعها ـ بواسطة النباتات والأعشاب الخضراء.

لا يستطيع أيُّ إنسان أو حيوان صنع غذائه من دون مساعدة النباتات، بل الجميع بحاجة اليها.

البشر بحاجة إلى النباتات والحيوانات، والحيوانات بحاجة ـ في صنع الغذاء ـ إلى الماء والتراب وغاز الكربونيك وضوء الشمس.

ولنـرى الآن مَن خَلَقَ الشمس بحيث تبعث أشعتهـا وطـاقتها في الكون

لتستطيع النباتات أن تصنع لنا الغذاء اللازم؟

مَنْ خَلَق الاشجـار والنبـاتات في مثل هذا النظام الرائع والتناسق البديع، وأعطى لاوراقها الخضراء الجميلة هذه القدرة العجيبة على «صناعة الغذاء»؟

إنّ ذلك الخالق القادِر العالِم. هو «الله» العالم بكل شيء، القادر على كل عمل.

ذلـك الخالقُ العليمُ القديرُ يحبُّنا، ولهذا توقّعَ ما نحتاج إليه، فخَلَقه وهيّأه، ونحن أيضاً نحبُّه، ولذا نشكر نعمَه، ونطبق تعاليمه.

فمَن عدا الله تعالى يقدر أن يكون هادياً لنا في حياتنا؟

فكّروا وأجيبوا:

١ ـ إلى ماذا تحتاج نبتةُ الحنطةِ لصُنع حبّة القمح؟

٢ ـ إذا لم تشرق الشمسُ على نبتة الحنطة هل كانت تتكوَّن حبّة القمح؟

٣ ـ إذا كانت الأوراق الخضراءُ لا تصنَع حبوب القمح، وغيرها من الأغذية، هل كنا نستطيع أن نصنع الغذاء بأنفسنا؟

٤ ـ مَن توقّع وتحسّب لاحتياجاتنا، وخلق العالم بهذه الهيئة المنتظمة المتناسقة؟

٥ ـ ما هو واجبنا تجاهه، وتجاه نعمه ومواهبه؟

أُدرُس وتحقّق: الاوراق مصانع كبيرة لتصفية الهواء، هل تعلم ذلك.. كيف؟

* * *

الدرس الثامن

تعلمت من كتاب العلوم درس التوحيد

عندما جئت إلى المنزل قال لي والدي: أحمد! ماذا درَستم عصرَ هذا اليوم؟

قلتُ: درَسنا مادّة العلوم.. لقد كان الحديث عن هضم الطعام.. سأل المعلّم: هل تعلمون ما هو المريء؟ أين تقع المعدة؟ ماهي وظيفة الأمعاء؟ كيف يُهضَم الطعام؟

ولقد أُعطى التلاميد إجابات غير صحيحة ولا كاملة!

فقال المعلّمُ: حَقِّقوا في هذه الأسئلة، وحصِّلوا على إجاباتها الصحيحة الكاملة، ثم اذكروها لزملائكم غداً.

ولقد أتيتُ بكتاب «العلوم» لأُحقّق بمساعدة والدِي في هذه الأسئلة.. وقد أتى والدي ـ هو الآخر ـ مِن مكتبته بكتابٍ كان يحتوي على صوَر وأشكال كثيرة.

ثم أراني أحدَ تلك الاشكال والصور وقال: هل ترى هذا الكيس؟

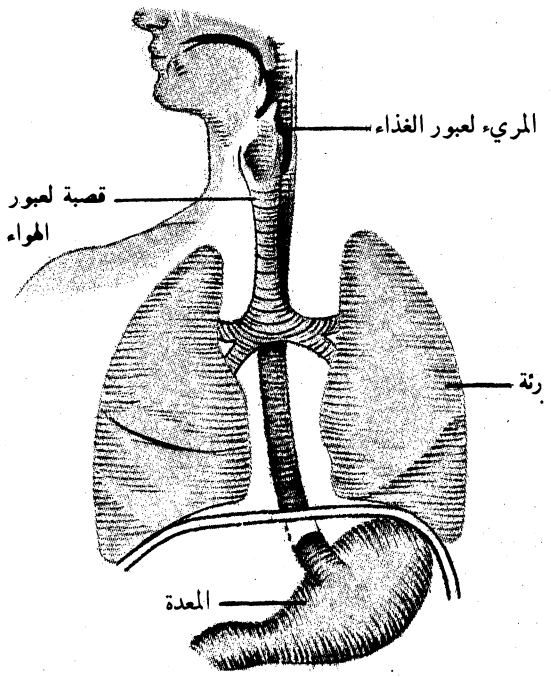

إنّ الغذاء الذي نأكله يصبُّ في هذا الكيس واسمه «المعدة».. هل يمكنك أن تقول كيف ومن أيّ طريق يصل الطعام إلى المعدة؟

فنظرت الى الشكل

وقلت : من المحتَّم أنّ الغذاء يصل عبرَ هذا هذا الانبوب . قال والدي: نعم، صحيحٌ ما قلتَه تماماً.. إنّ إسمه «المريء».

«المريء» يوصِل الحلق بالمعدة.

هذا الانبوب الآخَر يوصلُ الحلقَ بالرئتين. فعندما نتنفّس يدخلُ الهواءُ عبرَ هذا الأُنبوب إلى الرئتين.. هل تعرف ما أُسمه؟

فنظرتُ إلى الصورة، وقلتُ: إنّه قصبة الرئة.

قال والدي: إنّ هذا الطريق هو لعبور الغذاء، وهذا الطريق لِعبور الهواء.

فسألتُ: إذا نزل الغذاء من طريق القصبة فماذا يحدث؟

قال والدي: يجب أن لا يدخلَ الغذاءُ في القصبة وإلّا لسدَّ طريقَ الهواء، وَاْختنَقنا.

قلتُ: إذنْ فلماذا لَم نختنقْ إلى الآن.. فأنا لم أكن أعلمُ قبلَ هذا أنّه يجب أن لا أبتلعَ الطعامَ عن طريق القَصبة الهوائيّة.

قال والدي: بُنّي إنَّ لابتلاع الطعام حكايةً جميلةً جدّاً.

أُنْظر إلى هذا الشكل إنَّ لِلحَلقِ أربعة ممرات وطرق.

١ ـ طريق تنتهي إلى الأنف

٢ ـ طريق تنتهي إلى الفم

٣ ـ طريق تنتهي إلى الرئتين تسمّىٰ «القصبة الهوائية»

٤ ـ طريق تنتهي إلى المعدة يسمّى «المريء».

وعندما نريد أن نبتلعَ الطعام يجب أن تنفتح طريق المريء فقط،ولهذا وضِعَ للحلق بوّابتان : إحدى هاتين البّوابتين تسدّ طريق القصبة ، والبوّابة الأُخرى تسدّ طريق الأنف .

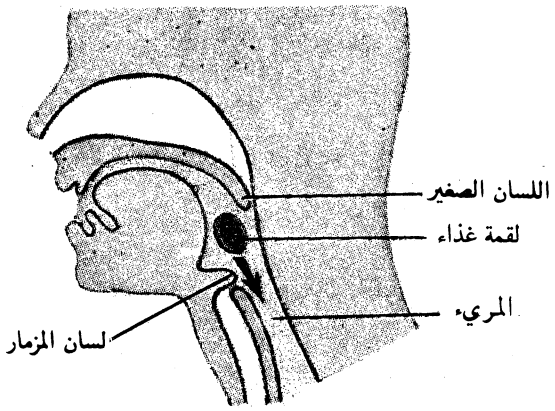

▲ حالة تناول الغذاء

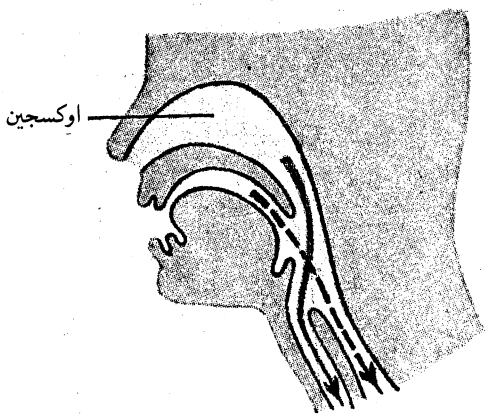

▲ حالة تنفس

وتسمّى البوّابةُ التي تغلق طريقَ القصبة «لسان المزمار».

وتسمّى البوّابة التي تغلق طريق الأنف «اللهاة».

نحن بحاجة شديدة إلى هاتين البَوّابتين.. فاذا لم تكن تلك البوّابتان اذن لاختنقنا بأوّل لقمة نريد ابتلاعها.

قلت: إذن هي نعمة كبرى أنني أمتلك هاتين البوّابتين «لسان المزمار» و«اللهاة» والاّ لاختنقتُ.

قال والدي: عزيزي أحمد! هل تحتمل أن يكون «لسان المزمار» و«اللهاة» قد وُجِدا بنفسيهما، ومِن دون هدف وغاية؟

قلت: كلاّ... لأنَّ عملَ كلِّ واحدٍ منهما، وهدفَه معلومان تماماً.

أحدهما يسدُّ طريقَ الأنفِ

والآخر يسدُّ طريق القصبة.

فلكلّ واحدٍ منهما هدفٌ معيّنٌ، ووظيفة خاصّة، ولم يوجَدا من دون هدف.. ومن المعلوم أنَّ خالِقاً عالِماً خَلَقهما لنا.

قال والدي: أحسنتَ.. صحيح ما قُلتَه تماماً، فانَّ الذي خَلَقنا كان يعلم بكلِّ إحتياجاتنا، ويعرف بكلّ شيء.

إنه كان يعلم أننا بحاجة إلى القصبة الهوائيّة لأنّنا يجب أن نتنفّسَ كما يجب أن نأكل الطعام.

وكان يعلم أنه يجب أن لا يدخل الطعامُ هذهِ القصبةَ.

ولهذه الغاية خلق لنا «لسان المزمار» حتى إذا أردنا أن نبتلع لقمةً من الطعام يَنسدّ بابُ القصبة، ولا يصبُّ فيها الطعامُ.

إنَّ خالقنا إلّه عليم قدير.. إنّه كان يعلم بجميع ما نحتاج إليه، ولهذا هَيَّأهُ لنا من قبل.

مثلاً: خَلَقَ في جدار المعدة آلاف الغُدَد التي تترشّح منها عُصارات خاصّة تصبُّ على الطعام، من أجل هضمه، حتى يصير سائلاً.

وخَلَقَ لنا الامعاء حتى يدخل الغذاءُ ـ المائعُ الشكل ـ من المعدة فيها، ثم يتمّ هضمُ الغذاء، وجذبه، وخلق فينا الصفراء ، ولوز المعدة حتى يصبّا على الطعام سوائل خاصّة تسهِّل عمليّة هضمه وجذبه.. وفي جدران الأمعاء خَلَقَ آلاف الغُدَد الصغيرة التي تصبُّ سوائل خاصة على الغذاء حتى يُهضَم هضمًا كاملاً.

وعندما يُهضَم الغذاء هضمًا كاملاً تمتص موادّه الضروريّة بواسطة جدار المعى، وتدخل في الدّم، وتصل إلى كلّ نقاط البَدَن.

عزيزي أحمد؛ إنّ الجهاز الهضمي المَنظَّم، والمتناسق لم يوجَد من لدن نفسه، ومن دون خالق، بل هيّأه، وخَلَقه لنا إلَهٌ عالِمٌ رحيمٌ.

بأكلنا للطعام نحصل على القوّة والطّاقة ويمكننا بواسطتها أن نعيش ونواصل حياتنا..

إنّ الله العالم الرحيم يمنحنا هذه القوّة وهذه الطاقة عن طريق الجهاز الهضميّ، فعلينا من أجل أن نشكره، أن نصرف هذه القوّة في سبيل طاعته، فنأتمر بأوامره، ونتجنب معصيته وارتكاب المآثم، ونبتعد عن الاخلاق القبيحة، حتى يرضى عنّا جل جلاله، ويهبنا في الدنيا والآخرة نِعَمًا أفضل وأجمل.

لقد قال الله في كتابه:

﴿وَفِي الأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوْقِنِيَن وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبصِرُوْنَ﴾[1]!

* * *

(١) الذاريات ـ ٢٠ / ٢١.

فكّروا واجيبوا

١ ـ ما هو الهدف من «لسان المزمار»؟

٢ ـ ما هو الهدف من «اللهاة»؟

٣ ـ إذا كنّا لا نمتلك هاتين البوّابتين هل كان في مقدورنا أن ناكلَ طعاماً؟

٤ ـ هل خُلِق «لسان المزمار» بنفسه وبلا هدف... ولماذا؟

٥ ـ مِمَّ يتألف الجهاز الهضمي في بدننا؟

٦ ـ كيف يُهضَم الطعام في جسمنا؟

٧ ـ هل الجهاز الهضميّ مجموعة غير مترابطة ولاهدف لها؟

٨ ـ هل نحن صنعنا هذا الجهاز المنظَّم المتناسق بأنفسنا؟

٩ ـ ماذا نستنتج من مشاهدة التناسق والترابط والهدفيّة الموجودة في الجهاز الهضميّ.

١٠ ـ لكي نحظى بِنعَم إلهية اكثر وأجمل ماذا علينا أن نعمل؟

* * *

الدرس التاسع

الجهاز الدموي والجهاز التنفسي

في هذا الدَّرس نتعرّف على بعض الأسرار في جسمنا ونعرف أكثر التناسق والترابط، والغرض الواضح الذي خلقت من اجله هذهِ الاجهزة المعقدة التي لا حصر لها ونعرف من خلالها وبمشاهدة آثار القدرة الآلهية عظمة الخالق وحتمية وجوده، وان آثاره جل جلاله تدل عليه كما لا يخفى.

إنّكم تعلمون أنّ الدّم يدور ويجري في عروق الجسم على الدوام، فهل علمتم فوائد هذا الدوران، وما هي الحكمة منه؟

إنَّ الدّم مثل الماء يمرّ على جميع خلايا الجسم، ويحمل إليها الغذاء والأُوكسيجين.

إنّ أهم أعمال الدم هو إيصال الاوكسيجين إلى جميع الخلايا في البدن، لأنّه إذا لم يصل الاوكسيجين إلى خلايا البَدَن مات على الفور.

إنّ حرارة البَدَن، وقوّته، تُضمَنان بواسطة الأُوكسيجين.

إنّ مهمّة إيصال الأُوكسيجين تقع على كاهل «الكُرَيات الحُمر» فهذهِ الكريات، السابحة في الدّم تدور وتجري في البَدن، وتوصل الأُوكسيجين إلى جميع خلايا البَدَن.

ولكنْ هل تعلمون أنّ دوران الدّم لا يتمُّ بنفسه، بل هناك مَضَخَّةٌ قويّة جدّاً تؤدّي هذا العمل.. تلك المَضَخَّة القويّة تعمل على الدّوام، وتدفع الدّم وتجريه في جميع نقاط البَدَن.

هل تعرفون هذه المضخّة القويّة؟ اذكروا إسمها

إنّ «الكريات الحُمر» ـ التي تحمل معها الأُوكسيجين ـ تدخل بواسطة دقّات القلب إلى أكبر وريدٍ في البدن، وهذا الوريد يتشعّب في البدن، وتتشعّب كلُّ شعبة إلى

شعَب وعروق أدقّ، وأرقّ، وآخر هذه العروق وأدقّها هي «الشعيرات الدَمويّة».. والدّم يصل الى الخلايا الكثيرة الموجودة في الجسم بواسطة هذه الشعيرات وتوصل الكريات النشطةُ الأُوكسيجين الذي تحمله معها إلى هذه الخلايا، فتحتفظ به وتأخذ منه غاز الكربونيك الذي هو غاز سامّ، فيتكدّر لونُ «الكريات الحُمر» نتيجة امتصاص هذا الغاز السامّ، ولو أنها بقيت على هذا الحال عدّة دقائق ماتت بأجمعها، فيحلُّ بنا الموتُ على أثر ذلك أيضاً.

إنّ هذهِ الكريات تحتاج إلى الاوكسيجين حتى تعود حمراء نشطة مرّةً ثانية، وحتى تستأنف عملها ووظيفتها من جديد، ولكنْ مِن أينَ تأخذ الأُوكسيجين، وكيف تشرع في عملها مرّةً ثانية؟

انها يجب أن تعودَ إلى القلب حتمًا، ولكي تعود الكريات الذابلة المتكدرة اللون إلى القلب، تحتاج إلى عروق أُخرى حتى تعيد تلك الكرات الذابلة إلى القلب مرة ثانية.

إنّ خالقنا الكبير عَلِمَ بهذه الحاجة، فخلق في أجسامنا عروقاً أُخرى لاعادة الكريات إلى القلب.. والعجيب انّ هناك بواباتٍ قد رُكِّبَتْ في هذه العروق حتى تمكّن من حركة الدم في اتجاه القلب فقط.. ويقوم القلب بجذب الدّم المتكدّر والكريات الذابلة من طريق هذه العروق (الشرايين).

ولكن عندما يصل الدم المتغيّر إلى القلب هل يختلط بالدم الجديد النشِط ؟ كلّا.. لا يختلط لأنّ خالقَنا العليم خلق في وسطِ القلب جداراً غليظاً قويّاً، حتى لا يختلط الدم المتَغير بالدم الجديد النشيط، ويبقى كُل واحد منهما في مكانه الخاص.

والآن وَصَلَت الكريات المتغيرة الذابلة إلى القلب فماذا يحدث؟ ان القلب لايوجد فيه الأُوكسيجين.. وها هي الكريات تكاد تموت.. واذا ماتت نموت نحن على الفور أيضاً.. انها تحتاج إلى الاوكسيجين.. إنّها تريد أن توصل نفسها إلى الهواء الطلق وتستفيد من الاوكسيجين الموجود فيه.. فماذا يحصل؟

لقـد أوجدَ خالقُنا العظيمُ العليمُ طريقاً من القلب إلى الرئتين حتى توصل الكرياتُ نفسَها من هذا الطريق إلى الرئتين، وتستفيد من الهواء الطلق الموجود فيهما.

إنّ القلب بدَقّـةٍ واحـدةٍ من دقّـاته يبعث الكريات المتعبة الذابلة من هذا الـطريق إلى الـرئتـين.. وتوصِل الكريات نفسَها. إلى الهواء الطَّلق الموجود داخل الرئتين.. وهناك تأخذ الأُوكسيجين.. وتدفع غاز الكربونيك.

هل تعلمون كم هو عدد «الكريات الحُمر» العظيم في الدم..؟ ونظراً إلى عدد «الكريات الحُمر» الكبير هل يكفي الفضاءالموجودداخل الرئتين لتنفسّها جميعاً؟ هل تستطيع جميعها أن تقترب إلى الهواء الطلق فتأخذ الأُوكسيجين، وتدفع غاز الكربونيك.

أجل!! إنّ خالقَنا العظيمَ العليمَ، العارفَ بكل إحتياجاتنا هَيّأَ لنا في الرئتين ملايين الأكياس الهوائية.

هذه الأكياس الهوائية تمتلىء مع كلّ شهيق، مِن الهواء الطّلق، وهنا تقترب الكريات الحُمر مِن الهواء الطَلْق.. فتأخذ الأُوكسيجين، وتعود إلى القَلب وتستأنف وظيفتها من جديد وتوصلُ الأُوكسيجينَ إلى خلايا البَدَن التي تنتظر هذا الغاز الحيويّ، وبذلك تضمن الحرارة والطاقة للجسم.

مَن غير «الله» العالم الرحيم كان يعرف بعدد «الكريات الحُمر»، ولهذا خلق لتلبية حاجتها إلى الهواء الطَلق ملايين الأكياس الهوائيّة في الرئتين؟

إنّ الجهازَ التنفّسي، والجهازَ الدمويّ مترابطان ومتعاونان، وموجودان لهدفٍ واحد، فهل هذه الأجهزة الدقيقة المنتظمة وُجِدت مِن لدن نفسها، ومن دون هدف وغاية؟

هل يمكن للمادّة الجاهلة، الفاقدة للشعور والإدراك أن تَخلق مثلَ هذه الأجهزة الدقيقة الهادفة؟

مَن غير «الله» العالِم القدير يمكنه أن يوجِدَ مثل هذه الأجهزة الدقيقة.. المتقَنة؟

بمشاهدة الجهاز التّنفسي والدّمويّ الدقيقين المنظَّمين، والتناسق والتعاون الخاصّين السائدين بينهما، نتعّرف على عظمة خالقها، ونزداد معرفةً بنعَمِه التي لاتُحصى.. إنّنا نعرفه بشكلٍ أفضل، ونعبده بنحوٍ أفضل.

يقول في القرآن الكريم:

﴿لَقَدْ خَلَقْنا الْإِنْسانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ﴾[1].

أجبْ على هذه الأسئلة بدقةٍ وبعد تفكير

١ ـ ما هي فائدة دوران الدم في البدن؟

٢ ـ ماذا تفعل الكريات الحمر في البدن؟

٣ ـ بماذا يدور الدّم ويجري في الجسم؟

٤ ـ كيف تعود الكريات الُحمر المتغيّرة الذابلة إلى القلب؟

٥ ـ هل تختلط الدماء المتغيرة الذابلة مع الدماء النظيفة في القلب؟

٦ ـ من أين تأخذ الكريات الأُوكسيجين؟

٧ ـ هل تستطيع جميع الكريات الاستفادة من الهواء الموجود في داخل الرئتين؟

٨ ـ ماذا كان يحدث اذا لم يكن للكريات الحمر طريق عودة إلى القَلب؟.. ومِن أيّ طريق تعود الكريات إلى القلب؟؟

٩ ـ ماذا كان يحدث إذا لم يصل الأُوكسيجين إلى الخلايا؟

١٠ ـ كيف يدخلُ الأُوكسيجينُ إلى داخل الرئتين؟

١١ ـ إذا كنّا لا نمتلك الرئتين والجهاز التنفّسي ماذا كان يحدث؟.. وكيف يتمُّ تصفية الدّم؟

١٢ ـ ماذا كان يحدث اذا لم يكن الأُوكسيجين في الهواء؟ من أين كانت الكريات تأخذ الأُوكسيجين؟..وكيف كان يمكننا أن نواصِل حياتنا؟

---

(١) التين ـ ٤.

١٣ ـ هل الجهاز التنفّسيّ، والجهاز الدمويّ مع هذا الترابط والتناسق العجيبين، وُجِدا من لدُنْ نفسيهما؟

١٤ ـ ماذا نستنتج من مشاهدة التنظيم والتناسق الموجودين بين أجهزة البدن؟

* * *

الدرس العاشر

دورة الماء في الطبيعة من اجمل مظاهر التنظيم والتناسق في الكون

توزيع الماء بين الكائنات أمرٌ عجيب وجميل جدّاً... المصدر الأصلي للماء هو المحيطات والبحار والبحيرات.. ومن هذه المنابع الغنيّة تتوزع المياه في جنبات الأرض.

مياهُ المحيطات والبحـار، والبحـيرات تتبخّـر شيئاً فشيئاً على أثر سطوع الشمس، ويتصاعد البخار إلى السماء، ثم يتحرك هذا البخار يَمنة ويَسرةً مع حركة الرياح.. وعندما تنخفض درجة الحرارة والضغط إلى حدّ معيّن يتكاثف البخار، ويصير في صورة غيوم، وتتحرك هذه الغيوم مع حركة الرياح السريعة أو البطيئة، وتتجمع فوق بقـاع مختلفـة من الارض، وتصبح مُهَيَّأَةً للإمطار، وسَقي النباتات والأشجار المتواجدة في قمم الجبال العالية، وبطون الغابات النائية، وإروائها بالماء.

ينزل ماءُ المطر على الأرض تدريجياً، ..ويختزن في باطن الأرض لأيّام الحاجة.. المياه المختزنة تنبع تارة من سفوح الجبال، وتارةً يستخرجها الانسانُ بالجهد والمشقّة.. فيحتفر بئراً أوقناةً، ويستفيد من خزّانات المياه الجوفيّة الطبيعيّة.

حبّـات المطر تتجمد أحياناً، وتصير في هيئة الثلج، وتنزل وهي تدور حول نفسها، وتحطُّ على الأرض بهدوء وجمال رائعين.

الثُلوجُ مفيدة للنبـاتـات جدّاً.. فهي تذوبُ تدريجـاً، وتُختَزَن في مستودعات الأرض الجوفيّة، أو تجري في الأنهر والشطوط، وتصبح في متناول أيدي مَن يحتاجون إليها، إلى أن تصبَّ في البحار اخيراً.

إنّ خاصّية تصاعد البخار، وتنقّله من مكان إلى مكان آخر بواسطة الرياح هو الآخر جدير بالتأمّل والإمعان.. فإذا لم تكن قوّة الرياح، كيف كانت السحب تنتشر في الفضاء العريض؟ أم كيف كانت تتحرك وتنتقل إلى هنا وهناك؟

اذا لم تكن أشِعَّة الشمس الحارّة هل كانت مياه البحار تتبخّر؟ واذا كانت مياه البحار لاتتبخّر إلاّ إذا كانت شدّة الحرارة مائة درجة هل كان يبقى منها ما يكفي للاحياء؟ وهل كانت الحياة في هذه الصّورة ممكنة للبشر؟

إذا كان المطر لا ينزل قطرةً قطرةً ماذا كان يحدث من مشاكل؟ مثلاً لوكان المطر ينزل من السماء دفعةً واحدة، وفي صورة أنهر غزيرة المياه ماذا كان يحدث عندئذٍ؟ هل كان في مقدور الأمطار أن تغوص في الارض، وتنفذ في التربة لتُختزن لوقت الحاجة هناك؟

إنّ خاصيّة المطر، والثلج ودورهما في تصفية الهواء هو الآخر جدير بالتأمّل والإمعان.. فإذا لم تأخذ الأمطار والثلوج السُّموم والشَّوائب مِن الهواء هل كان في إمكاننا أن نتنفّس براحة؟

والآن عرفتم جيّداً ما هي خواصّ الماء والمطر والثلج القيّمة، وفوائدها الثمينة؟ وعرفتم كيف تعمل البحار والشمس والرياح والسُحب والمياه في تَعاونٍ وتناسقٍ دقيقين، وبصورة منتظمة ومنسجمة لتهيء لنا ولحياتنا وحياة سائر الكائنات الحيّة الوسائل اللاّزمة؟

إنّ هذا التنظيم والترتيب، وهذا التناسق والتعاون دليلٌ على ماذا؟ هل هناك دليلٌ افضل من هذا يدلُ على أن هذا النظام الكونيّ العظيم وليدُ عقل عظيم، ونتاجُ تدبير دقيق؟

ألا يقول لنا هذا النظم والترتيب: انّ ذاتاً عالمة قادرة هي الّتي تحسبَّتْ لكلّ هذه الأُمور وهي التي خلقت الانسان وسائر الكائنات، وخلقت إلى جانبها كل ما تحتاج اليه عاجلاً وآجلاً؟

والآن، وبعد أن وقفنا على قيمة الماء وأهميّته وخواصّه أفضلَ واكثر من ذي قبل، يجب أن نرى ما هي الوظيفة التي فرضها الله تعالى علينا في مقابل هذه النعمة.؟

إنّه يأمرنا بأن نستفيد من هذه النعمة الحيوية.. نشكره، ونطيعه، نشرب من الماء ونسقى الآخرين.. ننظّف به أنفسنا وبيئتنا التي نعيش فيها... بقدر احتياجنا اليه

حتى لا نصرفه عبثاً بل نقتصد في استهلاك الماء حتى لا يواجه الآخرون شحّاً وضيقاً في الماء.. لا نلوّث الأنهار والبحار، وبخاصّة سواحل البحار وشواطئها.. نسعى في حفظ المياه الجوفيّة، ونستفيد من هذه النعمة الآلهية الكبرى في تعمير الأرض، وتوفير الحاجات العامّة بصورة جيّدة.

يقول الله تعالى: ﴿الله الّذي يُرسِلُ الرِّياحَ فَتُثيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ في السَّماءِ كَيْفَ يشاءُ ويَجْعَلُهُ كِسَفاً[١] فَتَرى الْوَدْقَ[٢] يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أصابَ به مَن يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إذا هُمْ يَسْتَبْشِرُون[٣] أَلله الّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ[٤] لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ في الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ[٥].

هُوَ الَّذِيْ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً لَكُمْ مِنْهُ شَرابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيْهِ تُسِيْمُوْنَ[٦]. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُوْنَ وَالنَّخِيْلَ وَالْأَعْنابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُوْنَ[٧].

وَالله الّذي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيْرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُوْرُ﴾[٨].

* * *

(١) كِسَفاً: قطعاً.
(٢) الودق : المَطَر.
(٣) الروم ـ ٤٨.
(٤) سخّر: ذلّل.
(٥) ابراهيم ـ ٣٢.
(٦) تسيمون: ترعون إبلكم.
(٧) النحل ـ ١٠/١١.
(٨) فاطر ـ ٩ النشور: الحياة بعد الموت.

فكّروا واجيبوا

١ ـ أين المصدر الأصليّ للماء؟

٢ ـ كيف توجَد السّحب والغيوم، وكيف تنتقل من مكان إلى مكان آخر؟

٣ ـ عَدِّدوا فوائد المطر.

٤ ـ مِن أين تُضمَن ميٰاه العيون والقنوات؟

٥ ـ بيّنوا التناسق والنّظام **الدقيقين** السائدَين في دورة الماء في عالم الطبيعةُ.

٦ ـ على أيّ شيء يدلُّ هذا النّظم والتناسق؟

٧ ـ ما هي وظيفتنا تجاه هذه النعمة الالٰهيّة الحيويّة؟

٨ ـ احفظوا الايات وتعلموا ترجمتها وتفسيرها جيداً.

* * *

الدرس الحادي عشر

نظرة في عالم الخلق

كلُّ ظواهـرِ الكون خُلِقت جميلة ومنظَّمة تخضع لحسابٍ دقيقٍ، ويسود بينها ترابطٌ وتناسق خاص.

أجَـلْ كلُ ظواهر الكون جميلةٌ إلّا أنّ الشمس من بين هذه الظواهر تمتاز بمكانة خاصّة.. فهل فكّرتم إلى الآن في عِظمة هذه الظاهرة العظيمة وجمالها الخلّاب؟

أُخرُجوا إلى خارج البلد عند طلوع الشمس، أو اصعدوا على أسطح منازلكم، وانظروا بزوغ الشمس.

أُنظروا كيف تطلع الشمس من وراء الجبال بهدوء شيئاً فشيئاً.. وتنشر أشعتها على السّفوح والوهاد، والحقول والمزارع بصورةٍ جميلةٍ ورائعةٍ جدّاً.

ما أعظم هذا الجبال، وهذه الروعة التي تمنحها هذه الكرةُ المشرقةُ للجبلِ والسَّهلِ والحقل والمزرعة؟

فكّروا اذا لم تطلع الشمس، وكانت الحياة ليلاً ومظلمةً دائماً، ماذا كنّا نفعل؟

هل فكّرتم من أين وكيف توجِد هذه الشمسُ كل هذا النور وهذا الحراره؟ هل تعلمون كم هو حجم الشمس؟

إنّ حجم الشمس يعادل تقريباً مليون مرة قدر حجم الأرض، يعني لو أنّ كرة الشّمس كانت مفرّغةً لاتَّسَعَتْ لاحتضان مليون كرة مثل الكرة الارضية في جوفها.

إنّ الحـرارة على سطح هذه الكـرة الكبيرة والملتهبة هي «٦٠٠٠» درجة.. أتعلمون لماذا لا تحترق الكرة الأرضيّة وما عليها رغم كلّ هذه الحرارة الهائلة؟ لأنّ الشّمس تبعد عن الأرض بمسافة مناسبة ومعيّنة وهي (١٥٠ مليون كيلومتر) تكفي لإيصال القدر اللّازم من النّور والطاقة إلى الأرض.

هل تعلمون إذا لم تكن المسافة بين الشّمس والأرض بهذا القدر ماذا كان

يحدث؟ اي إذا كانت المسافة بين الشّمس والأرض أقلّ من هذا المقدار، مثلما إذا كانت نصف المسافة الحاليّة ماذا كان يحدث؟! الذي كان هو أنه لم يبق أيّ كائن حيّ على سطح الأرض،وكانت حرارة الشمس تحرق كلّ النباتات والحيوانات والناس وتقضي عليها جميعاً.

واما إذا كانت المسافة بين الشَّمس والأرض اكثر من هذا القدر مثلما إذا كانت ضعف المقدار الحالي ماذا كان يحدث في هذه الحالة؟ اذن ما كان النور والحرارة يصلان بالمقدار الكافي إلى الأرض، ولخمد كلُ شيء، وانطفأ، وتثلّجت المياه، ولم تعد الحياة ممكنة، ومن الواضح أنّ هذه المسافة، وهذا الترابط مدبر ومقدّر.

بواسطة ضوء الشّمس وحرارتها تنمو سنابل القمح الجميلة، هكذا كما نراها، وبسبب سطوع اشّعة الشّمس المحرقة تنمو جميع النباتات والأشجار، ويتهيّأ للبشر الفاكهة والغذاء.

إنّ ألوان الطعام والغذاء التي نستفيد منها قد وُجدت بفضل الطاقة الشّمسية، التي تُدَّخر في النباتات وبقيّة الأغذية، ونحن نأخذ منها القوّة والطّاقة.

الحيوانات هي أيضاً تستفيد من الطاقة المدَّخرة في النباتات، وتحوِّلها لنا في صورة الأغذية الحيوانية.

مثـلاً تأكـل العَلَف، وتقدّم لنا اللبن، ونحن نستفيد من اللّحم، والمشتقات المأخوذة من اللّبن واللحم.

أنتم، وبمـلاحـظة عظمة الشمس وجمالها، والتفكر فيها، وملاحظة الفاصلة الدقيقة المدروسة بين الشمس والأرض، واستفادة النباتات والحيوانات والبشر من حرارتها وضوئها ماذا تفهمون؟ وماذا تستنتجون؟ وماذا تفهمون من مشاهدة الترابط والتناسق العجيبين السائدين على جميع أجزاء الكون؟ ماذا ترونَ؟ هل ترونَ مجموعة غير منظمة وغير متناسقة، أو ترونَ مجموعةً مترابطةً ومتناسقةً تماماً؟

حتمًا تجيبون: إنّا نشاهد مجموعة كبرى مترابطةً ومتناسقةً تماماً.. ونحن جزءٌ منها أيضاً.

ماذا تستنتجون من الترابط والتنظيم والتناسق الدقيق السائد في هذه المجموعة الكبرى. التنظيم والحسابُ الحاكم على جميع أجزاء هذا العالَم العريض على ماذا يدلُّ؟

هل يمكن أن نجيب بصورةٍ غير عاقلةٍ على هذا السؤال ونقول: إنّ خالق هذه المجموعة العظيمة موجود غير عالِمٍ وغير قادر؟

إنّ هذه الإجابة لا يرتضيها ضميرُنا اليقظ الحيّ، وعقلُنا الواعي أبداً، بل يقول: إنّ التنظيم الدقيق، والترابط والتناسق في هذه المجموعة العظيمة آية واضحة على عظمة خالقها، وقدرته وعلمه، ذلك الخالق الذي استطاع أن يقدّر موجودات العالم مثل هذا التقدير، ويخلقها، ويتوقّع كلَّ احتياجاتها، ثمّ خلقها عن وعيٍ وبصيرةٍ كافية، وجعلها تحت اختيارنا وجَعَل لكلّ واحدٍ منها هدفاً، وطريقاً.

مَن هو ذلك الخالق القدير العليم؟

ذلك الخالق القادر العليم هو «الله» الذي خلق هذه النِعمة لنا، وجعلها في متناول أيدينا.. سخّر لنا الشمس والقمر والأرض، حتى نعّمر الأرضَ بجهدنا ونكشف القناع عن أسرار الكون وعجائبه من خلال تحصيل العلم والمعرفة، ونهتدي إلى آيات العظمة الآلهيّة، آيات ربّنا العظيم، وننظر من خلال هذه الآيات إلى قدرته، وكماله المطلق، ثم نعمد إلى مناجاته فان:

«أجمل حالات الانسان وأسماها هي عندما يعمد إلى مناجاة معبوده، وإذا لم يكن دعاء الانسان ومناجاته مع ربّه ماذا كانت قيمة الحياة.. نعم لم يكن للانسان أيّة قيمة».

فكّروا في نشأة اللّيل والنهار، ثم ناجوا مُوجِدَهما العظيم كلّ صباح ومساء، وكل ليل ونهار.

إنّكم تعلمون أنّ الليل والنهار ينشئان على أثر حركة الأرض الوضعية، فالأرض تدور حول نفسها كلّ يوم وليلة مرّة واحدة.. نصف الأرض المواجه للشّمس يكون مضاءً، فيكون نهاراً فيه، والنصف الآخر مظلمًا فيكون ليلاً.

ومع دوران الأرض حول نفسها كأنّ الليل يدخل في النهار، والنهار في الليل، وهكذا يتبع الليلُ النهارَ والنهارُ الليلَ بانتظام.

في النهار تنمو النباتات والاشجار في ضوء حرارة الشّمس، ويشتغل البشر بأعمالهم ومكاسبهم، وفي سكون الليل يستريحون، ويستعيدون قواهم، ونشاطهم، ويستعدّون لشوط جديد من الجهد والكدّ والخدمة والعبادة. في اليوم القادم.

هل فكّرتم لو لم تُقدَّر الحركةُ الوضعية للأرض بهذا التنظيم والحساب المدروس ماذا كان يحدث؟

لو كانت بعض بقاع الأرض ليلاً، ومظلمةً وباردةً تماماً، وكان البعض الآخر منها نهاراً، وشمسه مشرقة وحارّة أبداً ماذا كان يحدث تُرى؟

إنّ ظهور الليل والنهار هما أيضاً من الدلائل الباهرة والآيات الظاهرة على قدرة الخالق وعظمته وعلمه.

يقول الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذي جَعَل الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوْراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنينَ وَالْحِسابَ ما خَلَقَ الله ذلِكَ إلاّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ﴾[1].

﴿وَمِن آياتِـهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَمابَثَّ فيهِما مِنْ دابَّةٍ وَهُوَ عَلى جَمْعِهِمْ إذا يَشاء قَدِيْرٌ﴾[2].

﴿إِنَّ في خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاْختلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الّتي تَجْري في الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاسَ وَما أَنْزَلَ الله مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيابِهِ الْأَرْضَ بَعْدَمَوْتِها وَبَثَّ فيها مِن كُلِّ دابّةٍ وَتَصْريفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3].

---

(١) يونس - ٥.

(٢) الشورى - ٢٩.

(٣) البقرة - ١٦٤.

فكّروا واجيبوا

١ ـ من اين تكتسب كائنات الارض الطاقةَ؟

٢ ـ بماذا تنمو النباتات وتثمر؟

٣ ـ مِن أين تهيّئ الحيوانات طاقتها؟

٤ ـ هل هناك ارتباط بين الشَّمس وبين النباتات والحيوانات؟

٥ ـ ما هو هذا الارتباط؟

٦ ـ إذا كانت الفاصلة بين الشَّمس وبين الأرض أقلَّ ممّا هي عليه الآن ماذا كان يقع؟

٧ ـ من أين ينشأُ الليلُ والنهارُ؟

٨ ـ ماذا كان يقع لو أنّ الحياة كانت ليلًا دائمًا أو نهاراً دائمًا؟

٩ ـ هل العالم مجموعة متناسقة؟ وضِّح ذلك!

١٠ ـ ماذا تستنتج من هذا الترابط والتناسق؟

١١ ـ ما هي وظيفتنا تجاه هذه النعمة؟

١٢ ـ احفظوا الايات وتعلموا ترجمتها وتفسيرها

* * *

الدرس الثاني عشر

لكل ظاهرة حادثة علة

أنتَ تحرّكُ يدك، وترفعُ القلم من على المِنضدة، ولكنّ صديقك لا تتحركُ يدُه، ولا يرفع القلم لماذا؟ لأنّك أردتَ أن ترفعَ القلمَ، وزميلك لم يرد ذلك.

إنّ إرادة رفع القلم ظاهرة جديدة تحقّقت في نفسك. إنّ هذه الظاهرة الجديدة أوجدتَها أنتَ. إنّ الارادة تتعلّق بك، وهي من فِعل نفسكِ، وحركة اليد هي أيضاً تتعلّق بك، وهي من فعل أرادتك.

أنتَ لم تحرّك قبل هذا يدَك، لأنّك لم تُرِد ذلك، ثم اردتَ ذلك فيما بعد، وبعد هذه الارادة حرّكت يدكَ ورفعتَ القلمَ.

إنّ ظاهرة الارادة «معلولة» لكَ، فانتَ إذا لم تكن، لم تكن هناك إرادة أيضاً.

إنّ وجود الارادة ليس من عند نفسها، بل هوَ مِنكَ أنتَ.

إنّ بينك وبين إرادتكَ علاقةً وارتباطاً خاصّاً يسمّى «علاقة العلّة بالمعلول».

إنّك تشاهد في وجودك ـ وبوضوح ـ هذه العلاقة الخاصّة، وتَعرف بها تماماً.

مثالٌ آخر: لقد سبق لك أن رأيتَ غصنَ وَردةٍ.. تصوّرْ هذه الوردة في ذهنك.. والآن فكّر في تلك الصورة الذهنيّة للوَردة.. إنّ صورةَ الوردة ظاهرةٌ جديدةٌ قد وُجِدَت في ذهنك فهل وُجِدَت هذه الصورة بنفسها أم أنتَ قد أوجدتَها؟

من المعلوم أنّك أنتَ الّذي أوجدتَها.. إذا أنتَ لم تكن لم يكن لصورة تلك الوردَة أيُّ وجود أيضاً.

إنّ هذه الصُّورة الذهنيّة ترتبط بك، يعني أنّ وجودَها ليس من نفسِها، بل أخذتْ واكتسبتْ وجودَها منكَ.. أنت «العلّة»، والصُّورة الذهنيّة هي «المعلول»، وهذه العلاقة الخاصّة تسمّى «العلاقة بين العلة والمعلول».

إنّك تحسُّ بهذا الارتباط والعلاقة في قرارة نفسك، وتعرف بها جيّداً.

وعلى هذا نستنتج بأنّك وأيّ إنسان آخر، يجد في داخل نفسه مسألة «العِليّه» ويحسّ بها وجدانيّاً.

هذا مضافاً إلى أنّك تجد هذه العلاقة الخاصّة أي الرابطة بين العلة والمعلول ـ بينك وبين أعمالك البدنيّة والفِكريّة أيضاً. فانتَ تنسبُ تلك الأعمال إلى نفسك ـ التي هي في الحقيقة علّتها وتقول: أنا رأيتُ، أنا سمعتُ، أنا لمستُ، أنا شممتُ، أنا تذوّقتُ، أنا تحرّكتُ، أنا فكرت .. وتعتبر نفسك «علةً» وأفعالك ـ كالرؤية، السّماع، اللّمس الشمّ، التذوّق، الحركة، التفكير «معلولةً» لنفسك، ومرتبطةً بها.

إنّ هذه الأفعال تنبع من وجودك، وإذا لم تكن انتَ لم يكن لأفعالكَ وحركاتك أيُّ وجود أيضاً.

إنّ الانسان يحسُّ بارتباط «المعلول بالعلّة» الذي يدعى: «قانون العلّية» أو «قانون العلة والمعلول» بين نفسه وأفعاله النفسانية والذهنيّة، وحركاته وأعماله، ويعلم بها علماً حُضُورياً أوّلاً، ثم يعدّي هذا القانون إلى خارج وجوده.

قانون «العلية» قانون اصيل وحتميّ وعامّ

إنّ الإنسان ـ إنطلاقاً من ذلك الإدراك الحضوريّ ـ يشاهد الظواهر الخارجيّة أيضاً ويدرسُها، فكلّما وجد ظاهرةً يتوقّف وجودُها على ظاهرة أُخرى، عرف أنّ بين هاتين الظاهرتين علاقة «العلةوالمعلول» أيضاً، وفي هذه الصُّورة يحكم بأنّ الظاهرة التي تحتاج في وجودها إلى الغير، هي «المعلول» وذلك الغير الذي أوجب وجود الظاهرة هي «العلّة».

إنّ الانسان ـ في ضوء الدِّراسة والمطالعة، وفي ضوء التجارب الكثيرة ـ يدرك هذا الأمر جيّداً، وهو أنّ بين بعض ظواهر الكون، وظواهر أُخرى نوعاً من العلاقة والـرابطة، من نوع الرابطة القائمة بين نفسه وبين ظواهره النفسيّة الحادثة، وعلى أساس هذا الإدراك العميق يُعتبر قانون «العليّة» قانوناً عامّاً شاملاً.

إنّ إنتظار الانسان نتيجةً مطلوبةً عقيب كلِّ عمل يقوم به، خير شاهدٍ على

أنّه قد قبِل بكون قانون «العليّة» قانوناً كليّاً عامّاً.. إنّه ينتظر الإرتواءِ من شرب الماء، والشبع من أكل الطَعام، كما أنّه يلجأ فراراً من البرد إلى النّار، ومن الحرارة إلى الفيء.

وعلى كلٍّ حالٍ إنّ كل واحدمنا قد قبل ـ في حياته اليوميّة وفي جميع حركاتنا ونشاطاتنا ـ بـ «العليّه» كأصلٍ قطعيٍّ، ومبدأٍ شاملٍ، ونرتّبُ الأثر على ذلك.

لا ظاهرة من دون علةٍ

إذا انفتـح بابُ الغرفة، ولم تشاهد الشخصَ الذي فتحه، كيف تفكر؟ هل تحتمل أنّه انفتح بنفسهِ (أيْ مِن دُون علّةٍ)؟

وإذا سمعتَ صوتاً ولم تر صاحبَه كيف تفكّر؟ هل تحتمل أنّ ذلك الصوت وُجِدَ صِدفةً (أي مِن دُونِ علّةٍ مناسبةٍ)؟

إذا أحسستَ ببرودةٍ أو حرارة هل تحتمل أنّ ذلك حدث من دون علّة؟

إذا ارتـطمت حصاةَ بزجاج النافذة وكسرتهُ، ولم تشاهد رامي الحصاة، ماذا تفكّر؟ هل تحتمل أنّ الحصاة انفصَلَت عن الأرض بنفسها، وارتطمت بزجاج النافذة من دون علّة؟

إنّ إجابتكم على هذه الأسئلة واضحة بلاشك، لانكم ستقولون: نحن نمتلك عقلاً وشعوراً، ونعلم أنه لا توجَد أيّة ظاهرة في الكَون من دون «علّة» وفاعل، وإن لم نشاهد نحن تلك العلّة، وذلك الفاعلَ، لأنّ عدم الوجدان لا يدلُّ على عدم الوجود، ولهذا فإنّك تبقى تفتش، وتواصل بحثك حتى تقف على «العلّة الحقيقيّة»، ولو أنّك لم تقف على «العلّة» ـ إفتراضاً ـ لا تقول ليست لهذه الظاهرة «علّة» بل ستقول: إن «علّةَ» هذه الظاهرة مجهولةٌ لنا.

إنّ العلماءَ والمخـترعين قبلوا بقانون «العِليّة» الكلّي، لهذا بذلوا تلك الجهود الكبرى للوقوف على عِلَلِ الأشياء، وكلّما وقفوا ـ ضمن الاختبار والتجربة ـ على ظاهرة جديدة عرفوا بيقين أنّ لهذه الظاهرة الجديدة «علّة»، ولهذا عمدوا إلى إجراء تجارب جديدة بهدف الوقوف على علّتها، وظلّوا يواصِلون البحث والتفتيش حتى

يقِفوا على «علّة» تلك الظاهرة الجديدة في المآل.

للكون علة ايضاً

نحن نعلم أنّ قانون «العليّة» مبدأٌ قطعيٌّ وقانون حتميّ وعامٌّ، ولا توجَد أيّة ظاهرة من دون «علّة»، ولكلّ ظاهرة من الظواهر الكونيّة «علّة..» إنّ هذا القانون العامّ موضع قبول الجميع على الاطلاق.

إنّ لكلِّ ظاهرةٍ حادثةٍ «علةً»، وعلُّتها هي أيضاً لو كانت ظاهرةً حادثةً كان لها «علَّةٌ»، وعلى هذا الأساس يكون عالَمُ الخلق كلُّه مرتبطاً بـ (علة) فوقه، لكونه ظاهرةً محتاجةً، ولا يمتلك وجوداً من نفسه.

وأساساً الحاجةُ إلى الغير أوّل خصائص الظاهرة الحادثة.. فكل ظاهرة حادثة، كبيرة كانت أو صغيرة، محتاجة إلى غيرها، ومتوقّفة عليه. وإنَّ وجودَه ليس من نفسه، إذ لو كان وجودُه من نفسه لكان موجوداً دائمًا، كما لم يكن محتاجاً، ولكنّ عالَم الظواهر محتاج إلى الوجـود، ولهذا فهو يحتاج إلى ذاتٍ أعلى غير محتاجة حتى تكونَ منبعَ الوجود، وواهبة لجميع هذه الظواهر الحادثة والكائنات المحتاجة المحدودة.

تلك الذات الأعلى، وذلك الموجود الفريد غير المحدود الذي هو منبع الوجود والذي لا يكون فيه أيُّ حدٍّ ونقص وحاجة هو «الله» تبارك وتعالى.

فهو الذي خَلَقَ العالَم، وهو الذي يدبّره بإفاضاته وعناياته، ويربيه، ولو أنّ فيضه ورحمته انقطعت لحظة واحدة لم يكن هناك شيء، وكان كلُّ شيء باطلاً وعَدَماً.

قال في القرآن الكريم: ﴿يا أَيُّها النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إلى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيْدُ﴾[1].

* * *

(١) فاطر ـ ١٥.

خلاصة هذا الدرس

إنّ لكلّ ظاهرةٍ حادثةٍ «علة»، وإنّ العالَم الذي هو عبارة عن مجموعة من الظواهر الحادثةِ ويكون بمثابة ظاهرةٍ حادثةٍ واحدةٍ كبرى، له «علّةٌ»، ومُوجد أعلى منه، ولكنّه غير محتاج إلى شيء أو أحَد، لأنّه إذا كان خالقُ الكَون هو أيضاً محتاجاً، وظاهرة حادثة، إضطرّ إلى أنْ يكون له خالق، وعلّة غير محتاجة.

وعلى هذا الاساس فإنَّ «العلّة» الحقيقية لهذا العالَم، وخالقه هو «الله» المستغني عن كلّ شيءٍ، المحتاجُ إليه كلُ شيءٍ.. إنّه هو الّذي خَلَق كلّ شيءٍ، وكلّ أَحَدٍ، وهو يمنحها الوجودَ في كلِّ لحظة، وليس هو مخلوقاً لأَحَدٍ.

فَكِّروا واجيبـوا

١ ـ كيف ندرك علاقة «العِليّة»؟ وضِّحوا هذا بذكر فعلٍ نفسانيّ للإنسان، وصورةٍ ذهنيّة؟

٢ ـ «العِلّة» ماذا تعني؟ «المعلول» ماذا يعني؟ وما هو «قانون العِليّة»؟

٣ ـ أُذكروا بعض الأعمال التي ننسبها إلى أنفسنا، وبيّنوا «العلّة والمعلول»، والعلاقة بينهما في مجال هذه الأعمال.

٤ ـ أُذكروا عدّة أمثلة «للعلّة والمعلول» في العالَم، ووضِّحوا عَلاقة «العِليّة» بينها.

٥ ـ ماذا يعني أنّ «قانون العلّة والمعلول قانون عام وشامل»؟

٦ ـ على أيّة أُسس تُثبتون أنّ للكون علةً غير محتاجة؟ وضِّحوا هذا.

* * *

الدرس الثالث عشر

فطرة التوحيد أو غريزة التدين

تدلُّ الحفرياتُ والتحقيقاتُ الأثريّة على أنّ الانسان كان فيما مضى، وحتى فيما قبل التاريخ يؤمن بالله تعالى، ويخضع أمام عظمته، ويعبده، ويقيم مراسيمَ خاصّة لجلب رضاه.

وهنا ينطرح سؤالٌ وهو: كيف توجَّهَ الانسان إلى الله تعالى في البداية؟ وأيّ عامِل دفعه إلى أنْ يفكّر في عبادة الله؟ وأيّ عامل هداه إلى أن يبحث عن خالقٍ لهذا العالم؟ ما هو منشأ هذا التفكير؟ وأساساً ما هو العامل الذي جَعَل هذا الانسان يُفكّر في الله، ويندفع إلى عبادته، بل ويفكّر في هذا الأمر؟

بعد قليل من التأمُّل والتدبُّر يمكن الحصُول على جواب لهذا السؤال، فإنّ في كيان البشر ـ كما أسلفنا في البحث السابق ـ غريزةٌ تُدعى «غريزة البحث عن العلّة» وأنّ البشر كانوا يعرفون بمبدَأ «العِليّة» منذ أوّل أيّام التاريخ، وكان الانسانُ يبحث عن «العلّة» لكل ظاهرة «حادثة»، وكلِّ كائنٍ محتاج.

فقد كان اذا جاع عمد الى اكل الطعام، لأنّه كان يعتبر أكلَ الطعام «علّةً» لرفع الجـوع، وإذا عطش عمد إلى شرب الماء، لأنّه كان يعتبر شرب الماء «علّة» لرفع العطش، واذا سمع صوتاً من خلف الجدار عرف ـ بيقين ـ أنّ للصوت «علّة»، فكان يبحث عن علّته . وإذا مرض كان يعتبر مرضه ناشئاً عن علّة خاصّة، فكان يفكّر في العلاج، وكان يلجأ إلى الحرارة لدفع البرودة لأنّ الحرارة علّة لإزالة البرد.

إنّ غريزة البحث عن «علّة»، أو ما يسمّى بغريزة حبّ الاستطلاع مودَعة في كيان كلّ إنسان. فكل إنسان يسعى دائمًا إلى أن يتعرف على «علل» الظواهر، فهو يواجه عند رؤية كلّ ظاهرة السؤال الثاني: «لماذا، وبأيّة علّة» ويسعى دائمًا إلى أن يجد جواباً صحيحاً ومقنعاً لغريزة استطلاعه هذه، وهو لا يهدأ ما لم يجد جواباً صحيحاً

مقنعاً.

إنّ الانسان كائنٌ مستطلع ذاتاً، ولا يمكن أن ينسلخ عن هذه الغريزة، ولا أن يتناساها.

إنّ جميع أفراد البشر ـ ومن جملتهم البشر الاوائل ـ يتمتّعون بهذه الغريزة الطبيعية.

إنّ الانسان كان يعيش في هذا العالم، ويواجه الحوادث والوقائع الكونيّة العجيبة.. يشاهد بعينيه تعاقبَ اللّيل والنهار، والصيف والشتاء، وحركة الشمس والقمر والنجوم المنتظمة، ويرى عجائب الحيوانات والنباتات، والجبال المرتفعة، والبحار الواسعة والمياه الجارية، ويفكّر عن «علّة» هذه الظواهر ويتساءَل: ما هي علّة هذا الكون؟ ومَن هو موجِد هذا العالم؟ ولاشكّ أنّ لهذا العالَم المنظَّم «علّةً»، ولا شكّ أنّ خالقاً عالماً قادراً أوجد هذا العالَم، وهو يديره.

وهكذا تعرّف البشر الأوائل على «الله» تعالى واعترفوا بوجوده، وخضعوا أمام قدرته وعظمته.

ومع مرور الزمن وقع فريقٌ من البشر في الخطأ، وعَمَدوا إلى عبادة المعبودات المزيّفة، وتدريجاً شاعت بين الناس عبادة الأوثان، وعبادة الشّمس وعبادة القمر، وعبادة النار، وعبادة النجوم ولكواكب.

إنّ ظهور المعبودات المزيّفة نفسَه شاهد على أنّ الإنسان كان ـ بحكم غريزة الاستطلاع المودعة في كيانه وفطرته ـ منتبهاً إلى أنّه لابدّ لإدارة هذا العالم من «علّة»، ولكنه كان يخطأ أحياناً في تشخيص المصداق، فكان يتصوّر خطأً أنّ المصاديق المزيّفة هي «العلّة» الحقيقية للكون، ويعمد إلى عبادتها والخضوع أمامها.

وبكلمة قصيرة: إنّ الإنسان بحكم غريزة الاستطلاع المودعة في فطرته يبحث عن «علّةٍ» لمجموع كائنات العالم، وظواهره، وبهذه الطريقة تعرّف على الله تعالى خالق الكون الّذي هو «العلّة الحقيقيّة» لجميع الكائنات المحتاجة، ولكل ظواهر العالَم، واهتدى إلى وجوده، وأخذ في عبادته.

إنّ القرآن الكريم يعتبر مسألة التديّن والإنجذاب إلى الله أمراً فطرياً أيضاً حيث يقول:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْض لَيَقُوْلُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيْمُ﴾(١).

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُوْلُنَّ الله فَأَنّى يُؤْفَكُوْنَ﴾(٢).

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فأحْيا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُوْلُنَّ الله قُل الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونْ﴾(٣).

فكّروا واجيبوا

١ ـ ماذا تعني غريزة حبّ الاستطلاع؟ اذكروا نماذج لذلك؟

٢ ـ لماذا صار الإنسان مؤمناً بالله وعابداً إيّاه؟

٣ ـ منذ متى أصبح الانسان يبحث عن وجود الله؟

٤ ـ ما هي الدوافع وراء عبادة الأوثان والمعبودات المزيّفة؟

٥ ـ احفظوا الآيات وتعلموا تفسيرها.

* * *

(١)الزخرف ـ ٩.

(٢) العنكبوت ـ ٦١.

(٣) العنكبوت ـ ٦٣.

الدرس الرابع عشر

صفات الله

في الدروس السّابقة تعرّفنا على أدلّة وجود الله تعالى، وعرفنا أنّ لهذا العالَم «علةً» خلقته وتدير شؤونه.

وفي هذا الدُروس نتعرّف على صفات الله، ونعرفه بنحوٍ أفضلٍ.

إنّ صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: صفات الكمال، وصفات الجلال.

كلُّ ما يكون من صفات الكمال، ومن شؤُون أصل الوجود، وممّا يعطيه قيمةً وجوديةً أكبر مِن دون أن يستلزم نقصاً ومحدوديّةً يسمّى «صفة الكمال والجمال» مثل: العِلم، والقدرة، والحياة والسمع، والبصر، والإرادة، والتكلم، وغير ذلك من الصفات.

مثلاً: العِلمُ الذي هو عبارة عن حضور شيءٍ عند العالِم، وظهوره عنده، ووجوده لديه، كمالٌ وجوديٌّ، ولا يكون في مفهومه أيُّ نقص، ولا يستلزم إثباتُه نقصاً ومحدوديّة في الموصوف به ، وإن أمكنَ ظهور ذلك في بعض المصاديق المحدودة، إلّا أنّ هذا المفهوم لا يُؤخذ من جانب النقص والمحدوديّة، بل هوشأنٌ من شؤون الوجود، ويؤخذ من الوجود، وبهذه الطريقة تعدّ صفة القدرة والحياة أيضاً من صفات الكمال.. فالله تعالى متّصفٌ بجميع هذه الصفات، وواجد لها جميعاً.

وتسمّى صفات الكمال بالصفات الثبوتية أيضاً، لأنها تثبت لله تعالى.

ولقد ذكر العلماءُ أدلّةً وبراهين لإثبات صفات الكمال لله سبحانه، نشير إلى برهانين منها بسيطين نِسبيّاً:

الدليل الأوّل: إنّ لهذه الكمالات وجوداً في الخارج، فالعالَم موجود في الخارج، وبعض الموجودات عالمةٌ، والقدرة موجودة في الخارج أيضاً، وبعض الموجودات قادرة، بمعنى أنّها تمتلك القدرة على أن تأتي ببعض الأفعال.

الحياة أيضاً موجودة في الخارج، وبعض الكائنات حيّة وتقوم بأعمالها عن علم «وارادة»، فاذن لصفات الكمال وجودٌ في الخارج، وهي أيضاً ظاهرة من الظواهر الحادثة، وكلُّ ظاهرة حادثة محتاجةٌ إلى «علّة»، وفاعل يوجِدها ـ كما أسلفنا ـ وذلك هو «الله» خالق الكَون.

وعلى هذا الاساس فكما أنّ كائنات هذا العالَم وظواهره الحادثة، مرتبطة بالله تعالى في أصل وجودها، فهي مرتبطة به في خصوصيّات وجودها وصفاتها الكمالية أيضاً، وهو الّذي أعطاها هذا الكمال، ومن جانب آخر إنّ معطي الكمال ومنشأه يجب أن يكون واجداً لذلك الكمال، ومتّصفاً به، بل متّصفاً بأعلى مراتبه ودرجاته.

إنّ الله تعالى الّذي وَهَبَ المخلوقات العلمَ والقدرةَ والحياة، لا يمكن أن يكون هو فاقداً لها، خليّاً عنها، فان فاقد الشيء لا يعطيه.

الدليل الثّاني: من طريق برهان النّظم: أنتم تعرّفتم في الدروس السّابقة على النّـظام الدقيق والرائع في جانب من جوانب الكون، وعرفتم شيئاً من الدقة والإتقان المستخدمَين في الخَلق، كما عرفتم كيف خُلِقَت هذه الظواهر، وتدار في تناسق وترابط دقيقَين.

انّ جميع ظواهر الكون ـ على الاطلاق ـ جميلة ومتناسقة.

من مطالعة هذا النّظام العجيب والتناسق البديع نستفيد بوضوح انّ خالقَه عالِمٌ قادرٌ حيٌّ أيضاً، وقد خَلَقَ هذا النظامَ الدقيقَ ويدبّره بالعلم والقدرة، وكان في خَلقه عالماً هادفاً.

إنّ وجود مثل هذا النظام الدقيق الجميل خير شاهد على أنّ خالقه متّصفٌ بالعلم والقدرة والحياة، ترى هل تستطيع المادّة العمياء الصّمّاء، والطبيعة غير الشاعرة، أن تخلق مثل هذا النظام المتناسق الجميل، وتديره وتدبّره؟ هل يمكن أن يصدر كتابٌ علميٌّ واحد، أو لوحة فنيّة جميلة، من كائنٍ غير شاعر ولا عالم ولا قادر؟، فاذن كيف يمكن أن نحتمل أنّ هذا العالَمَ العَظيمَ، وهذا الكون الفسيحَ، مع كلّ هذه الأسرار

والعجائب، وبمثل هذا التنظيم والتناسق الدقيقين، اوجدته هذهِ الطبيعة غير الشاعرة، والفاقدة للإرادة؟

فكّروا واجيبوا

١ ـ عرِّفوا صفات الكمال.
٢ ـ لماذا تسمّى صفاتُ الكمال بالصفات الثبوتية؟
٣ ـ ما الدليل على أنَّ الله تعالى متَّصَفٌ بصفات الكمال؟
٤ ـ وضِّحوا الدليلَ الأوّل.
٥ ـ وضحِّوا الدليلَ الثانى.

* * *

الدرس الخامس عشر

بعض صفات الكمال

١ ـ القُدرة: إنّ الله سبحانه وتعالى قادر مختار، يعني أنّه يفعل كلَّ ما يفعله عن علمٍ وإختيار وإرادة، وهو ليس مجبوراً على فِعله أو تركه.

إنّ قدرته مطلقةٌ، ليس لها حدٌّ ونهاية.. قال في القرآن الكريم: ﴿**إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾[١].

٢ ـ العلم: يعني أنه يعرف بكلِّ شيء، ويحيط عِلمًا بجميع الكائنات والظواهر الكونيّة، ولا يغيب عنه شيءٌ، بل هو يعلم بأفكار العباد ونواياهم أيضاً. يقول سبحانه في القرآن الكريم: ﴿**قُلْ إِنْ تُخْفُوْا ما في صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوْهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ ما في السَّماواتِ وَما في الأَرْضِ وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾[٢].

٣ ـ الحياة: الله تعالى حي، يعني أنّه موجود يقوم بأعماله عن علمٍ وإرادةٍ وقدرة.. إنّ حياة الله سبحانه لا تعني أنه يتنفَّس ويتحرّك ويتغذّى وينمو كالإنسان، بل هي بمعنى أنه يقومُ بأفعاله عن علم وإرادة وقدرةٍ قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿**أَللهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ الحَيُّ القَيُّوْمُ**﴾[٣].

٤ ـ الإرادة: الله تعالى مريدٌ، يعني أنه يأتي بأفعاله عن إختيار، فهو ليس مثل النّار التي لا إرادة لها في الإحراق، بل إذا أرادَ أن يفعلَ فعلاً فَعَلَ، وإذا لم يرد أن يفعل لم يفعلْ.

---

(١) البقرة ـ ٢٠.

(٢) آل عمران ـ ٢٩.

(٣) البقرة ـ ٢٥٥.

إنّ الإرادة كمالٌ في الفاعل، والله الذي هو في أعلى مراتب الكمال الوجوديّ لا يخلو عن مثل هذا الكمال، وقد نُسِبَ هذا الكمالُ إلى الله في القرآن الكريم أيضاً حيث قال عز من قائل:

﴿إِنَّما قَوْلُنا لِشَيءٍ إذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١].

﴿إِنَّ الله يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ إِنَّ الله يَفْعَلُ ما يُرِيدُ﴾[٢].

٥ ـ السَّمع: أَلله سميعٌ، يعني أنّه يعلم بجميع الأصوات والمسموعات، ولا يخفى عليه شيء أبداً.

٦ ـ البَصَر: الله بصير، بمعنى أنه يرى جميع الحوادث والظواهر المرئيّة، ويشهدها جميعاً، وقد نُسِبَ السمعُ والبَصَرُ إلى الله تعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم أيضاً منها:

﴿إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوْا الأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ الله نِعِمّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ الله كانَ سَمِيْعاً بَصِيراً﴾[٣].

٧ ـ التكلّم: أَلله متكلّم، يعني أنّه يستطيع أن يُظهر للآخرين مقاصده، وما يرمي اليه من الحقائق ويفهمهم بها، حيث يقول في القرآن الكريم: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ الله مُوْسى تَكلِيْماً﴾[٤].

هذه هي بعض الصفات الكماليّة والثبوتية التي يتصف بها الله تعالى، وله صفات وأسماء أُخرى نُحْجم عن ذكرها تجنباً للاطالة.

---

(١) النحل ـ ٤٠.

(٢) الحج ـ ١٤.

(٣) النساء ـ ٥٨.

(٤) النساء ـ ١٦٤.

ملاحظة ضرورية

صفاتُ الله تعالى ليست مثل صفاتنا ناقصةً ومحدودة.. فنحن لكوننا محدودين في ذواتها وصفاتنا لا نستطيع أن نقوم بأيّ عملٍ من دون استخدام الحواسّ والادوات الجسدية الماديّة، فنحن نمتلك قدرة ولكن من دون الاستعانة بالأعضاء والجوارح لا يمكننا ان نفعل شيئا... عندنا قوّة السمع ولكن لا نستطيع أن نسمع من دون أُذن وأعصاب... عندنا قوة البَصَر ولكن لا نستطيع أن نبصر من دون عين واعصاب، الا ان ذات الله حيث أنّها في منتهى مراتب الكمال ، وصفاته هي أيضاً في أعلى حدود الكمال، و لا تناسب بينها وبين الصفات البشريّة المحدودة، فلذا نجد ان الله تعالى يرى من دون عين، ويسمع من دون أُذُن، ويفعل ما يريد من دون أعضاء وجوارح، ويفهم ويعلم من دون جواسّ وأعصاب، لأنّ طريق الرؤية والسمع لا تنحصر في الإتيان بهذه الأفعال بوساطة الاذن والعين والأعصاب والمخّ، بل ليست حقيقة السمع والبصر سوى إنكشاف وظهور المرئيّات والمسموعات للشخص، ولو من دون تدخل الحواسّ.

ونحن أيضاً إذا لم نكن ناقصين، وكنّا نقدِرُ على أن نرى ونسمع من دون وساطة العين والأُذن، لصدق عنوانُ السمع والبَصَر على ذلك حتمًا، ويقيناً.

ولكن إلّه الكون، وخالق العالَم حيث أنّه من ناحية الذات والصّفات في منتهى درجات الكمال، فانّ صفاته وأفعاله هي الأُخرى كاملة وغير محدودة، وليس فيه شيء من احتياجاتنا.

وكـذا، حيث أنّنـا ناقصون، فإننا مضطّرون لافهام مقاصِدنا إلى استخدام اللّسان والفم، ومخارج الحروف، ولكنّ الله تعالى لا يحتاج في التكلّم وإظهار مقاصده إلى اللسـان والفم، بل هو يظهر مقاصده عن طريق آخر.. وهو يعني التكلّم. لأنّ الطريق إلى التكلّم ليس هو إظهار المقاصد عن طريق اللّسان والفم فقط، بل لو تحقّق هذا من دون دخالة اللّسان والفم صدق عليه عنوانُ التكلّم أيضاً.

وعلى هذا الاساس تختلف صفات الله عن صفاتنا اختلافاً كبيراً.

فَكِّروا واجيبوا

١ ـ عرّفوا القدرة.

٢ ـ عرّفوا العلم.

٣ ـ عرّفوا الحياة.

٤ ـ عرّفوا الإرادة.

٥ ـ ما الذي يدلّ على أنّ الله يأتي بأفعاله عن ارادة واختيار؟

٦ ـ ماذا يعني أنّ الله سميع؟

٧ ـ ماذا يعني أنّ الله بصير؟

٨ ـ ماذا يعني أنّ الله متكلّم؟

٩ ـ وضّحوا الفرق بين صفات الله وصفاتنا توضيحا كاملاً.

١٠ ـ كيف يكون السمع والبصر عند الله؟

١١ ـ احفظوا الآيات وتعلموا تفسيرها.

* * *

الدرس السادس عشر

عدل الله (١)

الله سبحانه عادلٌ، لا يظلم أحداً، ولا يصدرُ منه عملٌ قبيحٌ.. بل كلُ أعمالِه وأفعالِه تقوم على الحكمة والمصلحة.. لا يترك أعمال المحسنين الصالحة من دون ثواب.. ولا اعـمال المسيئين الطالحة دون عقاب... لا يُخلف الوعدَ.. لا يكذب.. لا يُدخِل الابرياء نار جهنم ولا المجرمين الجنة.. وذلك بدليلين:

الدليل الأوّل: أنّ الذي يظلم أو يرتكب عملاً قبيحاً لا يخرج عن إحدى ثلاث صور: إمّا أنّه لا يدرك قُبح وشناعة ذلك العمل، ولذلك يرتكب الظلمَ..

وإمّـا أنّه يعلم بقبح الظلم، ولكن يرى في أيدي الآخرين ما لايملكه هو، فيكون محتاجاً إليه، ولهذا يظلمهم حتى ينتزع أموالهم وحصيلة جهودهم.

فربّ العمل الذي يظلم عماله، ويضيّع حقوقهم، او الظالم الذي يتجاوز على حقوق الضعفاء يرتكب الظلم لأنّه يرى نفسه ناقصاً من جهة المال والقدرة، ويريد من خلال إغتصاب الأموال وانتزاع حصيلة جهودهم تكميل نقصانه، ورفع احتياجه...

وإمّا أنّه عارفٌ بقبح الظلم، وليس هو بحاجة الى شيء ولكنه يرتكبه من باب اللهو واللعب، أو على سبيل التشفّي والانتقام.

إنّ كل ظالم لا بدّ أن يكون مندفعاً إلى ارتكاب الظلم بأحد هذه الدوافع، ولكنّ ربَّ العالمين لا يظلم، لأنّه لا يُتصَوّر في حقّه الجهل، بل هو مطّلع على جميع المصـالح والمفاسد، وعارف بكل جهات الحسن والقبح في الاشياء.. إنه غنيٌّ غِنىً مطلقاً، ولا يحتاج إلى أيّ شيء وإلى أيّ عمل.. لا يصدر منه أيّ لغوٍ أو باطل.. ولهذا فلا يتصوَّر صدور الظلم منه قط.

الدليل الثاني: إنّ عقلَنا يدرك أنّ الظلم والحيف أمرٌ قبيح مذمومٌ، وهذا الأمر يتفق عليه جميع العقلاء أيضاً.

وقد نهى الله تعالى أيضاً عن الظلم وعن الاعمال القبيحة، عن طريق أنبيائه وأصفيائه.. وعلى هذا الاساس كيف يمكنُ أن يرتكبَ الله عملاً يستقبحه جميعُ العقلاء كما انه نهى عنه أيضاً.

طبعاً ليس كلُ البشر سواء.. وليسوا في مستوىً واحدٍ.. بل هناك تفاوتٌ بينهم من حيث الفقر والغنى، والقبح والجمال، والفهم والبلادة، والسَلامة والعيب.. فبعض الاشخاص مُبتَلون بمشاكلَ شديدة.. كما أنّ هناك الكثير من المصائب المُرّة والامراض الصعبة العلاج التي يتعرض لها بعض الأشخاص، وجميع هذه الأُمور ناتجة عن سلسلة من العلل والعوامل الطبيعيّة، وهي تلازم عالم المادّة والماديّات، وتعتبر من خصائصها.. ولا مناصَ في نظام الخَلق الماديّ من هذا الأمر.

إنّ للعوامل الطبيعيّة، وأحياناً للانسان نفسه دخل في وجود هذه الحالات والاوضاع، ولكن على كل حالٍ لا يمنع ذلك عن اسباغ الفيض من جانب الله تعالى.. فكلُ موجودٍ يكتسب من ذلك الفيض بقدر استعداده، وبقدر مساعدة العلل، والظروف الطبيعيّة له.

إنّ الله لا يكلّف أحداً اكثر من طاقته واستطاعته.

إن جهودَ الاشخاص وسعيهم لا يذهب هدراً أبداً.. وإنّ طريق التقدّم والرقيّ مفتوح أمام كل شخص، بقدر ما تساعده الظروفُ والاوضاعُ قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إنَّ الله لا يَظْلِمُ النّاسَ شَيْئاً وَلكِنَّ النّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ**﴾[1].

هذا وسيأتي في الدرس التالي توضيح آخر حول «العَدل».

---

(١) يونس ـ ٤٤ .

فَكِّروا واجيبوا

١ ـ ماذا يعني عدلُ الله؟
٢ ـ وضِّحوا الدليلَ الأوّل على عَدلِ الله؟
٣ ـ ما هو الدّليل الثّاني على ذلك؟

* * *

الدرس السابع عشر

عدل الله (٢)

إنَّ الله تعالى خالق العالم أوجد الكَونَ وبناه على نظام معيّن، وحساب خاصّ، وأعطى لكلّ ظاهرة حادثة خاصيّةً معيّنةً، فجعل النهار بطلوع الشّمس دافئاً ومضاءً، ليسعى فيه النّاس ويعملوا من أجل تحصيل معايشهم، وجعل اللّيل مظلماً ساكناً حتّى يسكنوا فيه ويستريحوا.

إنّ لِخلقة كلّ شيء مقداراً معيناً.

فَكّروا؛ إذا لم تكن النّار تتمتّع بخواصِّها المعلومة كيف كان وجه العالم الآن؟

فَكِّروا؛ إذا لم يكن الماء على هذه الخواصّ هل كانت الحياة ممكنةً فوق الأرض؟

فكِّروا؛ إذا لم تكن جاذبيّة الأرض ماذا كان يحدث؟ هل كان بإمكانكم أن تجلسوا في المكان الذي تجلسون فيه الآن؟

كلّا.. لأنَّه في هذه الصّورة كانت الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس بسرعة فائقة، فيتناثر كلُّ شيء، حتى انتم وزملاؤكم في الفضاء.

إنَّ التنظيم والحياةَ اليومَ ناشئان من جميع هذه الخواصّ، والقوانين التي أُعطيت من جانب الله تعالى لظواهر الطبيعة.. فاذا لم تكن هذه القوانين سائدة على العالم لما تيسّرت لنا الحياةُ، وان كانت هذه القوانين توجب أحياناً أذانا، وإزعاجنا.

مثلاً؛ بفضل الاستفادة من هذه القوانين الطبيعيّة تطير الطائرة، وتحلّق في الجوّ، وتقطع مسافات كبيرة في السماء بسرعة فائقة

وبفضل الإستفادة من قانون «الجاذبيّة» والاحتكاك تهبط الطائرات على الأرض.. وينزل ركّابها على أرض المطار. ويمشون عليها، وينطلقون إلى منازلهم وبيوتهم.

ولكن عندما ينفد وقودُ هذه الطائرات وهي في السماء، تشدّها جاذبيّةُ الأرض فوراً.. وعنـدها تتحطّم إثر إرتطامها بالأرض أو إصطدامها بالمباني والجبال، وربما يموت جميع ركّابها في اللحظة، او يُجرَح آخرون، وتصيبهم عاهاتٌ.. فمن هو المذنب هنا؟

هل من الصحيح أن نتمنّى لو لم تكن الجاذبيّة أصلاً، أو هل من الصحيح أن نتمنّى لو لم تكن الجاذبيّة تعمل عملها في هذا المورد على الأقلّ؟

هل من الصحيح أن نتمنّى ونقول: ليت الأرض لم تجذب هذه الطائرة التي نفد وقودُها؟ هل تعلم ماذا تعني هذه الأُمنيات؟

إنَّ مَعناها هو أن تعمل القوانينُ الكونيّة حسبَ مزاجنا، ورغبتنا.. فعندما نريد، أو يعجبنا يعمل القانون، وعندما لا نريد ولا يعجبنا لا يعمل القانون.

هل في هذه الصورة كان من الممكن أن يطلَق عليه لفظ القانون؟

هذا مضافاً إلى أننا نسأل: حسبَ هوى من يجب أن يعمل القانون حينئذ، وحسبَ هوى من لايعمل؟

فكِّروا أيّ هَرجٍ ومَرجٍ وأيّة فوضى كانت تقع عندئذٍ؟

من الممكن أن يَكون أحـدُ أقربائكم قد أُصيب في حادثة سقـوط وتحطّم طائرة وفقد عضواً من أعضاء جسمه.. أُنظروا.. أُنظروا عينيه اللّتين عميتا، وإحدى يديه التي بتِرت، وكلتا رجليه اللّتين شلّتا..

ماذا تفكِّـرون؟ ماذا تقولون؟ مَن ظَلمه وحرمه من هذه العين أو اليد أو الرجل؟.

هل تشكّ في عدالة الله الّذي منح للأرض قانون الجاذبيّة؟ أم في عدالة ولياقة الشخص الذي لم يتعامل مع هذا القانون الحيويّ وغيره من القـوانـين الطبيعيّة بشكل صحيح؟ وبالتالي في لياقة الشخص الّـذي لم يدخِّـر القـدَر الـلّازم والكافي من البنزين

والوقود في الطائرة؟.

إنّ الله خلق كلَّ كائن مزوّداً بقابليّة معيَّنة وكمال خاصّ، وأُخضع الكون لقوانين وسنن عامّة، وجعل لكل شيء نظاماً خاصّاً، وحساباً معيّناً، وعلينا نحن البشر أن نتعامل مع هذه القوانين بصورة صحيحة حتى نتمتّع بفيض ربّنا الودود، ونستفيد من رحمته، وعدله بشكل جيّد.

مثلاً الجنين الذي ينشأ وينمو في رحم الأُمّ يخضع في نموّه، ورشده، وحركته، لجميع القوانين الحاكمة على عالم الطبيعة.

فاذا تعامل والدا الجنين، أو أجدادُه مع قوانين الخلقة بصورة صحيحة، حصلوا على وليد سليم سويّ.

ولكن إذا كانا (اي أبويه) من مدمني السيجاير أو الكحول، لا ريب في انه تحدث السُّموم النّاتجة عن السيجاير أو الكحول مضاعفات سيّئة في جسم الجنين أيضاً، مثلما يوجب سقوط الطائرة حدوث خسائر ويحرَم الشخصُ من عينه ويده ورجله.

فمن الأُمّ المدمنة على الكحول من المحتمل جداً ان يتولّد طفلٌ مريضٌ ومعاقٌ، وكذا من الأُمّ التي تستهلك الأدويةُ الضارّةُ قد يتولّد طفلٌ ذوعاهة. ومن الوالد أو الوالدة، أو الأجداد الّذين لم يراعوا قوانين الصحّة لا غرابة ان يتولّد طفلٌ ناقصُ الخِلقة غير سويٍّ.

إنّ هذه النتيجة ترتبط وتستند إلى جميع القوانين السائدة على العالم، وهي تنبع برمتها من عدل الربّ تعالى.

إذا تولَّد من الوالدَين اللَّذين يراعيان القوانين الصحيّة طفلٌ سليمٌ، واذا تولّد من الوالدَين اللَّذين يحتسيان الكحول ولا يراعيان أبداً قوانين الصحّة والسَّلامة أبداً طفلٌ سليمٌ ايضاً ماذا كُنّا نقول حينئذ؟

أما كنّا نقول: ليس في عالمنا هذا حساب ولا عدل؟

أما كنّا نتصَوَّر ساعتئذٍ أنّنا نعيش في عالمٍ فوضويّ.. لا يحكم فيه قانون

ولانظام؟

أمـا كنّا نقول إنّ خالق الكَون يظلم لأنّه أعطى للوالدَين اللّذَين يلتزمان بوظائفهما التزاماً كاملاً طفلاً سليمًا أيضاً، فَإذَنْ أيُّ فرقٍ بين هذين الفريقين؟

هَلْ إنّ الذي عَمِلَ وأدّى وظائفَه يتساوى مع الّذِي لم يعمل وتملّص من أداءِ وظائفه؟.. هل هما سواء؟ هل يصلان معاً إلى المقصد بنحو واحد، هل تفكّرونَ هكذا؟

كلّا... أبداً بل نعلم أنَّ العالَم يُدار بنظام عادل ووِفق قانونٍ، وليس بصورة فوْضويّة.

نحن نعلم أنّ الله جَعَل لكلّ ظاهرة «علّة » وأنّ القوانين الطبيعيّة التي هي مظاهر لمشيئة الله وإرادته تؤدّي وظائفها، وتقوم بأعمالها، ولا تتغيّر حسبَ الأمزجة، وتبعاً لهوى هذا أو ذاك.

نعم قد يتعاكس قانون أو عدّة قوانين في موردٍ مّا ويقع ما لا يُعجبنا، ولكن لا مناصَ من ذلكَ في النظام الكوني العامِّ.

إنّ العـدلَ الآلهيَّ ليس هو في أن ينقض الله تعـالى القوانينَ الطبيعيّة التّي أوجدَها وأقرّها هو، ويوجدَ الهرجَ والمرجَ في العالَم، بل إنَّ العَدلَ الآلهيّ يقتضي أن يعطي لكلّ ظاهرة، الوجودَ حسبَ قابليَّتِه، ويقدر استعداده، ويوصله إلى كماله.

إنّ الله تعالى عادلٌ على كلّ حالٍ، وإنّ البشر هم الّذين يظلمون أنفسَهم وغيرَهم بسبب أعمالهم وتوقّعاتهم الجاهلة، ويخلقون المشاكل، والمصائب.

سؤال: من الممكن أنْ تقولوا: صحيح أن والدَي الطفل المعوَّق أو أجداده لم يراعوا القوانين، وتعاطوا الكحول أوالأدوية الضارّة، وتسبَّبوا في هذه الخسارة للطّفل، فتولَّدَ معوَّقاً مشوهاً وهذه النتيجة ناشئة من قوانين الخلقة والعدلِ الآلهيّ، ولكن ما ذنبُ الّذي وُلِدَ معاقاً من دون إختياره، وعليه أن يعيشَ على هذه الحالة عمراً كاملاً؟!

الجواب: ليس للطِّفل أيُّ ذَنب . والله لم يكلِّفْه اكثرَ من قدرته وطاقته، ولو

أنّه بفضل ما زُوِّدَ به من إمكانات يؤدّي وظيفته في حدود امكانياته جيّداً لحصَل من الله على خير أجر.

إنّ مثلَ هؤلاء الأشخاص إذا كانوا أتقياء مؤمنين مثلَ سائر المؤمنين، محترمون عند الله، ولو أنّهم عملوا بواجباتهم بشكلٍ صحيح، حازوا في عالم الآخرة السَّلامة الكاملة، وفازوا بالمكانةِ الرفيعة، وحصَلوا عوض صبرهم على المتاعب التي تحمّلوها، على مثوبات جميلة.

خلاصة البحث وتكميله

وخلاصة القول: أنّنا عندما نقول أنّ خالقَ الكون عادلٌ، فإنَّ كلامنا يعني أنّ الله أقام في هذا الكونِ قوانين وسنناً، ومنح لكلِّ ظاهرةٍ قابليّةً خاصّةً، فإذا تعامَلْنا مع هذه القوانين، ومع خصوصّيات عالَمِ الخَلق بصورة صحيحة، استمتعنا بفيضه تعالى ورحمته، ووَصَلْنا ـ في ظلّ عدله وفضله ـ إلى النتيجة المنشودة، وإذا نحن لم نكترث لِقوانين عالَم الخَلق التي هي مظاهر لارادة الله تعالى، ظَلَمْنا ـ في الحقيقة ـ أنفسَنا، وسنرى نتيجة عدم إكتراثنا حتمًا ويقيناً.

إنّ عدلَ الله في عالم الآخرة يعني أيضاً أنّ الله بَصَّرَ الناس ـ عن طريق رسله ـ بالخير والشرّ، وعرّفهم بهما، وعيّن لقاء الأعمال الحسنة الثواب المناسب ولقاء الأعمال السيّة العقوبة المناسبة.. وإنّ الله لا يظلم أحَداً في الآخرة:. بل يعطي للجميع الثوابَ أو العقابَ المناسبَ، فاذا كانوا قد سلكوا طريق الحق والاحسان، وعبادة الله، حَظَوا بالنِعَمِ الآلهيّة.. وإذا كانوا قد سَلَكُوا طريقَ الباطل والمادّية، وظلموا أنفسهم وغيرهم، أصابهم في عالم الآخرة عذابٌ شديدٌ، وراوا عقاب أعمالهم السيّئة.

آية من القرآن الكريم:

﴿وَما كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

---

(١) العنكبوت ـ ٤٠.

فكّروا واجيبـوا

١ ـ أُذكروا عدّة نماذج من القوانين الطبيعيّة.

٢ ـ هل من الصحيح أن نتمنّى ونقول: «ليت جاذبيّة الأرض لم تكن أصلاً».. ولماذا.؟ وضّحوا ذلك.

٣ ـ عندما نقول: «الله عادل» ما هو مقصودنا؟ هل مقصودُنا هو أنّه يعطي للجميع ـ مَن عَمِلَ ومَن لم يَعمل ـ على السواء؟

٤ ـ ما هو مقتضى العدل الآلهيّ؟ هل هو أن ينقض الله تعالى القوانيَن الطبيعيّةَ تبعاً لهوى هذا أو ذاك؟ أو هو أن يعطي النّعمة والكمال لكلٍّ أحد وفقاً للقوانين التي جعلها وأقرّها هو؟

٥ ـ إنّ وجودَ بعض الأفراد المعوَّقين بالولادة إلى جانب الآخرين نابعٌ مِن أيّة عوامل؟ هل يمكن بمشاهدتهم أن نعتبر ذلك ناشئاً من خلوّ العالم عن نظام وقانون، أو مِن عدم عدالة خالقه؟

٦ ـ إذا نشأ دائمًا كلٌ من الجنين الذي في بطن الأُمّ التي تتعاطى الكحول، واللّامبالية، والذي في بطن الأم السليمة المتّقية، بصورة متساوية، على ماذا كان يدلُّ هذا التساوي؟ هل كان ذلك علامة العَدلِ الإلهيّ؟

٧ ـ ما هي نتيجة عدم الاكتراث بقوانين عالم الخَلق؟ وهذه القوانين آيةٌ على إرادة مَنْ؟

٨ ـ هل وظيفـةُ الأشخـاص المعـوَّقـين سواء مع وظيفة الآخرين؟ كم من الواجبات يريدها الله تعالى من كل واحدٍ من هذين الفريقين؟ في أيّة حالة يحظى هؤلاء الأشخاص بالسلامة الكاملة، والمرتبة الأُخرويّة الرفيعة؟

٩ ـ ماذا يعني عدلُ الله في عالم الآخرة؟ كيف يعطي سبحانه لعباده الثّواب والعقاب في عالم الآخرة؟

الدرس الثامن عشر

صفات الجلال

كلُّ صفةٍ تنفي النقصَ والمحدوديّة عن الله تعالى تسمّى «صفة الجلال»، وتسمّى «صفات الجلال» بـ «الصفات السلبية» أيضاً، لأنَّ مفهومها سلبيٌّ.

إنّ ذات الله تعالى وجودٌ كاملٌ، ولانهائيٌ، ولا سبيلَ لأيّ نقص أو حَدٍّ إليه، ولهـذا كانَ واجب الـوجود، ولم يُتصوَّر له عدمٌ أبداً.. إنّه متّصفٌ بجميع الكمالات الوجوديّة، ولا يمكن نفي وسلب أيِّ كمالٍ منه، بل على العكس من ذلكَ هو منزّهٌ عن كلِّ نقصٍ أو عيب..:

إن الصِّفات التي تسلبُ النواقصَ عن الله تعالى تسمّى «الصفات الجلاليّة» و«السلبيّة» وهي كثيرة نشير إلى بعضها:

١ ـ الله تعالى ليس بجسم: إنّ الجسمَ هو ماكان له طول وعرض وعمق وشكل وحجم، وهو ما يشغِل حيّزاً من المكان، ولا يمكن أن يوجد من دون مكانٍ خاصّ. وبهذا الدليل نفسه لا يكون الله جسمًا، لأنّه إذا كان جسمًا إحتاج إلى المكان حتى يحلَّ فيه، ومثل هذا الوجود المحتاج المفتقر لا يمكن أن يكون واجبَ الوجود، لأنّ وجوبَ الوجود لا يتلاءم مع الاحتياج والحدّ.. إنّ الله تعالى خالق الأمكنة فكيف يكون محتاجاً إلى المكان؟

٢ ـ الله غير مرئيّ: يعني أنّـه لا يُرى بالعَـين، لأنَّ الأجسام وآثارها وخواصّها هي القابلة فقط للرؤية.. إنّ الله العظيم لا يُرى بالعين لا في هذا العالَم ولا في عالَم الآخرة.. إنّه ذاتٌ غير محدودة، ذاتٌ مجرّدة عن صفات المادة والجسم وخواصه. فكيف يمكن أن يُرى بالعين الماديّة؟.

إنّ العين يمكنها أن ترى الشيءَ إذا كان على مسافةٍ معيّنةٍ منها، في حين وجود الله سبحانه غير محدودٍ، وغير واقع في المكان.

وهنايمكن أن يقول قائل: إذا كانَ الله موجوداً وجَبَ أن يُرى بالعَين، أو يُحسَّ بإحدى الحواسّ، فكيف يمكن أن نعتقد بوجودٍ لا يمكن أن يُحسَّ بأيّة واحدةٍ من الحواسّ؟

نقول في الجواب: إنّ دائرة الوجود لا تنحصر في المحسوسات.. فانَّ هناك في هذا العالم الماديّ مئات بل وآلاف الاشياء التي لا تخضع للحواسّ.

فهل أنتم ترونَ قوة الجاذبيّة في الأرض، أو الطاقة الكهربائية في الاسلاك؟ أم هل أنتم ترون الاليكترونات والبروتونات الموجودة في الذرّة، وحركتها؟. أم هل ترون الحياة في الكائن الحيّ؟ وهل ترون الرّوح الحيوانيّة والانسانيّة؟ وهل ترون العاطفة والمحبّة التي تنطوي عليها الأمُّ تجاه إبنها؟ وهل تسمعون بجميع الأصوات الموجودة في الجـوّ؟ وهكـذا عشرات ومئات بل وآلاف الأشياء الأُخرى، فمع أنَّ جميع هذه الأشياء ماديّةٌ وجسـمانيّةٌ ولكن لا تدرَك بأيّة واحـدة من الحواس.. لكنّكم تقبلون بوجودها لأنّكم تشاهدون آثارها.

إذن فكيف تتوقّعون أن تروا خالقَ الكون مع أنّه وجودٌ مجرّدٌ عن المادّة، وفوق الزمان والمكان.

إنّ مثـل هذا الـوجـود غير المحدود لا يمكن أن يدخل في نطاق حواسّنا المحدودة، ولكنّنا نشاهده في جمالات الكون، وعجائب الخَلق، ونؤمن بوجوده من خلال آثاره، ايماناً يقينياً.

ولقد جاء التصريح ـ بأن الله المتعال لايُرى ـ في القرآن الكريم إذ قال سبحانه: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الْخَبِيْرُ﴾[1].

* * *

(١) الانعام ـ ١٠٣.

٣ ـ الله ليس جاهلاً: لقد ثبت في مبحث الصفات الثبوتيّة أنّ العلم كمالٌ وجـوديٌّ تتصّف به الذّات الآلهيّة المقدسّة، وحيث أنّ ذات الله وجودٌ مطلَق، وغير محدود، فان علمه يكون أيضاً مطلقاً غير محدود، فهو عارفٌ بكلِّ شيء وفي كلِّ حالٍ عالم، ولا طريق للنقص والعيب إلى وجوده.

وعلى هذا الاساس ليس الله تعالى بجاهلٍ قال الله تعالى في القرآن الكريم: **﴿إنَّ الله لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيءٌ فِي الأرْضِ وَلا فِي السَّماءِ﴾**[1].

فكّـروا واجيبـوا

١ ـ عرِّفوا الصفات الجلاليّة.

٢ ـ لماذا سُمِيَت الصفات الجلاليّة بالصّفات السَلبيّة؟

٣ ـ بأيّ دليل لا يكون الله جسمًا؟

٤ ـ لماذا لا يُرى الله بالعين؟

٥ ـ هل يمكن أن يُرى الله في عالم الآخرة بالعين؟

٦ ـ ما هو جواب هذا الكلام: «إذا كان الله موجوداً وَجَبَ أن يُرى بالعين»؟

٧ ـ بأيّ دليلٍ نقول بكون الله تعالى ليس جاهلاً؟

* * *

(١) آل عمران ـ ٥.

الدرس التاسع عشر

طائفة أُخرى من الصفات السلبية

في الدرس السّابق تعرّفتم على معاني «الصفات الجلاليّة»، وعلى بعض مصاديقها. وفي هذا الدّرس أيضاً نتابع تلك المسألة.

٤ ـ الله ليس عاجزاً: اثبتنا فيما سبق في مبحث الصّفات الكماليّة أنَّ القدرة كمال، وأنّ ذات الله واجدة لذلك الكمال، وحيث أنّ الله وجود غير محدود وغير متناه، فانّ قدرته هي الأُخرى لا حدَّ لها ولا نهاية، فهو يقدر على كلّ أمرٍ ممكن وعلى هذا الأساس لا يكون الله عاجزاً عن فِعل ايّ عمل ممكن.

٥ ـ لا يكون محلاً للحوادث: ليس للتغيّر والتبدّل سبيل إلى وجود الله تعالى، فهو لا يشيخ ولا يمرض لا ينسى ولا يغفل، ولا ينام ولا يتعب، لا يندم على عمل عَمِلَه، لأنّ مثل هذه الصّفات من آثار الجسم وخصوصيّات المادّة، وحيث أنّه ثبت فيما مضى أن الله ليس جسمًا، وليس موجوداً ماديّاً، لهذا لا تعرضُ عليه هذه الحوادث.. وعلى هذا الأساس يجب أن تكون صفة العلم، والسمع والبصر، والإرادة، وسائر الصفات الكماليّة بحيث لا توجب عروض العوارض على ذاته المقدّسة.

قال في القرآن الكريم: ﴿**أَللهُ لا إِلَه إِلاّ هُوَ الْحَيُّ القَيُّوْمُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلانَوْمٌ**﴾[1].

٦ ـ ليس لله مكان: الله تعالى لا يكون في مكان، لا في الأرض ولا في السّماء، لأنه ليس جسمًا حتى يحتاج إلى مكان.. إنّه خالق الامكنة، وقد كان موجوداً

---

(١) البقرة- ٢٥٥

قبلها.

إنّ الله موجودٌ مجرّد من المادّة،والماديات وهو محيط بجيمع الموجودات، فلا يسعه مكانٌ، إنّ وجوده وجودٌ مطلق غير محدود ، يحيط بجميع الامكنة، فهو حاضر في جميع الامكنة، وناظر لكل شيء، ولا يقال في حقّه إنّه هنا أو هناك.

ولو أنّنا رفعنا أيدينا ـ عند الدعاء والابتهال ـ إلى السّماء، فان ذلك لم يكن لأجل أننا نعتقد أنّ الله في السماء، بل إنّنا نُظْهِرُ ـ بهذا العمل ـ الذِلّة والخضوع، ونجسِّد حالة السائلَ المضطرّ المتضرّع.

وإذا ما سَمَّينا المسجد أو الكعبة بيوت الله فانّ ذلك لأجل أنَّ الله تعالى يُعبَد هناك، وهو سبحانه اعتبر هذه الاماكن بيوتا له وشرّفها.

٧ ـ الله ليس محتاجاً: إنّ الله موجودٌ مطلَق كامِل من جميع الجهات ولا سبيل للنقص والعدم إلى وجوده، ولهذا فهو واجب الوجود، ولا يتصوّر العدم والفقر في ذاته، وحيث أنّه هكذا، لذا فهو لا يحتاج إلى شيء.

إنّ جميع الكمالات صادرة منه سبحانه، وهو في ذاته واجد لجميع الكمالات.. إنّه لا يفتقر إلى شيء حتى يحتاج إليه، وعلى هذا فهو لا يحتاج إلى أحَد، ولا إلى شيء أبداً.

ولو أنّه كلّف العباد بأشياء، وطلب منهم أن يجاهدوا دفاعاً عن الدين، فليس ذلك لأجل انه يحتاج الى الدين والعبادة والجهاد.. بل لأنّ الناس أنفسهم بحاجة إلى الدين والعبادة والجهاد في سبيل الله من أجل تكاملهم النفسيّ، وسعادتهم الأُخرويّة، والله المنّان بإرساله الرسُل وبعثه للانبياء، وتشريعه للقوانين والشرائع قد تكفّل بحاجاتهم وسبلهم التي تضمن لهم السعادة في الدنيا والنجاة في الاخرة.

إنّ العباد ليس لهم أن يمنّوا على الله بتديّنهم وإسلامهم، بل الله الكريم يمنّ عليهم إذ هداهم بارسال الرسُل إليهم، وتشريع الأحكام لهم وارشادهم.

وإذا ما شرّع الله الزكاة والخُمس، وطلب من النّاس أن يساعدوا الفقراء

والمحرومين، ويجتهدوا في القيام بالأُمور الخيريّة العامّة، فإنَّ ذلك ليس لأجل أنّه محتاج إلى المساعدات الماديّة بل لاجل أن أمثال هذه الأُمور ضروريّة لإدارة المجتمع، وهي لمصلحة الناس عامّة.

هذا مضافاً إلى أنّ الله العظيم لَطَف بعباده إذ جعل هذه المساعدات الماديّة التي هي في صالح المجتمع، من العبادة، بل عدّها من أعظم العبادات التي إذا أُتي بها بقصد التقرّب إلى الله أوجبت تكاملَ النفس، وتلقّى صاحبُها في عالِم الآخرة مئات أضعافِها من الأجر والعوض.

٨ ـ الله ليس ظالماً: إنَّ الله لا يظلم أحداً أبداً لأنّه لا يحتاج للظلم، وقد قرأتم تفصيل هذا الدليل بصورة أوسع في مبحث العَدل عند بيان الصّفات الكمالات.

٩ ـ ليس لله شريك: لا شريكَ له في خلق الكائنات ولا في إدارة الكَون، وتدبير العالَم، وهو لا يرضى لعباده ان يتخذوا معبوداً سواه.. وسيأتي المزيد من التفصيل في هذا المجال، كما سيأتي دليله في مبحث التوحيد.

قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً**﴾[1].

فكّروا وأجيبوا

١ ـ ما الدليل على أنّ الله ليس بعاجزٍ؟.

٢ ـ لماذا لا يكون الله محلّاً للحوادث؟.

٣ ـ لماذا لا يكون لله مكانٌ؟

٤ ـ إذا لم يكن لله مكانٌ فلماذا سميت الكعبة بيت الله؟

٥ ـ ما الدليل على أنّ الله تعالى ليس بمحتاج؟

---

(١) النساء ـ ٤٠.

٦ ـ إذا لم يكن الله محتاجاً فلماذا طلب من عباده أن يقوموا بالأُمور الخيريّة؟

٧ ـ إذا لم يكن الله محتاجاً فلماذا طلب من النّاس أن يجاهدوا دفاعاً عن الدين؟

* * *

الدرس العشرون

التوحيد والشرك

بُعِثَ محمّد (ص) بالنبوّة والرّسالة من جانب الله في عصرٍ كان أكثر سكّان العالم جَهَلَةً مشركين، يعبدون الاصنامَ.. وكانوا يظنُّون أنّ هناك آخرين غير الله يشاركونه في تدبير العالَم وإدارته، وكانوا يُشركونهم معه تعالى في العبادة.. ويطيعونهم بدلاً عن الله الحيّ الواحِد القادر العليم ويعبدونهم!!

كانوا يعبدون التماثيل الميّتة، والأصنام الجاهلة العاجزة، وينذرون لها، ويقرّبون إليها القرابين، ويطلبون منها حوائجهم.

كانوا يعتبرون الظَلَمَة والأقوياء والطواغيت أشخاصاً ممتازين، ويتصوّرون أنّ عليهم طاعتهم.. والامتثال لأوامرهم، ويتخذّونهم أولياءَ وسادةً دون الله، ويرون أنّ القدرة على إسعادهم وإشقائهم وإماتتهم، وإحيائهم رهن لمشيئتهم وارادتهم.. فيطيعونهم إلى حدّ العبادة، ويظهرون أمامهم منتهى الخضوع والعبوديّة!!

كان الجاهليّون المشركون قد نسوا حريّتهم وإستقلالهم الموهوبَين لهم من جانب الله، ويعتبرون أنفسهم عبيداً أرقّاء للسّادة المستكبرين من طواغيت عصرهم، ويخضعون لهم، ويسجدون أمامهم.

كان النّاس في ذلك العصر غارقين في عبادة الأصنام، فرحين بها، فيما كان السّادة المستغِلّون يسيطرون على نفوسهم وأموالهم، وينهبون ثرواتهم وحصيلة جهودهم.

كان أكثر النّاس في ذلك العصر يعيشون في منتهى الحرمان والفقر، ولكن لم يكونوا يجرأون على أن ينهضوا ضدّ الطواغيت وينتزعوا منهم حقوقهم.

كانت الوثنية، وعبادة الشخصيات، وعبادة القبيلة والوطن، والذات قد فرّقت

الناس ومزّقتهم تمزيقاً، وكان الأسياد الظالمون والمستغلُّون يؤجّجون نيران هذه الاختلافات.

جميع هذه العبارات كانت من مظاهر الشرك، وكان أكبر الأسباب لشقاء الناس يومذاك هو الشرك.

فماذا كان العلاج النافع لهذه الامراض كلِّها؟ ماذا كان الطريق لخلاص أُولئك البشر الّذين كانوا يحترقون في نيران الشّقاء والفقر؟ كيف كان بإمكانهم أن يتخلَّصوا من كلّ هذا الظلم والحيف؟.

كانوا يريدون قائداً يبيّن لهم، فيوقظهم ويوعيهم ويخلّصهم من الشِّرك والوثنيّة، ويدعوهم إلى التوحيد[1]. وعبادة الله تعالى.

في مثل هذا العصر اختير «محمّد» صلى الله عليه وآله من جانب الله الرحيم، للنبوّة والقيادة، فكانت أوّل خطوة، وأهمّ عَمَل قام به هو مكافحته للشّرك والوثنيّة.

إنه قال للناس في بداية دعوته: ﴿قُولُوا لا إِلَهَ إِلاّ اللهُ تُفْلِحُوا﴾ يعنى آمنوا بالله وحده ولا تعبدوا أحداً سواه لتنالوا الفلاح.

هل تعلمون ماذا يعني هذا الكلام؟ إنّه يعني: أُتركوا الأصنام العمياء والصمّاء، وهذه الآلهة المصطَنعة المزعومة وانبذوها، وأطيعوا خالق الكَون، واعبدوه دون سواه.. أُخرجوا من ولاية الظَلَمة الجبّارين، وأقبَلوا بولاية رسول الله وقيادته حتى تتحرّروا، وتسعدوا وتصيروا سادةً أعزاء.

كان النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يقول لهم: أيّها الناس إنّ خالق هذا العالم، ومدبّره هو الله دون سواه.. إنّه أقام في العالم القوانيَن والسننَ، وهو الّذي يدير الكون ويدبّره.

فبتدبيره وتنظيمه وإرادته يأتي الليلُ والنهارُ ثم يذهبان، وينزل الماءُ والثلج من السماء إلى الأرض، وتثمر الاشجار والنباتات، وتتفتح الأزاهير والورود، وتحصل

---

(١) التوحيد = الاعتقاد بوحدانيّة الله، وإفراده بالعبادة.

الحيوانات والبشر على أقواتها.

الله الحيُّ العالِمُ القديرُ الذي بقدرته وعلمه خلق جميع الكائنات، وهو مستغنٍ عنها جميعاً.. جميع الموجودات محتاجة إليه، ولا يستطيع أيُّ مخلوق على شيء من دون معونة الله وإذنه.. إعلموا أنّ الله لم يفوّض تدبير الكون وإدارته إلى أحد قط.

كان النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ينذِرُ الناس قائلاً لهم؛ إعلموا انّ جميع أفراد البشر مخلوقين لله سبحانه.. واعلَموا أنّ عليكم أن تعامِلوهم جميعاً بصورة عادلة: الابيض والأسود، والأحمر والأصفر، الرجل والمرأة، العرب وغير الغرب!

إنّ لجميع أفراد البشر الحقَّ في الحياة والحريّة، وإنّ اكرمَ النّاس عند الله أتقاهم.

إنّ الله خلَق الأرض والمصادر الطبيعيّة للنّاس لينتفع بها الجميعُ، فمِن حقّ الجميع أنْ يستفيدوا منها.. لكلِّ واحد من النّاس أن يعمّر أرضاً ويحييها بعمله وجهده، وأن يستفيد من ثروات الأرض الطبيعية بمقدار حاجته، وينفّع الاخرين أيضاً.

كانَ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يقول للنّاس: أيّها النّاس لا تطيعوا السّادة الظالمين، وقد خلقكم الله أحراراً، فليس أيّ واحد منهم وليّاً ومالكاً لكم.. إنّما وليّكم الّذي خَلَقكُم لا غير.. فهو قائدكم وسيّدكم، وإليه قيادتكم دون سواه، ولا تجب طاعة أحدٍ عليكم غير الله، وغير مَن له الولاية عليكم من جانبه سبحانه.

اتّقوا الله.. إنَّ خير الزّاد التَّقوى، وأطيعوني حتّى أُخلّصكم من شرّ هؤلاء الجائرين المتكبّرين.

إنّكم أحرارٌ جميعاً، ويجب أن لا تكونوا أسرى بايدي الظَلَمة الناهبين لخيراتكم. ولا أن تخضعوا لسُلطانهم الكاذب.

لا تخافوا غير الله، ولا تأملوا في رحمة سواه، ولا تثقوا بغيره، واجتهدوا لكسب رضاه فقط، واْعملوا مخلصين له العمل، اتحدوا وكونوا يداً واحدة.

أُنبذوا المعبودات المزيّفة، الباعثة على الفرقة والاختلاف.. وانضووا جميعاً تحت راية التوحيد حتى تصيروا أحراراً سعداء.. إبدأوا جميع أعمالكم بأسم الله، واْتوا بها

لله وحده.. واْستعينوا به خاصّة حتى تنتصروا في هذه المكافحة والمجاهدة.

آية من القرآن الكريم

﴿ومَنْ يُشْرك بِالله فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيْداً﴾[1].

فَكِّروا واجيبوا

١ ـ ما هي مظاهر الشرك والوثنيّة؟

٢ ـ لماذا يؤجج المستغلّون نيران الشقاق بين الناس ؟

٣ ـ ماذا يعني التوحيد؟ وماذا يعني الشرك؟

٤ ـ ما هي أوّل وأهمُ خطوة قام بها النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

٥ ـ ما هي رسالة الفَلاح التي أعلن عنها الاسلام.. وما معناها ومفادها؟

٦ ـ من هُم اكرم النّاس عند الله؟ وبماذا يفضَّل الانسان عند الله؟

٧ ـ هل للظَلَمة والجبّارين ولاية على الناس، وهل يحقّ لهم أن يقودوا البشر؟ من هو الولّي الحقيقيُ والمالك الواقعي لبني البشر؟

٨ ـ ما هو الطريق الاساسي الى الانتصار النهائيّ على المستكبرين؟

* * *

(١) النساء ـ ١١٦

الدرس الواحد والعشرون

الدليل على التوحيد

الله واحد، وليس له في خلق العالَم شريك.. واليه تعالى شؤون العالم كلِّهِ، وليس سواه خالق، ولم يعط الوجودَ غيرُهُ.

إن جميع الموجودات كبيرها وصغيرها خلقها الله ولم يحتج في خلقها إلى أحد، وذلك بالأدلّة التالية:

الدليل الأول: اذا كان هناك آلهان أو أكثر لم يخرج ذلك من عدة صور:

الصورة الاولى: أن يخلق كلُ واحد من الخالِقَين. ـ لو افترضنا بوجود الهين ـ جميع الكائنات بالاستقلال ، يعني أن يُوجَد كلُ كائن مرّتين، وأن يعطي كل آله الوجود له بصوره مستقلّة .

إنّ بطلان هذا الفرض يثبت بأدنى تأمّل، لأنّه ليس لكلّ كائن اكثر من وجودٍ واحدٍ، ولا يمكن أن يكون له أكثر من خالقٍ واحدٍ.

فهو بعدَ أن أعطاه الله الوجودَ لا يمكن أن يعطيه آخرٌ الوجودَ أيضاً.. لأنّ في ذلك تحصيلاً للحاصل، ولأنّ تأثير العلّتين في معلول واحدٍ مُحال.

الصورة الثانية: أن يخلق هذان الآلهان الكائناتِ بالتعاون، بحيث يكون كلُ موجود مخلوقاً لهذين الآلهين ، وأن يكون كلُ واحدٍ (اي هذين الخالقين) جزءً من العلة الموجودة!!

إنّ الاحتمال المذكور هو الآخر باطلٌ وفاسدٌ، لأنّ تعاون ذينك الالهين للقيام بعملٍ واحدٍ إنْ كان بسبب الحاجة والنقص، ولأجل أنّ كلّ واحد من الآلهين عاجزٌ عن خلق الشيء لوحده، ولا يمكنه من دون مساعدة الآخر ايجاد الشيء المعيّن، فان

النقصَ والحاجة لا يتلاءمان مع الالوهية؟

ولو قيل: إنّ كلّ واحد منهما قادرٌ بمفرده على أن يخلق العالم، ولكنّهما ـ في نفس الوقت ـ يتفقان ويخلقان الكون بالتعاون والمشاركة كما يشترك عدة أشخاص أحياناً في رفع صخرة واحدة مع أنّ كلُّ واحد منهم قادر على أن يرفع تلك الصَّخرة، بمفرده ومن دون مساعدة الآخرين ومعونتهم، فإنّ هذا الاحتمال هو الآخر ليس صحيحاً، لأنّ العلّتين أو الفاعلين اللّذين يقدر كلُّ واحدٍ منهما على إتيان عملٍ بمفرده، لو غضّ الطرف عن استقلاله واستعان بالآخر، وقام بالعمل بمعونته، لم يكن ذلك من دون سبب.. فهو إمّا أنّه يريد أن يصرف قدراً أقلّ من طاقته، وإمّا انه يريد أن يتجنب مخالفة الطرف الآخر، ويتخلّص من معارضته له. وإمّا أنّ كلَّ واحدٍ منهما يخشى الآخر ويخافه.. وباختصار هو بحاجة إلى مساعدة الآخر ومعونته في حين أنّ الاحتياج والفقر لا مكان له في الذات الآلهيّه بشكلٍ من الأشكال.

هذا مضافاً إلى أنَّ كل واحدٍ من الآلِهة المفروضة حيث أنّه يعلم بمصالح العالَم، ويقدر على إيجادها، وكما أنّ قدرته وعلمه عين ذاته، ولا مكان للبخل في وجوده، فإنّه يجب أن يكـون بالنسبة إلى خلق العالَم علةً وخالقاً مستقلاً، وأن يدبره وفق العلم والقـدرة.. وفي النتيجة يلزم من ذلك أن يخلق كلُ واحد من الآلهين المفروضَين العالَم بمفرده وعلى نحو الاستقلال.. في حين ثبت فيما مضى أنّ تأثير علّتين مستقلّتين في معلولٍ واحد محالٌ.

الصورة الثالثة: إنّ الآلهين المفروضين يقتسمان كائنات العالم، فيستقلُّ كلُ واحد منهما بخلق بعض الموجودات ولا يتدخّل في خلق البعض الآخر.

إنّ هذا الاحتمال باطل أيضاً، لأنَّ كلَّ واحدٍ من الآلهين المفروضين اذا كان يعلم بالمصلحة في ايجاد البعض الآخر من الموجودات وكان يقدر على ايجادها وخلقها وجب أن يخلقها أيضاً.. ويلزم من ذلك أن يكون المعلول الواحد ناشئاً من علتين مستقلّتين، وهذا ما ثبت بطلانه قبل ذلك.

وأمّا إذا لم يكن له علمٌ بالمصلحة، أو لم يقدر على الإيجاد أو بخل بذلك، كان ناقصاً أيضاً، ولم يكن أهلاً للُالوهيّة.

الدليل الثاني: إنّ أحد الآلهين المفروضَين إذا خلق موجوداً، وعزم الآله الآخر على إعدامه، فإن استطاع الآله الأوّل الدفاع عن مخلوقه ومنع الآلَهَ الثانيَ من تنفيذ إرادته، كان الثاني عاجزاً، فلم يكن حينئذ إلهاً، وإذا لم يقدر على حماية مخلوقه كان عاجزاً، ولم يكن حينئذ إلهاً أيضاً.

فَكِّروا واجيبوا

١ ـ ماذا يعني التوحيد؟
٢ ـ وضّحوا الدليل الأوّل توضيحاً جيّداً.
٣ ـ وضّحوا الدليل الثاني توضيحاً جيّداً.

* * *

الدرس الثاني والعشرون

الشرك

الشرك يقابل التوحيد، وهو ينقسم إلى نوعين: الشرك النظري، والشِرك العملي.

انواعَ الشِركِ النظريّ

١ ـ الاعتقاد بتعدّد ذاتِ واجب الوجود.

٢ ـ الإعتقاد بتعدّد الخالق، بمعنى أن يعتبر واجبَ الوجود واحداً، ولكن يعتقد في مقابل ذلك بأنّ بعض الموجودات خالقة أيضاً، وأنّها مستقلّة في خلقها وإيجادها وهذا يسمّى بالشِرك في الخالقية.

٣ ـ الاعتقاد بتعدّد الربّ بمعنى أنّه يعتقد بوحدة واجب الوجود في مقام الذات، والخالقية، ولكنّه يعتقد بتعدّد الربّ، ويعتقد بأنَّ التصرّف في العالم كلّه أو بعضه، وتدبيره وإدارته فوِّض إلى أشخاص معيّنين يقومون بتدبير العالم على نحو الاستقلال.

إنّ الشّرك النظري هو أسوأُ أنواع الشرك،وكلُّ من يعتقد مثل هذا الإعتقاد يُعَدّ في نظر الاسلام مشركاً كافراً، وله أحكامٌ خاصّة: قال في القرآن الكريم: ﴿**إنَّ الله لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعيْداً**﴾[1].

انواع الشِركِ العملّي

١ ـ الشّرك في العبادة: يعني أن يتخذ معبوداً غير الله، ويقوم له بالعبادة التي هي حقّ مختصٌّ بالله تعالى، ويمارس ذلك الخضوع الذي يجب أن يمارسه أمام الله، أمام ذلك الغير، ويعتبر إرادته أمراً مستقلاً في مقابل ارادة الله تعالى.

---

(١) النساء ـ ١١٦.

٢ ـ الشرك في الولاية والطاعة: إنّ الولاية ووجوب الطاعة مختصة بالله تعالى، وليس سواه ولّي وواجب الطاعة إلّا الذين لهم الولاية ووجوب الطاعة من جانبه سبحانه.

وعلى هذا فانّ الّذين قبلوا بولاية الطواغيت، ويرون وجوب طاعتهم عليهم، وعلى غيرهم من أعضاء المجتمع، ويتحرّكون في نفس الاتجاه الذي يريده الطواغيت لهم، إنّما هم في الحقيقة يعبدون الطواغيت، وليس الله الواحد.. إنّهم يُعَدّون مشركين أيضاً، لأنّهم يعتبرون أوامر الطواغيت ورغباتهم فرضاً مثل اوامر الله، ويخضعون لها تمام الخضوع، ويعطون أصحابها الطواغيت حقّ التشريع والتقنين. قال في القرآن الكريم ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسُوْلاً أن أعبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطّاغُوتَ﴾[١].

ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الّذِيْنَ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بما أُنْزِلَ إلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيْدُوْنَ أنْ يَتَحاكَمُوا إلى الطّاغُوْتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيْدُ الشَيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾[٢].

ويقول: ﴿إنِ الْحُكْمُ إلّا لله أَمَرَ أنْ لا تَعْبُدُوا إلّا إيّاهُ ذالِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلكِنَّ أكْثَرَ الناسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

فكّروا واجيبوا

١ ـ ما هو الشرك في الذات؟

٢ ـ ما هو الشرك في الخالقية؟

٣ ـ ماذا يعنى الشرك في الربوبية؟

٤ ـ ماذا يعنى الشرك في العبادة؟

٥ ـ ماذا يعنى الشرك في الولاية؟

٦ ـ احفظوا الآيات وتعلموا تفسيرها.

---

(١) النحل ـ ٣٦

(٢) النساء - ٦٠.

(٣) يوسف ـ ٦٠.

الدرس الثالث والعشرون

مكافحة الشرك

جعل رسولُ الاسلام صلّى الله عَليه واله مكافحة الشِّرك في مقدّمة برامجه، وعلى رأس أعماله، فكان يكافح كُلّ أنواع الشِرك، وعلينا نحن المسلمين أيضاً أن نكافح كل ألوان الشِرك الجلّي والخفيّ، ويجب أن ننبذ جميع المعبودات المزيَّفة التي تتدخّل في حقوق الله الواحد الخاصة، والتي تضع القوانيَن الوضعية لادارة المجتمع، متجاهلةً قوانيَن الله وأحكامه، وتُلزِم الآخرين باتّباعها.. نعم يجب ان ننبذ كلّ هذه المعبودات الكاذبة، وكلّ هؤلاء الطواغيت، ونقبل فقط بولاية أُولئك الّذين أمضى الله ولايتهم وأوصى بطاعتهم.

أجل نحن المسلمون موحِّدون نعبد الله وحده.. نوحّد واجب الوجود، ونرفض أيّ شريك له، ونعتبره الخالق الوحيد للكَون وظواهره، ولا نعتقد بمؤثّرٍ ومدبّرٍ للعالم سواه، لا نقبل بولاية وطاعة أحد غير الله، وغير الّذين نصِّبوا للولاية من جانبه تعالى.

ليس لنا معبودٌ سوى الله الواحد، ولا نعبد شيئاً غيره.

ولو أنّنا طُفنا بالكعبة المشرّفة، وتسلّمنا الحجر الأسود أوجدارها، أو قَبّلناه، وتوجّهنا صوب ذلك المكان اينما كنّا حال الصلاة، فإنّ ذلك كلَّه لا يعني أنّنا نعبد الحجر والخشب والسِّتار والذهب والفضّة، أو لأجل أنّنا نعتبر تلك الاشياء مقدّسة بذاتها، بل لأجل أنّنا نعبد إلٰه الكعبة في ذلك المكان المقدّس، وفي أيّ مكان آخر، ونأتمر في هذه العبادة بأمر اللهِ خالق الكَون، ونتبع سيرة الرسول الاكرم صلّى الله عليه وآله.

وإذا كنّا نصلّي في مسجد النبيّ وعند مرقده أو مراقد الأولياء، فليس ذلك لأجل أنّنا نعبد قبره أو ضريحه أو ذاته، بل لأجل أنِّنا نعبد الله خالق الكون في ذلك المكان الشريف الذي لا يخفى فضلُه وروحانيته على أصحاب القلوب النابهة، ونستلهم من آثاره وبركاته المعنوية.

وإذا كُنّا نزور مرقد النبي وسائر أهل البيت، وكذا مراقد أولياء الله، ونتسلَّمُ أضرحتهم، ونُقبِّلُها، فليس ذلك لأنّنا نعبد تلك الأضرحة والقبور أو نعبد أصحابَها، بل لأجل أنّنا حيث لا يمكننا أن نتوصل إلى النبي (صلّى الله عليه وآله) والأئمة من أهل بيته (عليهم السلام) أنفسِهم نقبّلُ مراقدهم المقدسة التي تضمّ أجسادهم الطاهرة، وتُعتبَر آخر نقطة ودّعوها من العالم، ونلثم أضرحتهم التي تنتمي إليهم، ونتبرّك بها، وبهذه الطريقة نظهرُ حبَّنا لهم، وعلاقتنا التي تنبع من أعماقنا بهم، ونذرف الدموع، ونحن نتذكر تضحيات تلك الصفوة الطيّبة من أولياء الله وخيرته في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، ونشر الاسلام، ونسلّم على أرواحهم الطاهرة، ونقرأ القرآن عند مراقدهم وقبورهم، ونتلوا سورة الفاتحة ونهدي ثوابها إلى أرواحهم الزكيّة، وبهذه الطريقة نقدّرهم ونجلُّهم، ونحيي ذكراهم في قلوب المؤمنين، ونتبع بهذا العمل سيرة النبي وصحابته الكبار والأئمة من أهل بيته المكرَّمين.

قال أنس بن مالك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: كنتُ نَهيتكُم عن زيارةِ القبورِ، ألا فزُورُوها فإنّها ترقُّ القلب وتدمعُ العين وتذكّر الآخرة، ولا تقولوا هجراً[١].

وروى سليمان بن بريدة عن ابيه قال: زار النبيّ قبر أُمّه في ألف مقنَّع فلم ير باكياً إكثر من يومئذ[٢].

عليّ بن الحسين عن أبيه: أنّ فاطمة بنت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كانت تزور قبر عمّها حمزة كلّ جمعة فتصلّي وتبكي عنده[٣].

عن ابي مويهبة مولى رسولِ الله صلّى الله عليه وآله قال: أُمِرَ رسولُ الله أن يصلّي على أهل البقيع فصلّى عليهم رسول الله ليلاً ثلاث مرات[٤].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج١ ص ٣٧٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج١ ص٣٧٥.

(٣) المستدرك على الصحيحين ج١ ص ٣٧٧.

(٤) مجمع الزوائد ج٣ ص ٥٩.

عن عمر بن الخطاب أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خرج إلى البقيع ـ بقيع الغرقد ـ فقال: السلام على أهل الدّيار من المسلمين والمؤمنين، ورحم الله المستقدمين وإنّا إن شاء الله لا حقون ـ يعني بكم ـ[١].

عن عائشة أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قبّل عثمان بن مظعون وهو ميّت وهو يبكي قال: وعيناه تهرقان[٢].

عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وعائشة: انّ أبا بكر الصدّيق قبّل النبيّ صلّى الله عليه وآله وهو ميّت[٣].

فإذا كان يجوز تقبيل جسد الميّت، وَلا يكون ذلك شركاً، ولا بدعة، فلماذا لا يجوز تقبيل ضريح النبيّ أو الأئمة من أهل بيته؟

وإذا كنّا نعمّر قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته أو غيرهم من أولياء الله، ونعلّم عليها بعلامة، أو نكتب أسماءهم على قبورهم، ونبني عليها أبنية وقباباً، فإنّنا لا نفعل ذلك بقصد عبادة القبور أو عبادة أصحابها الراقدين فيها، بل نهدف من هذا العمل إلى أمرين:

الهدف الأوّل: هو تثمين تضحياتِ أُولئك الرجال الصّالحين الآلهيين في سبيل الدفاع عن الاسلام والسعي في إعلاء كلمة التوحيد.

وإنّنا نعمل هذا العمل حتى يتشجّع الآخرون ويعلموا أنّ تضحياتِ الرجال الصالحين، وأعمالهم الحسنة لا تُنْسى أبداً، بل تَلقى تقديرَ الجميع دائمًا وأبداً.

الهدف الثاني: هو أنّنا نريد أن تبقى آثار الرجال الصالحين، من خيرة الله وصفوته وأسماؤهم باقيةً خالدةً، تنجذب نحوها القلوبُ، يزور المحبّون قبورهم ومراقدهم الطاهرة عبر القرون والأعوام، ويستلهمون من أقوالهم وأعمالهم برنامج حياتهم وعملهم، ويجدّون ويجتهدون في مواصلة أهدافهم، وتحقيق أمنياتهم العظيمة.

---

(١) مجمع الزوائد ج٣ ص ٦٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج١ ص ٣٦١، أُسد الغابة ج٣ ص ٣٨٦.

(٣) المستدرك ج١ ص ٣٦١.

إنّ إصلاح وتعمير القبور والتعليم عليها بعلامة وكتابة أسماء اصحابها عليها، كانت من الأُمور الرائجة منذ أقدم العصور ولا تزال وقد اهتمّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وبعض أصحابه بذلك أيضاً.

فقد ذكر في أحوال عثمان بن مظعون: وأعلمَ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم على قبره بحجر وكان يزوره[١].

وروى ابن ابي شبة عن ابي جعفر قال: أنّ فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله كانت تزور قبر حمزة، ترمّه وتصلحه، وقد تعلّمته بحجر. وفي رواية اخرى عن علي بن الحسين وزاد: فتصلي هناك وتبكي حتى ماتت[٢].

ولقد دُفِن جسدُ النبي المطهّر صلّى الله عليه واله في حجرة عائشة مع أنّه كان هناك بناء، ولم يستنكر أحدٌ من الصّحابة ذلك، ولم يقولوا: هدِّموا البناء بعدما دفنتم فيه رسول الله، بل دفن من بعده إثنان من صحابته الكبار: أبو بكر وعمر في نفس ذلك المكان المسقوف، ولم يعترض أحد على ذلك قطّ.

ولو كان هذا جائزاً في حقّ رسول الله فهو جائز في حقّ سائر أولياء الله أيضاً.

وأساساً إنّ تعمير قبور الأئمة، ومراقد قادة الدين وإصلاحها، وتشييد القباب والأبنية عليها كان متعارفاً بين المسلمين في جميع البلاد الاسلامية منذ أقدم الازمنة، ولم يعترض أحد على ذلك، ولم يقلْ بأنه شرك أو بدعة.

نحن نقيم الاحتفالات في ذكريات مواليد النبي وسائر الأئمة من أهل البيت النبويّ، ونتّخذ الزينة، ونعلّق الأضواء والمصابيح الملوّنة، ونلقي القصائد والاشعار في مديحهم، ونقرأ الأحاديث التي تتضمّن مناقبهم وفضائلهم، ونكرّمهم ونجلّهم، وبهذه الطريقة نحيي في النفوس ذكرى أُولئك الرجال الابرار، والصفوة الأخيار، ونخلّدها في القلوب والأفئدة، ونحافظ على إيمانها بهم، وهذا نوعٌ من تعظيم الشعائر الذي عدّ - في القرآن الكريم - من علائم التقوى. ﴿ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فإنّها مِن

---

(١) أُسدُ الغابة ج٣ ص ٣٨٧.

(٢) وفاء الوفاء ج٣ ص٩٣٢.

﴿تَقْوَىٰ الْقُلُوبِ﴾[١].

إنَّ هذا العَمَل ليس بدعة، ولا عبادة للأموات.. ألا يحتفل الناسُ بمواليد أنفسهم أو أولادهم أو عظمائهم، فهل يقول أحد: هذا العمل شركٌ أو بدعة؟

إنّنا نقيم مجالس العزاء في مناسبة وفاة النبيّ، او وفيات الأئمة من أهل بيته، وننشد لهم المراثي، ونبكي لمصائبهم، ونذرف الدموع على ما أَلَمَّ بهم من مِحَن، وبهذه الطريقة نُكبّر تضحياتهم من جانب، كما نحتفظ من جانب آخر بذكرياتهم في أفئدة النّاس حيّةً مثل جميع أبناء الشعوب التي تقيم المآتم عند فقدان ذويهم، ويبكون عليهم، فهل يمكن أن يُقال بأنّ هذه الأعمال شرك وبدعة؟

إنّ رسول الله لم ينه عن مراسِم العزاء وعن النَّوح على شهداء «أُحُد» فحسب، بل وأبدى أسفه من عدم وجود مأتم لعمّه حمزة.

قال المؤرّخون: ولما عاد النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى المدينة سمع النوح على قتلى الأنصار. قال: لٰكِنَّ حَمْزَةَ لا بَواكِيَ لَهُ، فسمع الأنصار فأمروا نساءَهم أن يندبن حمزة قبل قتلاهم ففعلن. قال الواقدي: فلم يزلن يندبنَ بالندب لحمزة حتى الآن[٢].

نحن نعتقد بالشفاعة... نعتقد بأنّ رسول الله وأئمة أهل البيت وسائر الأنبياء والشهداء بل والعلماء والمؤمنين الصالحين يستطيعون أن يشفعوا للآخرين، ولكنّنا نعلم أنّ الأنبياء وأئمة أهل البيت بَشَرٌ لا يمتلكون من لدن أنفسِهم استقلالاً، ولاقدرة ذاتيّة.. إنّهم مثل جميع الموجودات الأُخرى محتاجون في جميع أُمورهم إلى الله الغنيّ، ولا يمكنهم أنْ يعملوا عَمَلاً من دون إذنه وإجازته، وبناءً على هذا إنّما يمكنهم الشفاعة إذا أذِن الله لهم.

قال في القرآن الكريم:

﴿قُلْ لِلّٰهِ الشَّفاعَةُ جَمِيْعاً لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ ثم اليه ترجعون﴾[٣].

---

(١) الحج ـ ٣٢.

(٢) أُسد الغابة ج٢ ص ٤٨.

(٣) الزمر ـ ٤٤.

﴿مَنْ ذا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلّا بإذْنِه﴾[١].

﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إلّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحمانُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[٢].

هذه الآيات ونظائرها تفيد أنّ أمر الشفاعة وإن كان بيد الله سبحانه ولكن يجوز لأشخاص آخرين أيضاً أن يشفعوا باذنه، وتقبل شفاعتهم ومِن هؤلاء: رسول الله صلّى الله عليه وآله.. وهناك أحاديث كثيرة وردت في كتب الحديث، وحتى الصِّحاح في هذا المجال، ومنها على سبيل المثال:

أنس بن مالك عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا أوّل الناس يشفع في الجنّة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً[٣].

عن أبي هريرة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: لكلّ نبيّ دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له فيؤتاها، وانّي اختبأت دعوتي شفاعة لأُمّتي يوم القيامة[٤].

إنّ النبي صلّى الله عليه وآله وان كان يخبر في هذه الأحاديث عن شفاعته يوم القيامة، ولكنّ ذلك لا يختصّ به فحسب، لأنّ الشفاعة نوع من الدُّعاء، وقد دعا رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) في حياته لبعض الاشخاص، وقد أُجيبت دعوته، وقد ذُكِرَت بعض هذه الموارد في الكتب المعروفة، من جملتها دعاؤُه في حق أنس حيث قال: اللّهم أكثِر مالَه وولدهُ، وبارِكْ له فيما آتيته. فاجاب الله دعوته[٥].

وبناءً على هذا لا مانع من طلب الشفاعة والدعاء من النبي والأئمة، وليس ذلك شركاً، ولا بدعة.

إنّهم وإن كانوا أصحاب مقام رفيع، وَتُقبَل شفاعتهم ويستجاب دعاؤهم، ولكنّهم لا يمتلكون استقلالاً أمام الله ولا يقومون بعمل من دون إذن الله قط.

---

(١) البقرة ـ ٢٥٥ .

(٢) طه ـ ١٠٩.

(٣) صحيح مسلم ج١ ص ١٨٨ .

(٤) صحيح مسلم ج١ ص ١٨٩

(٥) نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض ج٣ ص ١١٤ .

نحن نريد منهم أنْ يدعوا لنا، فإن كانوا مأذونين من جانبِ الله فعلوا ذلك، وإنْ لم يكونوا مأذونين لم يستجيبوا لنا ولطلبنا.

وحياتهم ومماتهم غير مؤثّرين في هذا الجانب أبداً، لأننا نعتبر روح الانسان موجوداً مجرّداً عن المادّة وآثارها، فلا تفنى الروح بالموت، بل تنتقل من هذا العالم إلى عالم البرزخ، ثم إلى عالم الآخرة.

وعلى هذا الاساس فإنّ أرواح النبي الأكرم والأئمة الأطهار، وأرواح أولياء الدين المقدسة تبقى حيَّة بعد الموت، وتواصل حياتها في عالم البرزخ، وبالنظر إلى درجتهم الوجودية الرفيعة يعرفون بما يجري من الحوادث في العالم الدنيوي من أعمال الناس وما يقومون به من افاعيل.

وقد وردت الاشارة إلى هذا المطلب في الاحاديث الشريفة أيضاً.

وعلى سبيل المثال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: حَياتي خيرٌ لكمْ تحدّثون وتحدثُ لكم، ووفاتي خيرٌ لكم تُعَرضُ عليّ أعمالُكم، فما رأيتُ من خيرٍ حمدتُ الله عليه، وما رأيت من شرّ استغفرتُ الله لكم[1].

وعلى هذا الأساس فإنّ طلب الدعاء والشفاعة من رسول الله وأئمة أهل البيت أمر مشروع ومفيد، لا هو بشرك ولا ببدعة، ولا بلغوٍ أبداً.

فكّروا واجيبوا

١ ـ كيف نكافح الشرك؟

٢ ـ هل زيارة قبر النبيّ والأئمة شرك؟ ولماذا؟

٣ ـ لماذا نعمّر قبور النبيّ والأئمة ومراقدهم؟

٤ ـ ما هو المقصود من إقامتنا مراسم ميلاد النبي الاكرم (صلّى الله عليه وآله)؟

٥ ـ هل طلب الشفاعة من النبيّ والأئمة شرك؟

٦ ـ احفظوا الآيات ولأحاديث.

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص٢٤.

الفصل الثاني

المعاد

الدرس الأول

اثبات المعاد - الدليل الاول

يتّفق جميعُ الأنبياء، وجميعُ الكتب السَّماويّة على أنّ حياة الإنسان لا تُختم بالموت، بل هناك بعد هذا العالَمِ الدنيويّ عالَمٌ آخر ينتقل إليه الانسانُ بعد الموت، ويرى فيه جزاء أعمالِهِ وأفعاله.

الصالحون ستكون لهم حياة طيّبةٌ سعيدة، وسوف يعيشون في نعمة، ورَوح وريحان، والعصاة ستكون لهم حياة صعبة شقيّة جدّاً، وسيعيشون في عذابٍ وألَم.

إنّ المعادَ وعالَم ما بعد الموت من القضايا الضروريّة في جميع الأديان السَّماويّة، وكلُّ من يقبل بالأنبياء، ويؤمن بهم يجب أن يقبل بالمعاد أيضاً ويؤمن به.

إنّ العقلَ البشريّ هو الآخَر يجب أن يؤمن بوجود عالمٍ آخر، ويعتبره ضرورياً ولازماً.

ولقد أُقيمت لإثبات المعاد، وعالم الآخرة أدِلَّة نشير إلى دليلين بسيطين منها:

الدليل الأوّل: الهدفيّة. لكي يتضح هذا الدليل لاحظوا النقاط التالية.

١ ـ ليسَ هناك عملٌ من دون هدف، وكلُّ فاعلٍ يقوم بعمله يهدفِ منه الوصول إلى هَدَفٍ معيَّن.. إنّ الهدف والغاية هي التي تحرّكُ الأنسانَ نحو إتيان العمل وتدعوه إلى الجِدّية والعمل.

٢ ـ إنّه وإن لم يكن هناك عملٌ من دون هدف، ولم يكن هناك فاعلٌ يتحرك من دون غاية، ولكنّ الأهدافَ والغاياتِ ليست سواء، بل تتفاوت بتفاوتِ الأشخاص والأعمال... فكلّما كان الفاعلُ أعلمَ واكثر قدرة وأفضلَ تدبيراً وعقلاً، كانت أهدافُه أعلى وأغلى وأهمَّ.

إنَّ هدف طفل صغير في ألعابه الصبيانيّة لا يمكن أن يبلغ أبداً درجة الهدف الذي يهدفه عالِمٌ عاقلٌ خبيرٌ.

٣ ـ إنَّ أفراد البشر يتكاملون بسَبَب غايات أعمالهم ونتائجها، وبهذه الطريقة يزيلون نقصاً عن أنفسهم.

مثلاً: نحن نأكلُ الطعام عندما نحسُّ بالجوع ونشاهد نقصاً في ذاتنا، فنأكل الطعام حتّى نرفعَ النقصَ عن أنفسنا.

ولكنْ بالنّسبةِ إلى أعمالِ الله لا يصحُّ هذا المطلب، لأنَّ الله ليس ناقصاً، وليس فيه فقر ونقص حتى يزيل عن طريق «غايةِ» عَملِهِ ونتيجته ذلك النقصَ عن نفسه، ويكتمل، او يزداد كمالاً..

وعلى هذا الأساس يجب أن يُقال: إنَّ الله المتعال وإن لم يكن غير هادف في أعماله لغرض هو بحاجة اليه، ولكن نتيجة عمله لا تعود إليه ، بل تعود إلى مخلوقاته.

في الأعمال التي يفعلها الله تعالى ليس الهدف هو الانتفاع، والوصول إلى كمالٍ أكبر وأعلى.. بل إيصال النفع إلى مخلوقاته وتكميلهم.

٤ ـ إنّ الله خَلَقَ الانسان على أفضل صورة، واستخدمَ في بناء جسمه آلاف النقاط الدقيقة والجميلة، التي كلّما إزداد العلماء تحقيقاً فيها وصلوا إلى أسرار وعجائب اكثر، بحيث يمكن أن يُقال: إنَّ الله الحكيمَ جعل الجسمَ الانسانّي الصغير نموذجاً من عالَم الخلق الكبير، وإنّ العالَمَ الواسعَ العظيم قد طُوي في هذا الجرم الصغير المحدود.

الماء والتراب والهواء والنبات والحيوان والشمس والقمر والنجوم وسائر الموجودات قد خُلقت برمّتها لتأمين حاجاته.

لقد خُلِق عالَم المادّة وأُودِعَ فيه آلاف الأسرار العجيبة حتى يستفيد منها الانسان بقوة علمه وسلاح سعيه.

وقد زُوِّدَ الإنسان بقوّة التفكير العجيبة مِن أجل أن يكتشف أسرار العالَم، ويستفيد مِن ذخائره الثمينة، ويسخّر عالم المادة لصالحه.

وهكذا فبالنظر إلى هذه الأُمور فكِّر الآن هَلْ يصحُّ أن يُقال: إنّ الله الحكيمَ خَلَقَ الانسان العجيب في تركيبه، وزوّده لمواصلة حياته بجهاز الكون الماديّ العظيم

لأجل ان يعيش في هذا العالَم مدّةً قصيرةً، ويخرج نِعَمَ الله ومواهبه الجميلة في شكل آخَر.. ويأكل ويشرب وينام ثمّ يموت ويفنى بعد ذلك؟

هل يمكن أن يحتمل أحدٌ مثلَ هذا الاحتمال حول خلق الانسان؟ ولو صحَّ مثلُ هذا الاحتمال إفتراضاً ألا يكون خلقُ الانسان حينئذ لغواً وفعله عبثاً؟

إنّ عقلكم لا يصدّق مثلَ هذا الموضوع أبداً.. إنّ الله تعالى وهو القادر الحكيم منزّهٌ عن مِثل هذا العمل الباطل العابث.. إنّ العدم والفناء لا يمكن أن يكونا الغايةَ المتوخّاةَ من حياة الانسان، والنتيجة المطلوبة منها، لأنّ الوصولَ إلى الغاية من شأنها أن توصلَ إلى غايةٍ أكمل، لا أنْ تُنهيَ وجودَهُ في المآل، وتطوي ملفّ حياته في النهاية!!

إنّ عقلنا يقول لنا: إنّ الله الحكيم الغنيّ حيث لم يكن محتاجاً إلى خلق الكائنات، ولم يخلقها لينتفع بها، وحيث لا يصدر منه سبحانه أيُّ عمل عابث، ولا أيّ لغو، لذا لابدَّ أن يكون قد خلق الانسان لهدف أعلى وغاية أسمى.

لقد خَلَقَ الإنسانِ حتى يضيفَ هذا المخلوق بعيشه في هذه الحياة ـ وبواسطة العلم والعمل ـ الى كمالاته النفسية، المزيدَ والمزيدَ، ويستفيد منها في العالم الآخر بعد الموت.

وعلى هذا الأساس فإنّ حياة الانسان لا تنحصر في العيشِ القصير في هذا العالَم ليفنى بالموت ويطوي سجلَّ حياته بالمرّة، بل خُلِقَ لعالَم الآخرة الأبديّ.

إنّ عقلنا يقول لنا: لابدَّ أن يكون وراء هذا العالَم عالَمٌ آخر، ولابدّ أن تكون الفترة الدنيويّة الصعبة والقصيرة، مقدّمةً للحياة الأُخرويّة الخالدة الدائمة، والوصول إلى السعادة الحقيقية والكمال والراحة هناك.

إنّ الهَدَف الذي توخّاه اللهُ الحكيم من خلق الإنسان والعالَم هو أن يربّيَ الانسانُ نفسَه بالايمان والعقيدة والعمل الصالح والاخلاق الحَسَنة، ويكمّلها حتى يستفيد منها في العالَم الأُخرويّ والحياة الأبديّة الجميلة، ويعيش هناك في جوار عباد الله الصالحين في راحة وسعادة وهناء.

وقد أُشير في القرآن الكريم إلى هذا البرهان كذلك: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ

عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُوْنَ﴾[١].

ويقول: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾[٢].

ويقول: ﴿وما خَلَقْنا السَّماءَ والأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِيْنَ﴾[٣].

فَكِّروا واجيبوا

١ ـ هل يعمل عاقلٌ شيئاً من دون هدف؟ ولماذا؟

٢ ـ ما هو أثر الهَدَف في فاعلية الفاعل؟

٣ ـ هل أهداف جميع الاشخاص متساوية؟

٤ ـ ماذا يستنتج الأشخاصُ من أهدافهم؟

٥ ـ هل هدفُ الله من خلق العالم لشُبه هدف البشر؟

٦ ـ ما هو هدف الله من خلق الانسان والعالَم؟

٧ ـ إذا لم يكن هناك معادٌ هل يستطيع الانسان ان يجعل من حياته حياةً هادفةً وذات معنى؟

٨ ـ بَيِّنوا خلاصة هذا الدليل.

٩ ـ احفظوا الايات وتعلموا تفسيرها.

* * *

(١) المؤمنون ـ ١١٥.

(٢) القيامة ـ ٣٦.

(٣) الانبياء ـ ١٦.

الدرس الثـــاني

اثبات المعاد - الدليل الثاني

بعض أفـراد البشـر صالحـون محسنـون، أبرار طيّبون يحترمون الواجب، ويحسنون العمل.. يساعدون أبناء جنسهم. يبرّون باليتامى والفقراء والمحرومين، ذو أخلاق حسنة.. رحماء صادقون، أُمناء أوفياء.. لا يظلمون أحَداً، ولا يؤذون النّاس يحبّـون العـدل، ويعملون به.. يدافعون عن حقوق المحرومين والمستضعفين، وربما يعّرضون أنفسهم لخطر الموت في سبيل الله.. يعملون بواجباتهم بالكامل، ويجتنبون ارتكاب كلّ مخالفة بشدة.

وفريق آخر من الناس طالحون سيئون مسيئون، يظلمون الآخرين، ويعتدون على حقوق النّاس.. سيّئوا الأخلاق.. كذّابون خائنون.. لا يعملون بواجباتهم.. ولا يحترمون وظائفهم.. ولا يتورّعون عن اقتراف أيّ عمل قبيح في سبيل الوصول إلى الجاه والمنصب، والمال والثروة، واللّذة والمجون.

إنّ هذين الفـريقين من النّاس كانوا ولا يزالون، وغالباً مّا لا يرون جزاءَ أعمالهم الحسنة أو السيّئة في هذه الدنيا.

فرُبَّ أشخاص رأيناهم قَضَوا حياتهم برمّتها في طريق الظلم والعدوان، ونهب أموال النّاس والمجون والفسق، ثم يغادرون الدنيا من دون أن يَلْقَوا نتائج أعمالهم السيّئة بصورة كاملة.

ورُبّ أشخاص صالحين طيّبين، أبرار محسنين رأيناهم عاشوا في غاية العسر والشدّة، ثمّ رحلوا من هذه الدنيا من دون أن يروا ثواب أعمالهم بصورة كاملة.

بل ورُبَّ اشخـاص اجتهـدوا في صعيد الجهـاد في سبيل الله والدفاع عن المحـرومـين والمظلومين والمستضعفين، وبالغوا في مكافحة الظالمين، وتطبيق العدالة الإجتماعيّة، وضَحّوا بأنفسهم في هذا الطريق المقدّس بعد تحمّل شتّى أنواع المتاعب،

ونالوا الشهادة من دون أن يحصلوا على فائدة من هذه التضحيات.

وعلى هذا الأساس فإنّ الأشخاصَ الصالحين المحسِنين من جانب، وكذا الطالحون العُصاة من جانب آخر لا ينتهون في هذا العالم إلى جزاء أعمالهم الكامل، ولا يتميّز الصالحون عن الطالحين في هذه الدُّنيا، فهل المحسنون والمسيئون عند الله سواء؟! كلّا أبداً.. أليس هناك بعد هذا العالم عالَمٌ آخرٌ حتى يحاسَب المحسنون والمسيئون على أعمالهم، وينال كلُّ فريق جزاءه إن خيراً فخير، وإنْ شرّاً فشرّ؟

هل تستسيغ عقولُكم أن يكونَ المحسنون الأبرار الصالحون، والمسيئون الأشرار الطالحون بمنزلة سواء؟

هل تنسبون هذا الاحتمال الجائر إلى الله الحكيم؟!

إذا لم يَكن عالم آخَر بعد هذا العالَم، وحياة أُخرى وراء هذه الحياة، فعلى أيّ أمَل يُحسِنُ المحسِنون؟ ولأيّ سَبَب يجتنبون المعاصي والذنوب؟

وإذا لم يكن هناك عالمٌ آخرويٌّ، ومعاد وحساب، كيف يدعو الأنبياء النّاس إلى الخيرات، ويحذِّرونهم عن السيّئات؟

أساساً إذا لم يكن هناك آخرة ومعادٌ، ولا حساب ولا كتاب، فأيّ معنى صحيح يكون للحَسَن والسيّء؟

إذا لم يكن هناك عالم آخر، وحساب وجزاء كانت حياة الانسان في هذه الدنيا لغواً وعَبَثاً.

هل الله القادرُ العالِمُ خَلَقَنا لنعيش في هذه الدّنيا أيّاماً معدودة لنعمل ونأكل، ونشرب، ونلبس، ونستجيب للشّهوات، ثم نموت، ثمّ لا شيء، وتبقى أعمالُنا وأفعالُنا من دون حساب وجزاء؟. إنّ هذا ـ من دون ريب ـ لغوٌ، وشيءٌ مخالفٌ لعدلِ الله خالقِ الانسان والحياة.

كلّا.. لا يكون كذلك أبداً.. بل إنّ بَعدَ هذا العالم عالماً آخر يُدعى: عالم الآخرة.. هناك في ذلك العالَم يتميّز المحسنون عن المسيئين، والمطيعون عن العُصاة من النـاس.. فيذهب الأبرار المحسنون والمتديّنون إلى الجنّة، وينالون ثواب أعمالهم

الصالحة، ويعيشون في تلك الدار الأبديّة في جوار عباد الله الصالحين في غاية السَّعادة والهناء.. يرضى الله عنهم، وهم يرضَون عن حياتهم الجميله في الجنّة، وما يعطي لهم من النِعَم غير الممنونة، ويفرحون بما يمنّ عليهم سبحانه من الألطاف الربانيّة السخيّة.

ويدخل المسيئون الظالمون نار جهنّم، وينالون جزاء أفعالهم السيّئة القبيحة.. وتكون لهم حياة صعبة شقيّة جدّاً، وسيعيشون في عذاب وعناء شديدين.

وقد أُشير الى هذا البرهان في القرآن الكريم أيضاً: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِيْنَ كَالفُجّارِ﴾ (١).

ويقول: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِيْنَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ ساءَ ما يَحْكُمُون. وَخَلَقَ اللهُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (٢).

فكّروا واجيبوا

١ ـ هل الصالِحون والطالِحون سواء عند الله؟

٢ ـ هل ينال المحسنون والمسيئون جزاء أعمالهم في هذه الدنيا بصورة كاملة؟

٣ ـ إذن لم يكن ذلك فاين ينالون جزاء أعمالهم بصورة كاملة؟

٤ ـ إذا لم تكن هناك آخرة فهل يبقى للحسنة والسيّئة معنى صحيحٌ؟

٥ ـ إذا لم يكن هناك عالم آخر هل يكون للدعوة إلى الاحسان مبرر صحيحٌ؟

٦ ـ اذا لم يكن هناك عالم أُخرويّ هل تكون حياتنا مفيدة ومعقولة؟

٧ ـ أين يتميّز المحسنون عن المسيئين؟

٨ ـ أيّ جزاء يلقاه المحسنون في عالم الآخرة؟

٩ ـ ماذا يلقاه المسيئون من الجزاء يوم القيامة؟

١٠ ـ احفظوا الآيات وتعلموا تفسيرها.

---

(١) ص ـ ٢٨.

(٢) الجاثية ـ ٢١/ ٢٢.

الدرس الثـــالث

القرآن والرد على منكري المعاد

أنَّ المعاد ورجوعَ الإنسان إلى عالَم الآخرة وإن كان أمراً مسلّمًا وقطعيّاً، اتّفق عليه جميعُ الأنبياء، وأطبقت عليه جميع الأديان السماويّة، كما اثبتته البراهينُ العقليّةُ أيضا، لكنّ فريقاً مِنَ النّاس كانوا ولا يزالُون ينكرون ذلك ويرفضونَ القبول به.

يقول المنكرُون: عندما يموتُ الإنسانُ ويبلَىٰ جسمُه كيف يعود إلى الحياة مرّة أُخرى، وكيف يُحشَر؟

ان المنكرين ليس لهم أيُّ دليلٍ على النّفي، بل يستَبعِدون ذلك ويُعدّونه أمراً غير عاديّ. وقد كان الكفّارُ في عهد رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله) يَستبعدون ذلك أيضاً، فقد جاء أحدُ الكفّار بعظمٍ بالٍ، وسَحقه بيده ثمّ ذرّه على الأرض بين يدي رسول الله (ص) وقال: مَنْ يُحْيي هذِهِ العِظامَ وَهِيَ رَميمٌ؟!

فنقل القرآنُ الكريمُ هذه القصّة وقال: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيْمٌ مُبِيْنٌ. وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ. قُلْ يُحْيِيْها الَّذي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُو بِكلِّ خَلْقٍ عَلِيْمٌ. الَّذي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُوْنَ. أَوَلَيْسَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَهُوَ الخَلّاقُ الْعَلِيْمُ**﴾[1].

فيجيبُ القرآنُ الكريم على إستبعاد المنكرين للمعاد بصورتين:

الصورة الأُولى: وتعتمد على التذكير بقدرة الله تعالى. فتقول: إنّ قدرة الله مطلقة لاحدّ لها ولا نهاية.. فحيث أنّه قرّرَ المعاد، وقيام عالم الآخرة، واقتضت مشيئته سبحانه أن يعود الناس بعد موتهم إلى الحياة، والحضور يوم القيامة لأجل المحاسبة

---

(١) يس ـ ٧٧/٨١. رميم: بالي. توقدون: تشعلون النار وتتخذون الوقود.

والجزاء الأخروي، فعلت قدرته هذا العمل أيضاً، ولم يكن عاجزاً عن ذلك. فقد جاء في بعض الآيات:

﴿إلى الله مَرْجعُكُمْ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ﴾[٢].

الصّورة الثانية: آشار في آيات كثيرة إلى نماذج من خلق الموجودات، وحتى الإنسان نفسه لإثبات قدرة الله على إحياء الموتى.

﴿يا أَيُّها النّاسُ إِنْ كُنتُمْ في رَيبٍ مِنَ البَعثِ فَإِنّا خَلَقناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وغَيرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ في الأرحامِ ما نَشاءُ إلى أَجَلٍ مُسَمّى ثُمَّ نُخرِجُكُمْ طِفلاً ثُمَّ لِتَبلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُمْ مَنْ يُتَوَفّى وَمِنكُمْ مَن يُرَدُّ إلى أرذَلِ العُمُرِ لِكَيْلا يَعلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلمٍ شَيئاً وَتَرى الأَرضَ هامِدَةً فَإِذا أَنزَلْنا عَلَيْها الماءَ اهتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِنْ كلِّ زَوجٍ بَهيجٍ ذلِكَ بِأَنَ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّه يُحْيِي الْمَوْتى وَأَنّهُ عَلى كُلّ شَيءٍ قَدِيرٌ وأَنّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَأَنَّ اللهَ يَبعَثُ مَنْ في القُبُورِ﴾[٣].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى بَلى إنّه عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[٤].

﴿ذلِكَ جَزائُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآياتِنا وَقالُوا ءَإِذا كُنّا عِظاماً وَرُفاتاً ءَإِنّا لَمَبْعُوثُونَ. خَلْقاً جَدِيداً. أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّ اللهَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ قادِرٌ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأبى الظّالِمُونَ إلاّ كُفوراً﴾[٥].

---

(١) هود ـ ٤ .

(٢) القيامة ـ ٣/ ٤. البنان: أطراف الأصابع.

(٣) الحج ـ ٥/ ٧. الرّيب: الشكّ. العَلقة: الدم الجامد الذي تستحيل اليه النطفةُ عند انعقاد الولد. المضغة: قطعة لحم حمراء مخلّقة وغير مخلّقة: تامّة الخلق وغير تامة الخلق. هامدة: يابسة ميتة: ربت: انتفخت. بهيج: حَسَنٌ نضِر يدعو إلى البهجة والمسرّة والانشراح.

(٤) الاحقاف ـ ٣٣

(٥) الاسراء ـ ٩٨/ ٩٩ . الرفات: الحطام وما تناثر من كلِ شيء.

في هذه الآيات ونظائرها يشير القرآن ـ لاثبات قدرة الله على إحياء البشر بعد الموت ـ إلى عدّة شواهد ونماذج:

١ ـ إنّ الله الحكيم القادر أوجد البشر من هذه الموادّ الميتة الجامدة في الطبيعة، ووهبها الحياة.

٢ ـ إنّ ربَّ العالم بإنزال الغيث وتوفير غير ذلك من الظروف والشرائط يمنح بذور النباتات والاشجار الحياة، ويوجد منها كائناتٍ حيّةً وجديدةً بأسم النباتِ والشجرِ.

٣ ـ إنّ السّماءَ والأرضَ والشّمسَ والقمَر مخلوقةٌ لله تعالى مثل بقية المخلوقات.

وفي هذه الآيات يجيب المنكرين للمعاد الّذين يستبعدون عودة الموتى إلى الحياة هكذا: لماذا تستبعدونَ إحياءَ البشر بعد الموت، مع أنّكم تشاهدون باستمرار نشوءَ البشر الأحياء الجُدُد من هذه الموادّ الميّتة، ونشوءَ النباتات والاشجار؟ إنكمْ ترون بأستمرار تجدّدَ حياة الكَون، ولا تستبعدونَ ذلك، ومع ذلك تنكرون تجدّد حياة الانسان في يوم القيامة؟.

إنكم تعلمون أنّ الله المتعالَ أوجدَ الأرضَ والسّماءَ والشمسَ والقمَر والنجومَ من العدم، فهل يكون عاجزاً عن إحياء البشر مرّة أُخرى في القيامة؟

إنّ هذه الآيات ونظائرها هي لرفع استبعادهم، وتقريب المسألة إلى الأذهان.

ولكنّه عَمَدَ في آياتٍ أُخرى إلى حلِّ المشكلة بنحوٍ آخر إذ قال: إنّ البشرَ لا يَفْنَون بالموت حتى تستبعدوا تجدّد حياتهم، بل يبقون أحياءً، يواصِلُون حياتهم في عالم البرزخ.

﴿وَقالُوا ءَإذا ضَلَلْنا في الأرْض ءَإنّا لَفي خَلْقٍ جَدِيْدٍ، بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُوْنَ. قُلْ يَتَوَفاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ تُرجَعُوْنَ﴾[1].

---

(١) السجدة ـ ١٠/١١.

يقول العلامة الطباطبائي قدس الله سرّه الشريف في تفسير هذه الآية:

أمر الله تعالى رسوله أن يجيب عن حجتهم المبنية على الاستبعاد بأن حقيقة الموت ليس بطلاناً لكم وضلالاً منكم في الأرض بل ملك الموت الموكل بكم يأخذكم تامين كاملين من أجسادكم أي ينزع أرواحكم من أبدانكم بمعنى قطع علاقتها من الأبدان وأرواحكم تمام حقيقتكم فأنتم أي ما يعني بلفظة «كم» محفوظون لا يضل منكم شيء في الأرض وإنما تضل الأبدان وتتغير من حال إلى حال وقد كانت في معرض التغير من أول كينونتها. ثم إنكم محفوظون حتى ترجعوا إلى ربكم بالبعث ورجوع الأرواح إلى أجسادها.

وبهذا تندفع حجتهم على نفي المعاد بضلالهم سواء قررت على نحو الاستبعاد أو قررت على أن تلاشي البدن يبطل شخصية الإنسان فينعدم ولا معنى لإعادة المعدوم فإن حقيقة الإنسان هي نفسه التي يحكي عنها بقول «أنا» وهي غير البدن والبدن تابع لها في شخصيته وهي لا تتلاشى بالموت ولا تنعدم بل محفوظة في قدرة الله حتى يؤذن في رجوعها إلى ربها للحساب والجزاء فيبعث على الشريطة التي ذكر الله سبحانه[١]

إنّ هناك ـ مضافاً إلى هذه الآية ـ آياتٍ أُخرى في القرآن الكريم تدلّ على أنّ روحَ الانسان لا تفنى بالموت، بل الرّوحُ موجودٌ مجرّدٌ من المادّة ينتقل بعد مفارقة البدن من هذا العالَم إلى عالم البرزخ، ويواصلُ حياتَه البرزخيّة، مثل قوله تعالى:

﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾[٢].

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوا فِي سَبِيْلِ اللهِ أَمْواتاً بلْ أَحْياءٌ عِنْد رَبِّهِمْ يُرْزَقُوْنَ. فرِحِيْنَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِيْنَ لم يَلْحَقُواْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن. ج١٦ ص ٢٦٥.

(٢) البقرة ـ ١٥٤ .

(٣) آل عمران ـ ١٦٩/ ١٧٠ .

فمن هذه الآيات ونظائرها يستفاد أنّ أرواح الشهداء لا تفنى بعد الشهادة بل تبقى حيّةً خالدةً ترزَق عند ربّها.

ومن المسلَّم أنَّ الخلودَ والبَقاء لا يختَصّان بأرواح الشهداء بل يشملان كلّ البشر حيث يواصلون حياتهم في عالم البرزخ حتى يُعادُوا إلى حياة جديدة في القيامة للحساب والجزاء.

وعلى هذا الاساس يرتفع إشكال المنكرين للمعاد، ويَبطلُ استبعادهم بصورةٍ كاملةٍ، لأنّ الأرواح لا تفنَى ليستبعدوا إيجادها ثانيةً بل هي باقيةٌ وخالِدة، وتتجدّد حياتُها في القيامة في حياة أعلى.

إنّ مسألة تجدّدِ النفوس البَشَريّة وبقائها مسألة مهمّة جدّاً، وقد بُحِثَتْ في الكتب الفَلسَفيّة، وتمّ اثباتُها بأدلّةَ قاطعة، وَلكنّنا حيث لا يمكننا أن نتناوَلَ في هذه الرسالة المختَصرة هذا البحثَ الهامّ، لذا ستقرأونه في الكتب الأُخرى ان شاء الله تعالى.

فكّروا واجيبوا

١ ـ هل يمتلك منكروا المعاد دليلاً على نفيه؟

٢ ـ كيف يكونُ إنكار المنكرين للمعاد؟

٣ ـ كيف يجيب القرآن الكريم على استبعاد المنكرين؟

٤ ـ ما هي الشواهد التي يستدل بها لرفع الاستبعاد؟

٥ ـ وضّحوا جواب القرآن جيّداً؟

٦ ـ ماذا يقول القرآن في الجواب النهائي على المنكرين؟

٧ ـ وضّحوا كلام العلّامة الطباطبائي كاملاً؟

٨ ـ هل تفنى أرْواح البشر بالموت؟

٩ ـ تعلّموا تفسير هذه الآيات واستوعبوه جيّداً.

١٠ ـ احفظوا الآيات.

الدرس الرابـــع

المـوت والبـرزخ

الموت يعني مفارقة الروحِ البدنَ.. وانّ الانسان لا يفنى بالموت، إنما ينتقل من هذه الدنيا إلى عالَم آخر يدعى عالم الآخرة.

قال النبي صلّى الله عليه وآله: ما خُلِقتُمْ للفَنَاء بل خُلِقتُم للبَقاء، وانّما تنتقلونَ من دارٍ إلى دارٍ، وإنها في الأرض غريبة، وفي الأبدان مسجونة[1].

إنّ الموت، وانقطاع العلاقة بين الرّوح والبدن ليس سواء بالنسبة إلى جميع أفراد النّاس، بل هو سهلٌ مريحٌ بالنسبة إلى المؤمنين والمحسنين، وصعبٌ مؤلم بالنسبة إلى الكفار والعُصاة.

قيل لأمير المؤمنين عليه السلام صِفْ لنا الموت. فقال: على الخبير سقطتم؛ هو أحد ثلاثة أُمور يرد عليه: إمّا بشارة بنعيم الأبد، وامّا بشارة بعذاب الأبد وامّا تحزين وتهويلٌ وأمرٌ مبهَم، لا يدرى من أيّ الفِرَق هو، فأمّا وليّنا المطيع لأوامرنا فهو المبشّر بنعيم الأبد، وأمّا عدُّونا المخالف علينا فهو المبشَّر بعذاب الأبد، وأمّا المبهم أمرُه الّذي لا يدرى ما حاله فهو المسرف على نفسه لا يدرى ما يؤول إليه حاله يأتيه الخبر مبهمًا مخوفاً[2].

وقال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ تَرى إِذِ الظّالِمونَ في غَمَراتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائكَةِ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيرَ الحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرُوْنَ﴾[3].

إنّ روح الانسان كائن مجرّد عن الماده وآثارها، فهي تبقى بعد الموت ومفارقة

---

(١) بحار الانوار ج٦ ص ٢٤٩.

(٢) بحار الأنوار ج٦ ص ١٥٣.

(٣) الانعام ـ ٩٣.

الجسد حيّةً باقيةً تواصل حياتها، تدخل عالم البرزخ أوّلاً.. والبرزخ عالم بين الدُّنيا والآخرة. يقول الله تعالى: ﴿حَتّى إذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُوْنِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فيما تَرَكْتُ، كَلاّ إنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١].

إنّ روح الانسان بسبب ما لها من صفات وجوديّه خاصّة لا تفنى بالموت، بل هي تنتقل من هذا العالم إلى عالم البرزخ يقول القرآن الكريم:﴿وَلاتَحْسبَنَ الَّذِيْنَ قُتلُوا في سَبيلِ الله أمْواتاً بَلْ أحْياءٌ عنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٢].

وتفيدُ الأحاديثُ الواردة عن المعصومين عليهم السَّلام انّ روح الإنسان بعد مفارقتها للبَدَن تدخل بنفس صورتها الدنيويّة عالَمَ البرزخ الّذي عُبِّرَ عنه في بعض الأحاديث بلفظة «القبر».

وفي أوّل ورود الروح إلى ذلك العالَم تُطرح عليها مجموعة من الاسئلة القصيرة العامّة.

فهي تُسأَل: مَن ربّكَ الذي كنتَ تؤمن به؟ من نبيّك؟ ما هو دينك؟ مَن إمامكَ الذي كنتَ تحت ولايته وقيادته؟

إنّ الّذي كان في الدّنيا مؤمناً بالله لا يعبد سواه، وكان محسناً حسن العمل، تظهر في عالم البرزخ حقيقة إيمانه، ويجيب على هذه الأسئلة بسهولة، ثم يعيش بعد ذلك في البرزخ في راحة وأمن إلى يوم القيامة، وينعم ببعض النِعَم التي هي نموذج من نعم الجنّة.. وينتظر حلول يوم القيامة ووصول نِعَم الجنة الخالدة إليه.

أمّـا الذين لم يكونوا مؤمنين بالله وبانبيائه، وكانوا مُلحدين وعصاةً وظالمين، فيظهر باطنهم، وتبدو حقيقتهم في عالم البرزخ، ولا يمكنهم الاعتراف بالله وبالانبياء.. انّ مثل هؤلاء الاشخاص سيقيمون في عالم البرزخ في عذاب ومشقّة، إنّهم يُعذَّبون هناك بألوانٍ العذاب الّذي هو نموذج مِنَ العذاب الأُخرويّ.

---

(١) المؤمنون ـ ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢) آل عمران ـ ١٦٩ .

إنّ خصوصيّات عالَم البرزخِ يجب استلهامُها من أحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام، والتي سنشير إلى نماذج منها:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا يُسئَل في القبرُ إلّا مَن مُحِّض الإيمان مَحضاً أو محض الكفر مَحضاً، فقُلت له: فسائر الناس؟ فقال: يُلهَىٰ عنهم[١].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دَخَلَ المؤمنُ قبرَه كانت الصلاةُ عن يمينِه والزكاةُ عن يسارِه والبِّر مطلٌ عليه، قال فيتنحّى الصبرُ ناحيةً فاذا دخلَ الملكانُ اللّذان يليان مسألتَه قال الصبرُ للصّلاة والزكاة: دونكما صاحبكم فان عجزتم فانا دونه[٢].

عن علي عليه السلام قال: عذابُ القبر يكون من النميمة والبول، وعزب الرجل عن أهله[٣].

عن علي بن الحسين عليه السلام انه تلا: ﴿ومِنْ وَرائِهِمْ بَرزَخٌ إلى يَومْ يُبْعَثُونَ﴾ قال: هو القبر، وانّ لهُمْ فيه لعيشةً ضنكاً. والله إن القبرِ لروضةٌ من رياض الجنّة، أو حُفرة من حفَر النّار[٤].

أبو بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السَّلام عن أرواحِ المؤمنين فقال: في حُجُرات الجنّة يأكلون من طعامها، ويشرَبون من شرابِها، ويقولون: ربّنا أقمِ الساعةَ وأنجزْ لنا ما وَعَدتنا وألحِقْ آخرنا بأوّلنا[٥].

ويجب أن نذكر أنّ المقصود من القبر في مثل هذه الأحاديث هو عالم البرزخ.. إنّ الروحَ بعد مفارقتها البدن تنتقل إلى عالم البرزخ، وهناك تتعرّض للسؤال وتجيب؟

إنّ الضغط والعذاب، أو النعيم والسرور يحصلان في عالم البرزخ هذا أيضاً، ولو أنّ هذه الرّوايات نَسَبت هذه الأُمور إلى القبر فهو لأجل أنّ الروح لم ينقطع

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٣٥ .

(٢) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٦٥ .

(٣) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٢٢ .

(٤) بحار الأنوار ج٦ ص ٢١٤ .

(٥) بحار الأنوار ج٦ ص ٢٦٩ .

ارتباطها بالبدن بعدُ... بل العلاقة باقية، وترى الروحُ نفسَها في القبر، ويتمّ انتقال الرّوح إلى عالم البرزخ، ودفن البدن في القبر بصورة متزامنة.

السؤال والجواب في عالم البرزخ

السؤال والجواب في عالم البرزخ واقعيّان.. فالّذين يدخلون إلى عالم البرزخ يُسئَل منهم حقيقة، وهم يجيبون على الاسئلة حقيقة، ولكنّ السؤال والجواب في عالم البرزخ ليسا مثل السؤال والجواب في الدنيا.

فهم يسمعون الأسئلة واقعاً، ويجيبون عليها ولكن ليس بواسطة الأُذُن واللسان الدنيويّين، بل بواسطة أُذن ولسان باطنيين برزخيّين.

ليس من الضروريّ أن يتمَّ السؤال والجواب دائمًا بهذا اللسان، وبمخارج الحروف، وبهذه الأُذن والصماخ والطبلة.. مثلاً أنتم تتحدّثون مع أصدقائكم في المنام، وتسمعون كلامهم وتتحاورون، فهل يتمُّ كلُّ ذلك بهذه الأُذن والألسنة.. كلّا قطعاً.

بأيّ عين ترون الأشياء في المنام؟ وبأيّ أُذُن تسمعون؟ بهذه العيون والآذان؟ كلا.. قطعاً.

وقد ذكرنا النوم من باب المثال.

إنّ عالم البرزخ عالَمٌ وَاقعيٌّ حقيقيٌّ، وانّ الروح شاعرةٌ وحيّةٌ.. تسمعُ الأسئلة بأُذن باطنيّة وتجيب كذلك بألسنةٍ باطنية.

فكّروا واجيبوا

١ ـ كيف يصيرُ الانسانُ بعد الموت؟

٢ ـ هل الموت سواء بالنسبة الى الجميع؟

٣ ـ كيف يسئُل الانسان في عالم البرزخ؟

٤ ـ من هم الّذين يستطيعون أن يُظهروا حقيقة إيمانهم؟

٥ ـ مَن الذي يظهر ايمانه في البرزخ؟

٦ ـ مَن الذي يَظهر كفرهُ وسوءُ سريرته في البرزخ؟
٧ ـ هل يمكن الكذب في عالم البرزخ؟
٨ ـ كيف يعيش المؤمنون المحسنون في عالم البرزخ؟
٩ ـ كيف يعيش الكفّار والمسيئون بعد الموت؟
١٠ ـ أيّة صفةٍ تنجي الانسان في البرزخ؟
١١ ـ من أيّ شيءٍ اكثر عذاب القبر؟
١٢ ـ كيفَ يكون السؤال والجواب في عالم البرزخ؟
١٣ ـ احفظوا الآيات وتعلموا تفسيرها.

* * *

الدرس الخامس

سكـرة المـوت

إنّ مفارقة الرّوح للبدن، وقطع العلاقة بينهما ليس أمراً سهلاً، فالروح والنفس الانسـانية اتّحدت مع جسدها، وارتبطت به إرتباطاً شديداً سنواتٍ عديدة ومديدة، واهتّمت إهتماماً شديداً بحفظ الجسد وتربيته، وضمانِ رفاهه والتذاذه.. واستخَدمت كلَّ مالديها من فكرٍ وتدبير في هذا السبيل، وكانت ترى شخصيّتها الانسانيّة وكمالاتها في هذا الجسد. فاجتهدت ليل نهار في سبيل توفّر ظروف العيش الهنيء، والحياة المستقرة له، وكانت ترى سعادتها وكمالها في جمع الأموال،واقتناء الزينة والحلّي، وتحصيل المنصب والجاه، وكانت تأنس بهما، وتطمئنّ إليهما إلى حدّ العبادة.. وقد غفل عن شخصيته الروحانيّة، وحياته وسعادته المعنوية بصورةٍ كاملةٍ، ولم يعمل لضمان حاجاتها..وبكلمةٍ واحدةٍ، عمّر دنياه، ولم يعمل شيئاً لحياة الآخرة الخالدة.

إنّ مِثل هذا الانسان وبمثل هذه التّصورات والأفكار سيرى نفسَه عند الموت مضـطرّاً إلى أن يترك حصيلة سعيه الطويل، ويغادر أحبّ الاشياء الّتي تعلّق بها، ويذهب إلى منزله الأبديّ الّذي لم يرده، ولم يهيّئ له مقدماتِه ومتطلّباته اللّازمة، ومثل هذا العمل سيكون صعباً ومؤلماً جدّاً.

ولقد ورد في أحاديث المعصومين أنّ الانسان حين الموت وعند آخر لحظة من حياته ينتبه من غفلته، وتنكشف حُجُبُ الأوهام، والأفكار الباطلة عن عينيه فيشاهد أعماله السابقة مشاهدةً ويعاينها معاينة، ويرى نفسه في رحاب الموت والانتقال إلى عالم الآخرة الّذي هدّمه، فيستوحش منه، ولكنّه لا يملك إلاّ الورود فيه.

إنّ حالة الاضطراب والاندهاش الشديدة التي تعتري هذا الانسان لا يمكن وصفها، وقد عُبِّر عنها في القرآن الكريم بسكرة الموت.

قال عز وجل في القرآن الكريم:﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالحَقِّ ذٰلِكَ ما كُنْتَ

مِنْهُ تَحِيْدُ﴾[١].

﴿وَلَوْ تَرى إِذِ الظّالِمُوْنَ في غَمَراتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَقُولُونَ على اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٢].

وقد أخبروا في الأحاديث أيضاً بأحوال الانسان عند الموت، وبالمصاعب والمتاعب الواردة عليه في تلك الساعة.

وللمثال؛ قال أمير المؤمنين في نهج البلاغة: فبينا هو كذٰلِكَ على جناحٍ من فِراق الدُنيا، وتركِ الأحبّة، إذ عرضَ له عارض من غُصَصِه، فتحيّرت نوافذُ فطنته، ويبُست رطوبةُ لِسانه، فكَمْ من مهمٍّ من جوابٍ عَرِفَه فعيَّ عن رَدّه، ودعاءٍ مؤلِم بقلبه سمعه فتصامّ عنه، من كبير كان يعظمه، أو صغير كان يرحُمه، وإنّ للموت لغَمَرات هي أفضع من أن تستغرقَ بصفة أو تعتدل على عقول أهل الدنيا[٣].

وقال عليه السلام: كَيْفَ نَزَلَ بهم مّا كانُوا يَجْهَلُونَ، وَجاءَهُم مِّن فِراقِ الدُّنْيا ما كانُوا يَأمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلى ما كانُوا يُوعَدُونَ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مّا نَزَلَ بهِمْ. اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ،فَفَتَرَتْ لَها أَطْرافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَها أَلْوانُهُمْ، ثُمَّ ازْداد الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنطِقِه، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِه يَنظُرُ بِبَصَرِه، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِه ـ عَلى صحَّةٍ مِّنْ عَقْلِه وَبَقاءٍ مِّن لُبِّه ـ يُفَكِّرُ فِيم أَفْنى عُمُرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوالاً جَمَعَها. أَغْمَضَ في مَطالِبِها، وَأَخَذَها مِن مُّصَرَّحاتِها وَمُشْتَبِهاتِها، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعاتُ جَمْعِها، وَأَشْرَفَ عَلى فِراقِها: تَبْقى لِمَنْ وَّراءَهُ يَنْعَمُونَ فِيها، وَيَتَمَتَّعُونَ بها، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِه، وَالْعِبْءُ عَلى ظَهْرِه، وَالْمَرءُ قَدْ

(١) ق ـ ١٩ .

(٢) الانعام ـ ٩٣.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ـ ٢٢١ .

غَلِقَتْ رُهُونُهُ بها، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدامَةً عَلى ما أَصْحَرَ لَهُ عِندَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيما كانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيّامَ عُمُرِهِ، وَيَتَمَنّى أَنَّ الَّذِي كانَ يَغْبِطُهُ بها وَيَحْسُدُهُ عَلَيْها قَدْ حازَها دُونَهُ، فَلَم يَزَلِ الْمَوْتُ يُبالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتّى خالَطَ لِسانُهُ سَمْعَهُ[1].

مِن هذه الاحاديث ونظائرها الكثيرة يستفاد أنّ مرحلة الموت إحدى مراحل الحياة الصعبة المرّة التي يجب أن يهيّئ الانسان نفسه لها، ولكنّ هذه المرحلة أيضاً ليست سواء بالنسبة إلى جميع أفراد البشر، بل تتفاوت من إنسان إلى آخر تفاوتاً كبيراً.

وعلى الاجمال: إنّ متاعب نزع الروح، ومصاعب الموت، تناسب مقدار التعلّق بالدنيا، فكلّما كانت تعلّقات الانسان بالأمور الدنيوية أكثر، وكان أكثر غفلة عن ذكرِ الله والعالم الأخروي، كان الموت، وقطع إرتباطه بالدنيا أشدّ وأصعب، وكلّما كان أُنسه بالله والعالَم الأُخرويّ أقوى، كان موته أيضاً أسهل بنفس المقدار، حتى أنّ الموت بالنسبة إلى بعض الاشخاص لا يكون أمراً صعباً أبداً، بل يستقبلونه بمنتهى الرغبة، والمَسَرّة.

وقد جاء التصريح بهذه الحقيقة في بعض الاحاديث الشريفة أيضاً.

قيل للصادق عليه السلام : صف لنا الموت قال : للمؤمن كأطيب طيبٍ يشمّه، فينعش بطيبه، وينقطع التعب عنه، وللكافر كلسعِ الأفاعي ولدغ العقارب واشدّ![2].

قال محمّد بن علي عليه السلام: قيل لعلي بن الحسين عليهما السلام: ما الموت؟ قال: للمؤمن كنزع ثياب وسِخة قَمِلَة وفكّ قيودٍ وأغلالٍ ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطإ المراكب وآنسِ المنازل. وللكافرِ كخلع ثياب فاخِرَة والنقل عن منازل أنيسة، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأوحش المنازل وأعظم

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ـ ١٠٩.

(٢) بحار الأنوار ج٦ ص ١٧٢ .

العذاب[١].

عبد الرحيم، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: إنما احدكم حين يبلغ نَفَسهُ هاهنا ينزل عليه ملك الموت فيقول: أمّا ما كنتَ ترجو فقد أُعطيتَه،وأما ما كنتَ تخافه فقد آمنتَ منهُ؛ ويفتح له باب الى منزله من الجنة، ويقال له: أُنظر إلى مسكنك في الجنة، وانظر هذا رسول الله وعلي والحسن والحسين عليهم السّلام رفقاؤك؛ وهو قول الله: ﴿الّذين آمَنوا وكانوا يتّقون لهم البشرى في الحياة الدُنيا وفي الآخرة﴾[٢][٣].

والجدير بالذِكر أنّ ما يقال حول الإنسان المحتضر مثل: تمثُّلِ بعض الاشياء أو الأشخاص له ومشاهدتهم له، وما يدور من سؤال وجواب، وما يقع من حوار وسماع، وسكرات الموت، والإحساس بالآلام، أو الرضا والسّرور، جميعها حقائق واقعة، وليس أمراً وهميّاً، وظنّاً باطلاً، ولكنَّ جميع ذلك يرتبط بالروح المجرّدة الإنسانيّة التي تنصرفُ ـ عند الإحتضار ـ عن الأُمور الدنيويّة، وتغوصُ في نفسها وباطنها، وتقف على عتبة الدُخول إلى عالم البرزخ .

وعلى هذا فانّ سكراتِ الموت والآلام النفسيّة والروحيّة، ومشاقّ الموت، هي غير الآلام الجسديّة والعذاب البدنّي الذي يعاني منه عند الموت، وإن كان من الممكن أن تسري آثارُ الأُمور البرزخيّة إلى هذا العالم أحياناً.

فَكِّروا واجيبـوا

١ ـ ما هي العلّة في صعوبة انقطاع علاقة الروح عن البدن؟

٢ ـ لماذا يندهش الانسان عند الموت؟

٣ ـ لماذا يكون الموت سهلاً بالنسبة إلى بعض الأفراد، وصعباً شاقّاً بالنسبة إلى آخرين؟

---

(١) بحار الانوار ج٦ ص ١٥٥

(٢) بحار الأنوار ج٦ ص ١٧٧.

(٣) يونس - ٦٣ - ٦٤ .

٤ ـ كيف يكون الموت بالنسبة الى المؤمن؟

٥ ـ كيف يكون الموت بالنسبة إلى الكافر المسيئ؟

٦ ـ ما هي الأُمور التي تُقال حول الإنسان المحتضر؟

٧ ـ احفظوا الآيات وتعلموا تفسيرها.

* * *

الدرس السادس

القيـامة في القرآن الكريم

القيامةُ هو اليومُ الذي يعود فيه الموتى إلى الحياة مرّة أُخرى، وينتقلون مِن عالَم البرزخ إلى عالمٍ آخر يُدعى عالم الآخرة.

يومُ القيامة هو يوم محاسبة أعمال العباد جميعاً بصورة دقيقةٍ.. يوم فرز الصالحين عن الطالحين ويوم نيل كلٍّ من الأبرار والأشرار ثوابَ أعمالهم الحسنة أو عقاب أعمالهم السيّئة.

إنّ أصلَ المعاد والقيامة وإنْ كان أمراً قطعيّاً ثابتاً بالأدلّة والبراهين العقليّة، ولكنّ خصوصيات ذلك اليوم وتفاصيله، وأوضاعه يجب استفادتها من القرآن الكريم، ومن أحاديث النبيّ والأئمّة مِن أهل البيت صلوات الله عليهم.

ونشير ـ على سبيل المثال ـ إلى بعض الآيات القرآنيّة:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ. وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ. وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ. عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ﴾[1].

فهذه الآيات تفيد بأنّ النّظامَ الكونيّ ينتهي يوماً مّا، وعندها يقومُ يومُ القِيامة، وتعلمُ كلُّ نَفْسٍ ما قَدَّمت مِنَ الأَعْمَال وما خَلَّفَتْ مِن آثار.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ. وإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ. وإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ. وإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ. وإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ. وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[2].

فعندما تفقد الشمس والنجومُ ضوءها وتوازنها وتندكُّ الجبال.. ويحدُثُ غير ذلك

---

(١) الانفطار – ٥/١ انتثرت : تفرقت.بعثرت : قلب ترابها وبعث موتاها

(٢) التكوير – ٧/١ كورت : لُفّت ، أو طوي ضوؤها المنبسط انكدرت :ذهب صفاؤها وضوؤها. العشار: جمع عشراء وهي الناقة التي اتى عليها من وقت الحمل عشرة اشهر. سجرت : احميت واوقدت نارا . زوجت اي قرنت باجسادها أو أعمالها أو جزائها

مما تتحدَّثُ عنه الآيات تقسُّمُ الجماعةُ البشريّة إلى طوائف وفِرَق.. فهناك الصالحون. وهناكَ الطالحون.. هناك الأبرار وهناك الاشرار.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ. إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَها. وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَها. وَقَالَ الإِنْسانُ ما لَها. يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها. يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوا أَعْمالَهُمْ. فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[١].

عندما ما تقوم القيامة بزلزالٍ يعمُّ الأرض كلَّها يخرج البشر من قبورهم جميعاً. وفي ذلك اليوم يكون النّاس فِرقاً مختلفة.. صالحون، وطالحون، ليروا ما عملوه في الحياة الدنيويّة.. مهما كان مقدارُه صغيراً وحقيراً.. بل حتى ولو كان قدر ذرّةٍ من خيرٍ أو شرٍّ.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ. القارِعَةُ مَا القارِعَةُ وَما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ. يَوْمَ يَكُونُ النّاسُ كَالفَراشِ الْمَبْثُوثِ. وَتَكُوْنُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوْشِ﴾[٢].

إنَّ يوم القيامة يومٌ رهيب مهول. يومٌ يقترن بدوي عظيم يترك الناسَ حيرى مندهشين كالجرادِ المتفرّق المتبعثر.

يقول تعالى حاكياً عن الانسان انه: ﴿يَسْأَلُ أَيّانَ يَوْمُ القِيامَةِ. فاذا بَرِقَ الْبَصَرُ، وخَسَفَ الْقَمَرُ. وَجُمِعَ الشَّمْسُ والْقَمَرُ، يَقُوْلُ الإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ. كَلاّ لا وَزَرَ. إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ. يُنَبَّؤُ الإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وأَخَّرَ﴾[٣].

إنَّ موعدَ القيامة ليس محدّداً ولا معروفاً ولهذا يسألُ الانسانُ متى يكون؟ ولكنَّ هناك علائم إذا ظهرت في النّظام الكَونيّ.. يومها تقوم القيامة.. ويومَها لا يجدُ الانسانُ

---

(١) الزلزال ـ ٨/١: أثقال: جمع ثِقل والمراد ما في بطن الأرض. يصدر: يخرج. اشتات: جمع الشَتّ وأشتاتاً أي متفرقين. مثال: ما يوزَن به. ومثقال ذرّة اي زنة ذرّة. الذرّة: النملة الصغيرة أو الهباءَة.

(٢) القارعة ـ ١/ ٥ القارِعة من القرع وهو ضرب شيء على شيء بقوة، والمراد بها القيامة لانها تقرع القلوب بالفَزَع. والفَراش: جمع الفَراشَة. او الجراد. المبثوث: المنتشر. العهن: الصوف الملوَّن المنفوش: المندوف.

(٣) القيامة ـ ٦/ ١٣: أيّان: متى. خَسَف: ذهب نورُه جُمِعَ الشمس والقمر: أي ذهبا معاً او طلعا معاً. لا وزر: لا ملجأ يُلجأُ اليه يُنَبَّؤ: يُخبَر.

مفرّاً من المحكمة الآلهية.. تلك المحكمة التّي تضبُط كلَّ أفعالِ الإنسان. ما قدّمَ منها وما أخَّرَ.

﴿بِسْمِ اللهِ الـرَّحْمٰنِ الـرَّحِيْمِ. إذَا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ. لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ. خافِضَةٌ رافِعَةٌ. إذا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً. وَبُسَّتِ الْجِبالُ بَسّاً. فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثّاً﴾[١].

إنّ القيامة واقعةٌ حتمًا وهي حقيقةٌ صادقةٌ، وهي عندما تقع تخفِض أشخاصاً، وترفع آخرين بسبب أعمالهم وأفعالهم في الدنيا.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالجِبْالُ وَكانَتِ الْجِبالُ كَثِيْباً مَهِيْلاً﴾[٢].

﴿يَوْمَ تَمُوْرُ السَّماءُ مَوْراً. وَتَسِيْرُ الْجِبْالُ سَيْراً. فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِيْنَ الذِّيْنَ هُمْ فِيْ خَوْضٍ يَلْعَبُوْنَ﴾.

﴿يَوْمَ يُدَعُّوْنَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعّاً. هذِهِ النّارُ الّتي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُوْنَ﴾[٣].

سيكون ذلك اليومِ صعباً على الذين كانوا يكذّبون به وكانوا يعتبرونه قولاً هزلاً، فيلعبون ويلهون.

﴿إنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيْقاتاً. يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ فَتَأْتُوْنَ أَفْواجاً. وَفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً. وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً﴾[٤].

﴿يَومَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَماواتُ. وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهّارِ﴾[٥].

ستختلفُ قوانينُ الأرض في ذلك اليوم عمّا عليها اليومَ، ستتحّدثُ الأرض، وتشهد على الانسان بأفعاله، وسيخرج كلُّ النّاس من قبورهم للحساب.. ويكون الحاكم هو الله الواحدُ، الغالبُ أمرُه على كلّ شيء.

---

(١) الواقعة: ـ ١/٦. رجّت: حُرِّكت بعنف. بُسّت: فُتِّتَتْ. منبثاً: متفرقاً.

(٢) المزمّل ـ ١٤. الكثيب: الرمل المتراكم،مهيلاً: منشوراً بعد اجتماعه.

(٣) الطور ـ ٩/١٤ تمور: تتحرك وتضطرب. الخوض الدخول في الباطل. يُدَعُّون: يُدفَعون بعنف.

(٤) النبأ ـ ١٧/ ٢٠؛ الميقات: الوقت والموعد. الصُّور: القَرن يُنْفَخُ فيه. السراب: هو ما يرى نصف النهار كأنه ماء وليس بشيء.

(٥) ابراهيم ـ ٤٨ .

﴿وما قَدَرُوْا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرضُ جَمِيْعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ سَبْحانَهُ وَتَعالى عَمّا يُشْرِكُوْنَ. وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ الاّ مَنْ شاءَ الله ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُوْنَ﴾[1].

إنَّ الذين ينكرون القيامة استبعاداً لم يقدّروا قدرة الله وعظمته.. إنّه الحاكم المطلق الذي بيده كلُّ شيء يوم القيامة.. ذلك اليوم يحشَر فيه الناس جميعاً بَعد أن ماتوا جميعاً.. ويجدون أنفسهم قياماً بين يدي الرحمان، لا مفرّ لهم من حكومته، ولا مخلص لهم من عدله.

﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيْدُ. وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ ذلِكَ يَومُ الوَعِيْدِ. وَجاءَتْ كلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ. لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيْدٌ﴾[2].

إنّ أُولى مراحل العالم الآخر هو الموتُ الّذي يحلُّ بالإنسان رغم إرادته، ثُمَّ يقوم بعد ذلك يومُ القيامة الّذي أوعدَ الله تعالى فيه أهلَ المعصية بالعقاب واهل الاحسان بالثواب. وهناك يأتي كلُّ إنسان، ويسوقُه ملك ويقودهُ آخر، ويَرى يومذاك ما لم يكن يتوقّعه أو لم يصدّقه في هذه الدنيا.

مِن هذه الآيات ونظائرها الكثيرة يستفاد إجمالاً أنّ النّظام الكونيّ الراهن ينهار يوم القيامة، فتتقطع السماوات، وتنفطر.. الشمس تغدو مظلمة وباردة، النجوم تنكدر وتتناثر. الأرض ترتجف، وتلقي ما في باطنها خارجاً. الجبال تتحرّك وتسير، وتتحوّل إلى تلال من التراب، أو تصير في هيئة غبار متناثر، أو تفنى كالسّراب، والأرض تتبدل وتصير غير الارض.. وفي مِثل هذا الوضع تقوم القيامة، ويعود الموتى إلى الحياة مرّةً أُخرى للحساب.

وفي الاحاديث أيضاً وُصِفت القيامة بأوصاف خاصّة اخرى، نشير اليها على

---

(١) الزمر ـ ٦٧/ ٦٨ صعِقَ: مات.

(٢) ق ـ ١٩/ ٢٢. منه تحيد: تعدل عنه: حديد: حادٌّ نافذ.

سبيل النموذج في قطعة قصيرة من كلام الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

حَتّى إذا بَلَغَ ٱلْكتابُ أَجَلَهُ وَٱلأَمْرُ مَقادِيرَهُ، وَأُلْحِقَ آخِرُ ٱلْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجاءَ مِنْ أَمْرِ اللهِ ما يُرِيدُهُ: مِن تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمادَ ٱلسَّماءَ وَفَطَرَها، وَأَرَجَّ ٱلأَرْضَ وَأَرْجَفَها، وَقَلَعَ جِبالَها وَنَسَفَها، وَدَكَّ بَعْضُها بَعْضاً مِّنْ هَيْبَةِ جَلالَتِهِ، وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مَن فِيها فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ أَخْلاقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفْرِيقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِما يُرِيدُ مِن مُساءَلَتِهِمْ عَنْ خَفايَا ٱلأَعْمالِ وَخَبايَا ٱلأَفْعالِ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلى هؤُلاءِ، وَٱنتَقَمَ مِنْ هؤُلاءِ: فَأَمّا أَهْلُ ٱلطّاعَةِ فَأَثابَهُمْ بِجِوارِهِ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دارِهِ، حَيْثُ لا يَظْعَنُ ٱلنُّزّالُ، وَلا يَتَغَيَّرُ لَهُمْ ٱلْحالُ، وَلا تَنُوبُهُمُ ٱلأَفْزاعُ، وَلا تَنالُهُمُ ٱلأَسْقامُ، وَلا تَعْرِضُ لَهُمُ ٱلأَخْطارُ، وَلا تُشْخِصُهُمُ ٱلأَسْفارُ، وَأَمّا أَهْلُ ٱلْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دارٍ، وَغَلَّ ٱلأَيْدِيَ إِلَى ٱلأَعْناقِ، وَقَرَنَ ٱلنَّواصِيَ بِٱلأَقْدامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرابِيلَ ٱلْقَطِرانِ، وَمُقَطَّعاتِ ٱلنِّيرانِ، فِي عَذابٍ قَدِ ٱشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلى أَهْلِهِ، فِي نارٍ لَها كَلَبٌ وَلَجَبٌ وَلَهَبٌ ساطِعٌ، وَقَصِيفٌ هائِلٌ، لا يَظْعَنُ مُقِيمُها، وَلا يُفادى أَسِيرُها، وَلا تُفْصَمُ كُبُولُها، لا مُدَّةَ لِلدّارِ فَتَفْنى، وَلا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضى[1].

* * *

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٠٩: أماد السماء: حركّها في غير انتظام. بعد إخلاقهم: بعد أن بليت اجسادهم. لا يظعن: لايسافر ولا يرحل. لاتنوبهم الافزاع: لا تواجههم أمور مخيفة. لا تشخصهم الاسفار: لا تبعدُهم الاسفار من مكان استقرارهم. سرابيل القطران: ثياب مصنوعة من القطران وهي مادة حادة محرقة تطلى بها الابل الجرباء. الكَلَب: الهيجان. اللجب: الصوت المرتفع. القصيف: اشدّ الصوت. الكبول: القيود.

فَكِّروا واجيبوا

١ ـ كيف صوِّرت القيامة في القرآن الكريم؟
٢ ـ هل يبقى نور الشّمس يوم القيامة؟
٣ ـ كيف تصير الجبال يومذاك؟
٤ ـ كيف تصير الأرض؟
٥ ـ كيف تصير النجوم؟
٦ ـ إلى ماذا تتبدّل الأرضُ؟
٧ ـ تعلّموا تفسير هذه الآيات جيّداً.
٨ ـ استخرجوا الأوصاف المذكورة للقيامة بصورة دقيقة وسجّلوها في دفتركم.
٩ ـ إحفظوا الآيات وتعلموا تفسيرها.

* * *

الدرس السابع

صحيفة العمل

هل فكّرتَ بماضيكَ إلى الآن؟

يمكنُك أنْ تَستعيدَ في ذِهنك أعمالَكَ السابقة، وتتذكّر خواطرَها. إنّك بتذكّرك بعض أعمالك تفرح وتسرّ، كما يمكنك أن تحزن وتغتمّ وتنزعج عند تذكّرك لبعض الأعمال.

إنّ جميعَ أعمالنا ومعلوماتنا السابقة منقوشة في لوح ضميرنا ونفسِنا هكذا. ونحن وإن كان من الممكن أن ننسى بعضَها في الظاهر، ولكنّ جميعَها ثابتة وباقية في أعماق نفوسنا وبواطننا.

إنّ أعماق روحنا ونفسنا تشبه فيلمًا تصويرياً حسّاساً. بل هي أدقُّ واكثر حساسيّة وانفعالاً.

إنّها تصوّر صُوَراً من العالَم مثل ما تفعل آلةُ التصوير، وتحتفظ بها.. إنّ أنفسنا تتأثّر بأعمالنا وأخلاقِنا واعتقاداتنا أيضاً، وتحتفظ بحقائقها في ذاتها، وبسببها تسلكُ طريقَ التكامل والصعود، أو طريق الهبوط والسقوط.

إنَّ الأخلاق الحسنة تمنح النفسَ البشريةَ صفاءً ونوراً وسروراً.

بل إنّ للأعمال الحسنة والأخلاق النبيلة آثاراً جميلةً، ومُسِرّة للنفس البشرية خالدة وثابتة.

إنَّ الانسانَ المحسْنَ الذي يعمل ويسعى إلى اكتساب رضا الله، ومحبّته، ويذكر الله دائمًا ويأنس به، ويحبُّه، يربّي بالأخلاق الحسنة، والعَمل الصالح نفسَه، ويتقرّب إلى الله مركزِ الكمال والقدرة، ومنبع كلِّ جمالٍ وسرور.

وبالإيمان بالله والتوجّه إليه يُنوّر قلبَه، ويمنحه الصَّفاء، ويخطو باستمرار في طريق التكامل والصعود، وينمّي جوهرةَ إنسانيته الغالِية.

وعلى العكس من ذلك تتركُ العقائد الخاطئةُ والباطلةُ، والأخلاقُ السيّئةُ، والعملُ الرديء، آثاراً سيّئة في نفس الإنسان الطاهرة الحسّاسَة، وتلوّث أعماق روح الإنسان، وتصيب نفسَه بالظلام والكَدر، وتوجب الغمّ والحزن.

إنّ الإنسانَ الملحِدَ المسيئَ غَفَلَ عن الله، وانشغل بأمور الدنيا، قطع علاقته وصلته بالله، وتعلّق بالدنيا وملاذّها الحيوانيّة.. وانسانٌ كهذا ينحرف عن الصراط المستقيم، وعن طريق التكامل النيّر، ويسقط أسيراً في الوديان الحيوانيّة المظلمة الرهيبة.

إنَّ مثل هذا الشخص يربّي في نفسه ـ بهذه الأفكار والأعمال الشريّرة ـ خصالَ الحيوانات المفترسة، ويعمل على تكدير جوهرةِ الإنسانيةِ في ذاته، وإخماد جذوتِها ولمعانها.

ولقد صوّر الأئمة المعصومون هذه الحقيقة ـ المعروفة لدى كلّ إنسانٍ عالِمٍ يقظٍ ـ ببيانٍ مبسَّطٍ وعباراتٍ واضحةٍ هكذا:

إنّ نفسَ كلِّ إنسان كَلَوْحَةٍ نظيفةٍ بيضاء، تنمّيها الأعمالُ الحسَنة، وتُضفي عليها مزيداً من الصّفاء والجمال، والبهاء والكمال، وعلى العكس من ذلك تفعلُ الأعمالُ السيّئةُ والذُنوبُ والمعاصي، فإنّها توجدُ في النفس بُقَعاً سوداء مظلمة، وتلوّث صفحتها وتجعلها شرّيرةً. فاذا أصرَّ الإنسانُ على الذَّنب والمعصية، غطَّتْ هذه البُقع السَّوداء لوحةَ النفسِ الطاهرةِ البيضاء برمّتها، وأوجبت، ظلمةَ القلب بسبب المعاصي والقبائح التي ارتكبها هوَ، فأحرقته في الدنيا في نار الحسرة والغمّ، وفي الآخرة في نار جهنم الحارقة التي هي حصيلة افعاله، ونتيجة اعماله.

رُوي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: قَلبُ المؤمنُ أجرد، فيه سراجٌ يزهَر، وقلبُ الكافرِ أسود منكوسٌ، فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مُصقِلاتٌ للقلب، ومعصيته مسودّات له، فمن أقبل على المعاصي اسودَّ قلبُه، ومن أتبَعَ السيّئةَ بالحسَنَة، ومحى أثَرها لم يظلم قلبُه، ولكنْ ينقص نورُه، كالمرآة التي يتنفّس فيها ثمّ يمسح ثم يتنفّس ثمّ يمسح، فانّها لم تخلو عن كدورة قال الله تعالى: ﴿إنَّ الّذِينَ اتّقَوْا

إذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فإذا هُمْ مُبْصِرُوْنَ﴾[١][٢].

عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: ما مِن عبدٍ إلّا وفي قلبه نكتةٌ بَيضاء، فإذا أذنبَ ذنباً خرجَ في النكتة نكتةٌ سوداء، فإن تاب ذهبَ ذلك السواد، وإنْ تمادى في الذنوب زاد ذلك السوادُ حتى يغطّي البياضَ، فاذا غطّى البياضَ لم يرجع صاحبُه إلى خير أبداً، وهو قول الله عز وجلّ **﴿كَلّا بَلْ رانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُوْنَ﴾**[٣][٤].

عَن أبي عبدِ الله عليه السلام أنّه قال: كانَ أبي يقول: ما مِن شيء أفسد للقلب من الخطيئة، إنّ القلبَ ليواقع الخطيئةَ فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أسفلُه أعلاه، وأعلاه اسفلَه[٥].

والخلاصة أنّ جميع أعمال الإنسان ـ حسنةً كانت أو سيئة ـ تسجَّل في أعماق وجوده في صحيفة عمله، ويكتب ملائكةُ ربّنا، الذين يراقبون الانسانَ ليلَ نهار جميعَ أعمالنا وتصرّفاتنا، والله من فوقهم ناظرُ وشهيد لأعمالنا، فلا يضيع أيُّ شيء مِن أعمالنا ولا يُنسى بل يبقى جيمعها ثابتاً محفوظاً للحساب والجزاء.

يقول الله تعالى: **﴿وَكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً﴾**[٦].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أَشْتاتاً لِيُروا أَعْمالَهُمْ. فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه. وَمَنْ يَعْمَل مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾[٧].

إنّ أعمالَنا في هذه الدنيا لا تفنى، إنما تُضبَط وتُسَجَّل في سجلّ أعمالنا، وهي

---

(١) الاعراف ـ ٢٠١.

(٢) بحار الأنوار ج٧٣ ص ٣٢٨.

(٣) المطففين ـ ١٤.

(٤) بحار الأنوار ج٧٣ ص ٣٣٢.

(٥) بحار الانوار ج٧٣ ص ٣٤٨.

(٦) الاسراء ـ ١٣.

(٧) الزلزال ـ ٨/٦.

ترافقنا دائمًا، ولكننا غافلون عَنها، وعندَما تنكشف حُجُبُ الغفلة بعد الموت والإنتقال إلى عالِم الآخرة، ويظهر للأنسان باطنُه، وأعماقُ وجوده... تُفتَح أمام عيوننا صحيفةُ عملنا المدهِشة، وحينئذ نشاهدُ جميعَ أعمالنا بالعيان، ونراها حاضرةً أمامنا وكأنّنا نمارسُها في ذلك الوقت، وفي القرآن الكريم:

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ﴾[1].

﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِيْنَ مُشْفِقِيْنَ مِمّا فِيْهِ وَيَقُولُونَ ياوَيْلَتَنا ما لِهذا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيْرَةً وَلا كَبِيْرَةً إِلّا أَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[2].

إنّ الانسانَ بعد انتقاله من هذا العالم إلى عالم الآخرة ـ حسب هذه الآيات ـ ينظر إلى صحيفة عمله يوم القيامة، ويشاهدها جميعاً بعينيه ثم يخاطَبُ من قِبَل الله تعالى:

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِيْ غَفْلَةٍ عَنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[3].

في يوم القيامة الذي يحشَر فيه الإنسان للحساب، تظهر له حقيقته وينكشف له عمق وجوده، وتُفتَح امامه صحيفةُ عمله، وينظر فيها بدقّة وإمعان ويجد جميع أعماله حاضرةً دفعةً واحدة، وفي مكانٍ واحدٍ.

ولقد جاء في القرآن الكريم بيان حول تلقّي الإنسان لصحيفة عمله:

﴿فأمّا مَنْ أُوْتِي كِتابَه بِيَمِيْنِهِ فَيَقُوْلُ هاؤُمُ اقْرَأُوا كِتابِيَهْ. إِنّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ. فَهُوَ في عِيْشَةٍ راضِيَةٍ. في جَنَّةٍ عالِيَةٍ. قُطُوفُها دانِيَةٌ. كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيْئاً بِما أَسْلَفْتُمْ في الأَيّامِ الخالِيَة.

وَأَمّا مَنْ أُوْتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُوْلُ يالَيْتَني لَمْ أُوْتَ كِتابِيَهْ، وَلَمْ أَدْرِ ما

---

(١) الطارق ـ ٩.

(٢) الكهف ـ ٤٩.

(٣) ق ـ ٢٢.

حسابيَهْ. يالَيْتَها كانَت القاضِيَةُ. ما أَغْنى عَني ما لِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ. خُذُوْهُ فَغُلُّوْهُ ثُمَّ الْجَحِيْمَ صَلُّوْهُ﴾[1].

فكّروا واجيبوا

١ ـ أيُّ أثر تتركه الأعمالُ والاخلاقُ الحسنة الحميدةُ في نفس الانسان؟

٢ ـ كيف يُصفّي الانسانُ المحسنُ روحَه وقلبَه ويمنحه النورَ والصفاء؟

٣ ـ ما هي العقائدُ أو الأعمالُ التي تورثُ الروح البشرية الظلمة وتلوثُها؟ وكيف تسقط الانسان عن صراط التكامل المستقيم والمنير، وتحرّمُه من التقرّب إلى الله؟

٤ ـ كيف صَوّر القادةُ المعصومون تأثّر النفس البشرية وانفعالها بالأعمال؟

٥ ـ مضافاً إلى ثبوت أعمال الانسان في أعماق نفسه، وروحه مَن همُ الذين يراقبون تلك الأعمال ويشاهدونها؟

٦ ـ ماذا يقول العصاة يوم القيامة عندما يعاينون بأُم أعينهم صحيفة أعمالهم وتصرّفاتهم؟

٧ ـ عندما ينظر الإنسان إلى صحيفة عمله يوم القيامة، ويرى أعماله جميعها رؤية العين بماذا يخاطَب من جانب الله تعالى؟

٨ ـ في أيّ عالم تظهر للإنسان حقيقةُ وجود الإنسان بالكامل؟

٩ ـ على مَن يُطلَق «أصحابُ اليمين» (في ثقافة القرآن)؟ وماذا يقول هؤلاء عندما يواجهون صحيفة أعمالهم؟

١٠ ـ على من يطلَق «أصحابُ الشّمال» (في منطق القرآن)؟ وماذا يقول هؤلاء عند مشاهدتهم لصحيفة عملهم؟ وكيف تكون عيشتهم في الآخرة؟

١١ ـ إحفظوا الآيات وتعلموا تفسيرها جيّداً.

---

(١) الحاقة ـ ١٩/٣١.

الدرس الثامن

محاسبة الاعمال يوم القيامة

يُستفاد من آيات عديدة وروايات كثيرة أنّ العباد يحاسبَون يوم القيامة.

وعلى سبيل المثال: ﴿لله ما في السَموات وَما في الأرْض . وإنْ تُبْدُوا ما في أنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ الله فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاء وَالله عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدير﴾[1].

﴿إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ.ثُمّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ﴾[2].

﴿وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَومِ القِيامةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقال حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِيْنَ﴾[3].

﴿لِيَجْزِيَ الله كُلَّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ إِنَّ الله سَرِيْعُ الحِساب﴾[4].

﴿إِقْتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ في غَفْلَةٍ مُعْرِضُوْنَ﴾[5].

وعلى هذا الاساس تكون المحاسبة في القيامة أمراً قطعيّاً حتميّاً.. فجميعُ البشر سيُحاسَبون في اليوم الذي ينتظرهم على أعمالهم وأفكارهم، وعقائدهم واخلاقهم بصورةٍ دقيقةٍ، وفي ذلك اليَوم يتميز الأبرار عن الاشرار، ويرى الجميعُ جزاءَ أعمالهم، ولهذا سُمّي يوم القيامة: «يوم الحساب» و«يوم الفصل».

ولكن ليس للعقل سبيل إلى توضيح كيفية المحاسبة، بل يجب أن يُستفاد ذلك من الآيات القرآنية وأحاديث المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، الذين استفادوا علومَهم عن طريق الوحي.

---

(١) البقرة ـ ٢٨٤

(٢) الغاشية ـ ٢٥. إيابهم: رجوعهم .

(٣) الانبياء ـ ٤٧ .

(٤) إبراهيم ـ ٥١ .

(٥) الانبياء ـ ١ .

ويجب أنْ نعلم قبل ذلك أنّ المحاسبة في القيامة ليست لغرض كشف الواقع.. فليس الأمرُ هو أنّ الله تعالى لا يعرف بأعمال عبادِه، ويحاسبهم حتى يطّلع عليها، ويعرف بها بعد جهل، لأنّ الله تعالى عالِم بكلِ شيء حتّى أفكار عبادِهِ ونواياهم ولا يعزب عنه شيء قط.

﴿وَإن كُلاًّ لَمّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أعْمالَهُمْ إنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيْرٌ﴾(١).

﴿وَإمّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ اَو نَتَوَفَّيَنَّكَ فإلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ الله شَهِيْدٌ عَلى ما يَفْعَلُوْنَ﴾(٢).

﴿يَومَ يَبْعَثُهُمْ الله جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلوا أحْصاهُ الله وَنَسُوْهُ وَالله عَلى كُلِّ شَيءٍ شَهِيْدٌ﴾(٣).

﴿عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَهِ وَهُوَ الْحَكِيْمُ الخَبِيْرُ﴾(٤).

وعلى هذا الاساس لا يحاسَب العباد حتى ينكشف له الواقع، بل يحاسبهم حتى يقف العبادُ انفسُهم على أعمالهم، وتتمُ الحجة عليهم.

إنّهم يحاسَون حتى يلقى كلُّ واحدٍ جزاءه حسب أعمالِه، ويعلمَ بانّه عومل على اساس العدل، وانه لا مكان هناك لأيّ ظلم وحَيف.

﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُوْنَ فِيْهِ إلَىٰ الله ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾(٥).

﴿اَلْيَومَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إنَّ الله سَرِيعُ الْحِسابِ﴾(٦).

إنّ الحساب يوم القيامة يتم في مراحل وصور ثلاث:

---

(١) هود ـ ١١١.

(٢) يونس ـ ٤٦.

(٣) المجادلة ـ ٦.

(٤) الانعام ـ ٧٣.

(٥) البقرة ـ ٢٨١.

(٦) غافر ـ ١٧.

المرحلة الأُولى: مشاهدة الأعمال في صحيفة العمل.

لقد قرأتم في درس «صحيفة العمل» أن جميع أخلاق الإنسان وأعماله تثبت في صحيفة العمل، وتحفَظ في باطن ذاته، وعمق وجوده، وتنتقل مع الانسان من هذا العالم إلى عالَم الآخرة.

إنّ الإنسان غافِلٌ في هذا العالَم عن باطن ذاته وأعماله الحسنة أو السيّئة، ولكن في عالم الآخرة ـ وهو اليوم الذي تُبلى فيه السرائر ـ تنكشف الحُجُب، ويتبدّل الغيب إلى شهود، ويشاهد الإنسان جميع أعماله وعقائده وأخلاقه دفعةً واحدةً، ويقف على كلِّ ما فعله طيلة أيّام عُمُره الدنيويّ.

﴿وَكُلَّ إِنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً. إِقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيْباً﴾[1].

﴿وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيْدٌ. لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيْدٌ﴾[2].

﴿وَتَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِها الْيَومَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ. هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ﴾[3].

في هذه المرحلة يوكل أمر الحساب إلى عهدة العباد أنفسِهم، حيث انهم مع مشاهدة صحيفة العمل يقفون على نتيجة أعمالهم الدنيوية، ويقال: **﴿إِقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيْباً. هنا يقول الإنسان متعجباً: ياوَيْلَتَنا ما لِهذا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيْرَةً وَلا كَبِيْرَةً إِلاّ أَحْصاهَا وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾**[4].

---

(١) الاسراء ـ ١٣/١٤. طائره: كتابه .

(٢) ق ـ ٢١/٢٢ .

(٣) الجاثية ـ ٢٨/٢٩ . جاثية: باركة على الرُكَب. نستنسخ: نكتب.

(٤) الكهف ـ ٤٩.

المرحلة الثّانية: السؤال

يستفاد من الآيات والأحاديث الكثيرة أنّ العباد يخاطَبون يوم القيامة ويُسألون..

وعلى سبيل المثال:

﴿وإنَّهُ لذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[١].

﴿هَذا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ. اُحْشُرُوا الَّذينَ ظَلَمُوا وَأَزْواجَهُمْ وَما كانُوا يَعْبُدُوْنَ. مِنْ دُوْنِ اللهِ فَاهْدُوْهُمْ إلى صِراطِ الْجَحِيْمِ. وَقِفُوْهُمْ إنَّهُمْ مَسْؤُوْلُون﴾[٢].

﴿ثُمَّ لَتُسأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيْمِ﴾[٣].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ عَمّا كَانُوا يَعْمَلُوْنَ﴾[٤].

قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: لا تَزولا قدما عبد يومَ القيامة حتى يُسأَلَ عن أربع: عن عُمره فيما أفناهُ، وعن شبابه فيما أبلاهُ، وعن مالِه من أين كَسَبه وفيما أنفَقه، وعن حبِّنا أهل البيت[٥].

مِن هذه الآيات والاحاديث ونظائرها مايستفاد منه أنّ الله تعالى يومَ القيامة يتـولّى بنفسه أو بواسطة الملائكة مخاطبة العباد ومحاسبتهم، ويسألهم واحداً واحداً، ويسألهم حتى عن النِعم التي أُعطيت لهم، وأنهم كيف حصلوا عليها، وفي أي طريق صرفوها، وعمرهم كيفَ أفنوه، وأموالهم من اين اكتسبوها وفي ايّ سبيل صرفوها، كما يُسألون عن محبّة النبيّ وأهل بيته.. وهل قَدَّروا نعمة النبّوة والولاية وهدايات النبيّ وأهل بيته وإرشاداتهم وأطاعوهم ام لا؟

---

(١) الزخرف ـ ٤٤

(٢) الصافات ـ ٢١/ ٢٤ .

(٣) التكاثر ـ ٨ .

(٤) الحجر ـ ٩٢ .

(٥) بحار الأنوار ج٧ ص ٢٥٨.

ويجيب المؤمنون المحسنون على هذه الأسئلة بخير صورةٍ طبقاً لفطرتهم الطاهرة، وحتى لو أنّهم ارتكبوا معصية أو تقصيراً إعترفوا بتقصيرهم وقصورهم، فيصفى حسابهم، ويتّضح أمرهم.

إمّا الكفار والعُصاة الذين إعتادوا على المعصية والكذب، وكتمان الحق، فيمتنعون من الإعتراف بالمعصيَة، بل يُنكرها بعضُهم.. وفي مثل هذه الحالة تنطق جوارحُهم وأعضاؤُهم، وحتى الأرض التي عَصَوا عليها تشهد عليهم.

يقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَتُكَلِّمنَا أَيْدِيْهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

﴿حَتّى إِذَا مَا جَاؤُوها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وأَبْصارُهَمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ. وَقالُوا لِجُلُوْدِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا: أَنْطَقَنَا الله الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ﴾[2].

مِن هذه الآيات ونظائرها يستفاد أنّ أعضاء الانسان وجوارحه تمتلك ـ بقدر وجودها ـ شعوراً وإدراكاً أيضاً، فتسَجِّل وتضبط كلَّ ما يعمله الانسان في الدنيا، وتشهد به في الآخرة.

فكِّروا واجيبوا

١ ـ ما هو المقصود من محاسبة العباد يوم القيامة؟

٢ ـ كيف يحاسَب الانسان أعمالَه بنفسه؟

٣ ـ ما هو غرض الله من مساءلة عباده؟

٤ ـ عن ماذا يسئل الانسان يوم القيامة؟

٥ ـ كيف يجيب المؤمنون المحسنون؟

٦ ـ ماذا يعمل العصاة والاشرار يوم القيامة؟

---

(١) يس ـ ٦٥. نختم: نطبع

(٢) فصلت ـ ٢٠/٢١.

٧ ـ ما الذي يشهد على الانسان؟

٨ ـ كيف تقدِرُ أعضاء الإنسان وجوارحه على الشهادة؟

٩ ـ تعلّموا تفسير هذه الآيات جيّداً.

١٠ ـ احفظوا الآيات.

* * *

الدرس التاسع

الميزان

المـرحلَةُ الثـالثة من مراحل المحاسبة يومَ القيامة هي وزنُ الأعمال، حيَث يُستفاد من آيات القرآنِ الكريم، وأحاديث المعصومين انه يستظهر اسم يوم القيامة من «الميزان» الذي ينصب لاحتساب أعمال العباد، حيث يتُمّ فيه وزنُ أعمالِ العباد مع رعاية منتهى العَدل والانصاف، ومن باب المثال، يقول القرآنُ الكريمُ:﴿وَنَضَعُ الْمَوازِيْنَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِيْنَ﴾[1].

في القيامة توزَن أعمالُ النّاس وأخلاقهم كلُّها بصورةٍ دقيقةٍ، تُحسَب الحسنات والسيئات ويقاسان به، فاذا رَجُحَتْ حسناتُ الشخصِ على سيّئاته أفلَحَ ونجى، واذا رجُحَت سيّئاتُه على حسناته شقِيَ وأُصيب بالعذاب.

قال تعـالى في القـرآن الكريم: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِيْنُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفلِحُوْنَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوازِيْنُهُ فَأُوْلئِكَ الَّذِيْنَ خَسِرُوا أَنْفسَهُمْ بِما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُوْنَ﴾[2].

﴿فَأَمّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِيْنُهُ.فَهُوَ فِيْ عِيْشَةٍ راضِيَةٍ.وَأَمّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِيْنُهُ.فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ.وَما أَدْراكَ ما هِيَهْ. نارٌ حامِيَةٌ﴾[3].

إنّ الّذي ثَقُلت كفةُ حسناته، وفاقَت على سيّئاته فهو سيحصل على حياة هنيئة سعيدة ترضيه، وأمّا الّذي ثقلت كفةُ سيّئاته، وفاقت على حسناته فسيُؤخذ به إلى النار الحامية.. يهوي فيها، ويعذَّب بلهيبها المحرِق.

---

(١) الانبياء ـ ٤٧.

(٢) الاعراف ـ ٨ .

(٣) القارعة ـ ١١/٦.

وعلى هذا الأساس فإنَّ أصلَ وجود «الميزان» ووزن الأعمالِ أمرٌ قطعيٌّ بدليل الايات والأحـاديث ولكنّ البحثَ هو في حقيقة «الميزان» وكيفية الوزن إنّ الميزان عبارة عن الشيء الذي توزَن به الأشياء ، وهو مختلِف بحسب اختلاف الأزمِنة والأمكِنة والأشياء الموزونة.

إنّ الموازين التي تُستخدَم في هذا العصر لِوَزن الأشياء تختلف عن الموازين في الازمنـة السـابقـة اختلافاً كبيراً، وهكذا تختلف الأشياء الموزونة ايضاً. إنّ الميزان المستخدَم لِوَزنِ الأشياء الثقيلة على نحوٍ يختلف عن الموازين التي توزَنُ به الأشياء مِن نوع آخر. مثل المقياس الحراري لمعرفة برودة وسخونة الجو، والشاقول المستخدم في البناء، والمسطرة الخاصة بالخطوط، والعروض الشعرية، والعقل لتشخيص الصحيح والباطل في العُلوم والمُدركات. فكلّ هذه موازين ولكن يستفاد منها في موارد مختلفة.

إنّ ميزان القيامة هو أيضاً ميزانٌ حقيقةً ولكنّه بنحوٍ توزَن به العقائد والعلُوم والأفكـار والأخـلاقيّات والأعـمال. وبناءً على هذا لا يكون ذلك الميزان من نوع الموازين الدنيوية، ولهذا فسِّر الميزان في بعضِ الأحاديث بالنبيّ والإمام المعصوم.

قال هشام بن سالم: سألتُ أبا عبد الله عليه السَّلام عن قول الله عز وجلّ: ﴿ونَضَعُ المَوازِينَ القِسْط لِيَوْمِ القِيامَةِ فَلا تُظلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾[1] قال: هم الأنبياءُ والأوصياءُ[2].

ففي هذا الحديث وُصِف النبي الاكرم والأئمة المعصومون سلام الله عليهم أجمعين بأنّهم الميزان.. لأنّهم أشخاصٌ كاملُون تجسّدَت فيهُم حقيقة الدِّين وواقعيّته وتحقّقَت.. إنَّ عقـائـدهم وإيمانهم في أعلى مراتب الإيمان والاعتقاد الصحيح، وإنّ اخلاقهم في أعلى درجات الإنسانيّة الرشيدة.. لقد عرفوا الله معرفة كاملة..، وعبَدوه على أفضل وجه. وبكلمةٍ واحدةٍ: إنَّهم المِصداق الكامِل للإنسانِ المتديّن، ولهذا فهم أفضل ميزانٍ لتقييم عقائد العِباد وأخلاقهم وأعمالهم.

---

(١) الانبياء - ٤٧.

(٢) بحار الأنوار ج٧ ص ٢٤٩ .

إن صلاحَ سائر النّاس وحسنَهم إنما يكون بقدر إتباعهم للنبيّ والأئِمّة، وإنّ فسادهم كذلك إنّما هو بقدَر تخلّفهم عن سيرة النبي والأئِمّة وسلوكهم.

إنَّ قيمة عقائد كل إنسان وأخلاقِه وأعماله ووزنَها إنّما تكون بقدر تطابقها مع عقيدة النبيّ والأئمة واخلاقِهم وعملهم واقترابها منها.. فكلّما كانت أقربَ إليها كلما كانَت أكملَ، وارتقى إلى درجاتٍ أعلى وأرفع، وكلّما كانت أبعدَ، وكانت أشدَّ تعلّقاً بالدّنيا والصفات الحيوانيّة كانت أخفَّ وزناً، وأقلَّ قيمة وأنقصَ شأناً، وكانت أبعدَ من الحضرة الربوبيّة المقدسة بنفس المقدار، وأقربَ إلى وديان السّقوط والهويّ.

قال المحدّثُ الحكيمُ الفيضُ الكاشانيّ قدِّس سرُّه: ومِيزانُ كلّ شيء هوَ المعيار الذي يُعرَف به قدرُ ذلك الشّيء،. فميزانُ يومِ القيامة ما يوزَن به قدرُ كلِّ إنسان وقيمتُه على حسب عقيدتهِ وخُلُقه وعمله. لتجزى كلُّ نفسٍ بما كسبت. وليس ذلك إلّا الإمامُ المعصومُ، إذبه وباقتفاء آثاره وترك ذلك، والقرب عن طريقته والبعد عنها يُعرَف مقدارُ الناس وقدرُ حسناتهم وسيّئاتُهم، فميزانُ كلِّ أُمةِ نبيٍّ تلك الأُمّة ووصيُّ نبيّها والشريعةُ التي أتى بها، فمن ثَقُلَت موازينُه فأُولئِكَ همُ المفلحون ومن خفَّت موازينُه فأُولئك الذينَ خَسِروا أنْفسَهم[1].

وقال أيضاً: فإن الميزان هو المعيار الذي يُعرِّف قدرُ الشيء وارتفاع قدر العباد، وقبولُ أعمالهم إنّما هو بقدر محبّتهم للأنبياء والاوصياء وطاعتهم إيّاهم في أفعالهم وأقوالهم، واقتفائهم لآثارهم واستنانهم بسنتهم، و الاعتقاد فيهم بالنبوّة والإمامة، وكونهم على الحق مبعوثين من الله، منتَجَبين من لديه، إلى غير ذلك.

فالمقبول الراجح من الأعمال ما وافق أعمالهم، والمرضيّ من الأخلاق والأقوال ما طابق أخلاقهم وأقوالهم، والحقُّ من العقائد ما اقتبس منهم، والمردودُ منها ما خالف ذلك، وكلّما قرُبَ منهم قربَ من الحق، وكلّما بعُد عنهم بعُد عنه، فهم إذن موازينُ الأعمال والعلوم، وبقدر الإعتقاد فيهم يكونُ اليقين بحقيقتهم، وبِقَدَر اليقين بحقيقتهم

---

(١) قرّة العيون ص ٤٦٩ .

تكـون محبَّتُهم، وبقَـدَر محبَّتهم يكـون سلوكُ طريقتهم ومشايعتهم والصيرورة من شيعتهم، وبقَدَر سلوك طريقتهم يكون الفوزُ بلقاء الله والجنّة والكون معهم في الرفيق الأعلى، وبقدر أضدادها تكون أضداد ذلك[١].

فَكِّروا واجيبوا

١ ـ ماالدليل على أنّ ميزان القيامة ميزان حقيقي؟
٢ ـ ما هي حقيقة الميزان؟
٣ ـ ما هو ميزان القيامة؟
٤ ـ كيف توزَن أعمال العباد يوم القيامة؟
٥ ـ تعلّموا تفسير هذه الآيات جيّداً.
٦ ـ احفظوا الآيات.

* * *

(١) علم اليقين ج٢ ص ٦٠٣.

الدرس العاشر

حاسبوا انفسكم قبل القيامة

إنّ الذي يعتقد بالمعاد والحساب، وتسجيل الأعمال، وبالعقاب والثواب، ويعلم أنّه يحاسَب يومَ القيامة بصورة دقيقة، وأنّه لا يَمُرُّ أيُّ عمل مهما صغر من دون عقاب، لا يمكنه أن يتساهل في أخلاقه وأقواله وأعماله اليومية. إن مثل هذا الاعتقاد والايمان يستلزم أن يراقب صاحبُه أعماله وتصرّفاته في هذه الدنيا، وأن يراجع مثل تاجرٍ عاقلٍ حسابَ أعماله كلّ يوم وكلّ شهر وكلّ سنة. يقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتّقُوا الله وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُون**﴾[1].

قالَ عَليٌّ عليه السَّلام: حاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قبلَ أن تُحاسَبوا ووازِنوها قبلَ أن توزَنوا[2].

عن أبي الحسن الماضي عليه السَّلام قال: ليس مِنّا مَنْ لم يحاسِب نفسَه في كلّ يَوم، فان عمل حَسَناً استزادَ الله وإن عمل سيِّئاً استغفر الله وتاب إليه[3].

قال أميرُ المؤمنين عليه السلام: من حاسَبَ نفسَه ربحَ ومن غَفَل عنها خَسِرَ ومن خافَ أمِن ومن اعتبَر أبصرَ ومن أبصَرَ فَهِمَ ومن فهِمَ علم[4].

وفي وصيّة النبيّ صلّى الله عليه وآله لأبي ذر أنّه قال: يا أبا ذر حاسِبْ نفسَك قبلَ أن تحاسَب، فإنّه أهون لحسابك غداً، وزِنْ نفسَك قبل أن توزَن، وتجهَّز للعَرض الأكبر يوم لا يخفى على الله خافية (إلى أن قال:) يا أبا ذر لا يكونُ الرجل من المتقين

---

(١) الحشر ـ ١٨.

(٢) غرر الحكم ص ٣٨٥.

(٣) وسائل الشيعة ج١١ ص ٣٧٧.

(٤) وسائل الشيعة ج١١ ص ٣٧٩.

حتى يحاسِبَ نفسَه أشدَّ من محاسبة الشريك شريكَه فيعلم من أين مطعمه ومن اين مشربُه ومن اين ملبسُه؟ أمِن حلالٍ أو حرامٍ؟ يا أبا ذَرّ من لَم يبالِ من أين اكتسَب المالَ لم يبالِ الله مِن اينَ أدخله النار[١].

إنّ الإنسان في هذا العالم بمثابة تاج راس ماله العُمر المحدود، يعني تلك الساعات والأيام والاسابيع والاشهر والاعوام. إنّ هذا الرأس مال الثمين جدّاً يُستهلَك، شاء الإنسان أم أبى، وهو يقترب إلى الموت تدريجاً، فيتبدّل الشباب شيخوخةً والقوّة ضعفاً، والسلامة مرضاً، فاذا عمل لقاء عمره عملاً صالحاً، وبعَث لآخرته زاداً، لم يخسر، لأنّه ضمِنَ في مقابل صَرف عمره وشبابه سعادَته الخالدة في عالم الآخرة.

أمّا إذا أفنى راس مال عمره الثمين وشبابه وسلامته من دون أن يبعَث في مقابل ذلك عمَلاً صالحاً إلى عالم الآخرة، بل لوّث نفسَه باقتراف الذنوب، فانّه خسر اكبر خسران لا يُجبَر.

وفي الحديث النبويّ: أنّه يُفتح للعبد يومَ القيامة على كل يَوم مِن أيّام عمره أربعة وعشرون خزانة ـ عدَدَ ساعات الليل والنهار ـ فخُزانة يجدُها مملوءةً نوراً وسروراً فينالُه عند مشاهدته من الفَرَح والسُرور ما لو وُزِّعَ على أهلِ النّار لأدهشهم عن الإحساس بألم النار، وهي الساعة التي أطاع الله فيها ربّه. ثم يُفتَح له خزانة أُخرى فيراها مظلمةً منتنة مفزعة فينالُه عند مشاهدتها من الفَزَع والجزع ما لو قُسِّم على أهل الجنّة لنغَّصَ عليهم نعيمَها، وهي السّاعة التي عصى فيها ربَّه، ثم يُفتَح له خزانة أُخرى فيراها فارغةً ليس فيها ما يسرُّهُ ولا ما يسوؤه وهي الساعة التي نامَ فيها أو اشتغل فيها بشيء من مباحاتِ الدنيا، فينا لُه من الغبن والأسف على فواتها حيث كان متمكِّناً من أن يملأها حسنات ما لا يوصَف، ومن هذا قوله: ﴿ذلِكَ يوم

---

(١) وسائل الشيعة ج١١ ص ٣٧٩.

التغابن﴾[١][٢].

وعلى هذا الأساس فإنَّ كلّ من يحبّ سعادَتَه الأُخرويّة، ويخشى حسابَ يوم القيامة العسيرَ، وعقوبات الآخرة الشديدة يجب أن يراقِب نفسَه وتصرفاته في هذه الدنيا، ويحاسِب أعماله بصورةٍ دقيقة قبل حساب يوم القيامة.

يجب على الإنسان أن يعيِّن ساعةً في كلّ يوم لمحاسبة أعمالِه، وما أحسنَ أن تكون تلك الساعة عند النّوم والفراغ من جميع الأعمال اليوميّة. في تلك الساعة يختلي بنفسه في زاوية، ويفكّر فيما فعله وارتكبه طيلة يومه المنصرم، ابتداءً من أوّل ساعاته إلى آخر ساعة منه. ويفكّر ماذا فَعَلَ في تلك الساعات؟ فاذا كان قد اشتغل فيها بعمل صالح، وقضّاها في العبادة، شَكَر الله على هذا التوفيق، وعزم على أن يكون كذلك في المستقبل أيضاً. وإذا كان قد ارتكب معصية لامَ نفسَه وعاتبَها وخاطَبَها قائلاً: أيّتها النفسُ الشقيّةُ ماذا فعلتِ؟ لماذا سوّدتِ صحيفـــة عملِكِ بالـذّنب والمعصيه؟. ماذا أعددتِ لِلجَواب يومَ القيامة؟ ماذا تصنعين إذا واجهتِ العقوباتِ الأُخروية الأليمة؟ لماذا لم تستحـين مِن الله؟ لقـد أعـطاكِ الله العُمُرَ والسلامة وغيرهما من المواهب والامكانيات لتتزوَّدي منها لآخرتِكِ، ولكنّكِ بدل ذلك ملأتِ صحيفة عملِكِ بالذنوب؟

قل لنفسِـكَ: لو حَلَّ بكِ الموتُ الساعة ماذا تفعلين؟ ايتها النفس الكذّابة المنافقة؟ أنتِ تدعّين الايمان بالله والحسابَ والعقابَ فلماذا لم يكن عملكِ كذلك؟

وهكذا فالمؤمن يستغفر ثم يتوب، ويعزم على أن لا يرتكب الذنبَ مرّةً أُخرى، ويجبر ما فات منه، ويزيل ما بدر منه فيما مضى أيضاً. وإذا أحسَّ أن نفسَه تطغى، وليست مستعدّةً لترك الذنوب، يجب عليه أن يواجهها ويشتدّ في مخالفتها وعصيانها، ويجب ان يتوسَّل في الأوقات اللازمة بما يناسبها من التنبيه، مثلاً يُلزِم نفسه إذا ارتكبت معصية أن ينفقَ مالاً في سَبيل الله أو يصوم عدّة أيّام، او يمتنع عن تناول الطعام اللذيذ أو الماء البارد بصورة مؤقّتة او يقف لمدة ساعةٍ واحدةٍ تحت أشعة الشمس الحارّة.

---

(١) التغابن ـ ٩.

(٢) بحار الأنوار ج٧ ص ٢٦٢.

وعلى كل حال يجب أن يقاوم نفسَه الأمّارةَ بشدّة، وأن لا يسلِّم لها بسهولةٍ وبساطةٍ ويُسر.

وإذا كان في تلك الساعة فارغاً لم يعمل فيها خيراً ولا شرّاً عاتب نفسه أيضاً، وخاطبها قائلاً: كيف أهدرتِ هذه السّاعة التي هي رأس مالك الثمين؟! لقد كنتِ تتمكنين أن تقومي في هذه الساعة بعمل صالح وتتزوّدي لآخرتك، فلماذا فَوّتِّ هذه الفرصة الثمينة؟ إنّك ستتندّمين ذات يوم ولات حين مندم.

وهكـذا وبهذه الطريقة، وبمنتهى الدقّة يحاسبُ نفسه وجميع أعماله اليومية، ويفعل هذا كلّ يوم وبصورة منتظمة.

نعم إنّ هذا الأمر وان كان في البداية عملاً صعباً نوعاً مّا، ولكن إذا عزم، وقاوم واستقام لقي النجاح آخر الأمر وسيطر على نفسه وكبح جماحها.

إن الذي يحاسب نفسه في هذه الدنيا يسهل حسابه في الآخرة، بل قد يدخل بعض الاشخاص الجنّة من دون حسَاب.

في وصيّةٍ لأبي ذرّ قال النبيّ صلّى الله عليه وآلـه: على العاقل ان يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه وساعة يحاسب فيها نفسَه وساعة يتفكر فيما صنَع فيما صنع الله عز وجل اليه[١].

قال عليٌ عليه السَّـلام: جاهِـد نفسَـك وحاسِبْها محاسبةَ الشريك شريكَه، وطالِبْها بحقوق الله مطالبةللخَصْم، فإنَّ أسعَدَ النّاسِ مَن انتُدب لمحاسبة نفسه[٢].

قال أمـير المؤمنين عليه السلام: من حاسَب نفسَه وَقَفَ على عيوبه وأحاطَ بذنوبه فاستَقال الذنوبَ وأصلح العيوبَ[٣].

* * *

(١) بحار الانوار ج٧٠ ص ٦٤.

(٢) غرر الحكم ص ٣٧١.

(٣) غرر الحكم ص ٦٩٦.

فَكِّروا واجيبوا

١ ـ ماذا يفيد الحساب قبل يوم القيامة؟

٢ ـ كيف نحاسب أنفسنا في هذا العالم؟

٣ ـ ماذا نفعل بعد الحساب؟

٤ ـ ماذا نفعل اذا طغت النفس؟

* * *

الدرس الحادي عشر

الجَنَّةَ ونِعَمُها

لقد قرأتُم فيما مضى أنّ عالَم الآخرة عالَمٌ آخر يتّسم بخصوصيات أُخرى تختلف ـ بصورة كلّية ـ عن هذه الدنيا.. إنّ آيات القرآن والاحاديث تخبر عن وجود الحساب والسؤال والجواب والميزان في القيامة.. طبعاً لجميع هذه الأُمور حقيقة وواقع ويجب أن نؤمنَ بها جميعاً، ولكن ليس من الضروريّ أن تكون مصاديق هذه المفاهيم في عالم الآخرة عين مصاديقها الدينويّة، بل من الممكن أن تكون بنحوٍ آخر، بل وتكون اكمل بلا شك لانها من سنن العالَم الأُخرويّ.

وعلى كلّ حال إنّ علينا أن نستفيد لتعريفها ووصفها من آيات القرآن، وأحاديث المعصومين ومن جملة هذه الأُمور «الجنّة ونعيمها» و«جهنّم وعذابها» ولدينا آيات كثيرة حول الجنّة نشير إلى نماذج منها:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تجري مِن تَحْتِها الأنْهارُ كُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالُوا هذا الَّذِيْ رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مَتَشابِهاً وَلَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فيْها خالِدُونَ﴾[1].

﴿وَسارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِيْنَ﴾[2].

﴿وَالَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِيْنَ فِيْها أَبَداً لَهُمْ فِيْها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيْلاً﴾[3].

﴿قالَ الله هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّادِقِيْنَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها

---

(١) البقرة ـ ٢٥ .

(٢) آل عمران ـ ١٣٣ .

(٣) النساء ـ ٥٧.

الأَنْهارُ خالِدِيْنَ فيها رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ﴾[١].

﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِيْنَ فِيْها وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوانٌ مِنَ الله أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوزُ العَظِيْمُ﴾[٢].

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَظِلّها تِلْكَ عُقْبى الّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبى الْكافِرِيْنَ النّارُ﴾[٣].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ، أُدْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِيْنَ، وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِيْنَ لا يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ وَما هُمْ مِنها بِمُخْرَجِيْنَ﴾[٤].

﴿جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ فِيها ما يَشاؤونَ كَذلِكَ يَجْزِي الله الْمُتَّقِيْنَ. الَّذِيْنَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِيْنَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ أُدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ﴾[٥].

﴿أُولئِكَ لَهُمْ جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيْها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِيْنَ فِيْها عَلى الأَرائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾[٦].

﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٧].

﴿جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونها يُحَلَّوْنَ فِيْها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ

---

(١) المائدة ـ ١١٩ . الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة.

(٢) التوبة ـ ٧٢.

(٣) الرعد ـ ٣٥. العُقبى: العاقبة.

(٤) الحجر ـ ٤٥ / ٤٨. الغِلّ: العداوة، النصب: التعب.

(٥) النحل ـ ٣١ / ٣٢ .

(٦) الكهف ـ ٣١. اساور جمع سوار. السندس رقيق الديباج وهو الحرير المنسوج الذي يتلون ألواناً. الاستبرق: نوع راق من الحرير. الأرائك جمع أريكة وهو كلّ ما يتكأ عليه من سرير أو منصه. المرتفق: المتكأ.

(٧) السجدة - ١٧ .

فِيْها حَرِيْرٌ. وَقالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُوْرٌ. الَّذِيْ أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيْها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيْها لُغُوبٌ﴾[١].

﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُوْمٌ. فَواكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُوْنَ فِي جَنّاتِ النعيم عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِين. يُطافُ عَلَيْهِم بِكَأسٍ مِنْ مَعِيْنٍ بَيْضاءَ، لَذَّةٍ لِلشّارِبِيْنَ لا فِيْها غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُوْنَ. وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِيْنٌ. كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُوْنٌ﴾[٢].

﴿لٰكِنِ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ، وَعدَ الله لا يُخْلِفُ الله الْمِيْعادَ﴾[٣].

﴿اُدْخُلُوْا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْواجُكُمْ تُحْبَرُوْنَ. يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ فِيْها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيْها خالِدُوْنَ. وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُوْرِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤].

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِن ماءٍ غَيرِ آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشّارِبين. وَأَنهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّى وَلَهُمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَمَغفِرَةٌ من ربهم﴾[٥].

﴿فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ. لا تسْمَعُ فِيْها لا غِيَةً. فِيْها عَيْنٌ جارِيَةٌ. فِيْها سُرُرٌ مَرْفُوْعَةٌ. وَأَكْوابٌ مَرْفُوْعَةٌ. وَنَمارِقُ مَصْفُوْفَةٌ. وزَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[٦].

---

(١) فاطر ـ ٣٣/٣٥. لغوب: التعب والاعياء.

(٢) الصافات ـ ٤١/٤٩ معين: خمر طاهرة جارية غَوْل: فساد ينزفون: يسكرون قاصرات الطرف: قصر طرفهن على أزواجهن عين: واسعات العيون. مكنون: مصون محفوظ.

(٣) الزمر ـ ١٠ .

(٤) الزخرف ـ ٧٠/٧٢. تُحبَرون: تسرون سروراً واضحاً صحاف: جمع صحفة: وهي القصعة أكواب: جمع كوب وهو الكوز او القدح الذي لا عروة له.

(٥) محمد ـ ١٥. آسن: متغيّر لعارض.

(٦) الغاشية ـ ١٠/١٦. لا غية: لغواً وعبثاً. نمارق: جمع نمرقة وهي المسند مصفوفة: مرتّبة بعضها الى جانب بعض. زرابي: جمع زربية وهي البساط الفاخر. مبثوثة: مبسوطة ومفروشة.

﴿وجَزاهُم بما صَبَروا جَنَّة وحريراً مُتَّكئينَ فيها علَى الْأَرائِكِ لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً ولا زَمهَريراً. ودانيَةً عَليهم ظِلالُها وذُلِّلَت قُطُوْفُها تذليلاً. ويُطافَ عَليهِمْ بآنيةٍ منْ فِضّة وأَكْوابٍ كانَتْ قَواريرا. قَواريْر منْ فِضّةٍ قَدرُّوها تَقديْراً. ويُسقَوْنَ فِيْها كَأْساً كانَ مزاجُها زَنجَبيْلاً. عَيْناً فيها تُسَمّى سَلسَبيلاً. ويَطُوْفُ عَلَيهِمْ ولدانٌ مُخَلَّدُونَ إذا رَأَيتَهُمْ حَسبتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنثُوراً. وَإذا رَأَيتَ ثُمَّ رَأَيتَ نَعيمًا وَمُلْكاً كَبيراً. عَالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضرٌ وَإسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أساورَ منْ فِضَّةٍ وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً﴾[1].

إنّ الجنّة مثوى الموحّدين والمحسنين، وهو مكانٌ راقٍ جدّاً إلى درجة أنّنا لا يمكننا إدراكُ حقيقتها، ولا وصف نِعَمها في هذا العالَم.. وكلُّ ما قيل في هذا المجال كان بقدَر فهمنا، وقد أُدّي في قوالب هذه الالفاظ الدنيوية، وبالمفاهم المتعارفة، في حين أنّ حقيقتها ـ في الجنّة ـ أعلى وأسمى من هذه المفاهيم الدنيوية.

إنّ هناك نِعمًا في الجنة لم ترها عَين ولا سمعت بها أُذُن، ولا خطرت على قلب بشر.

إنّ الجنّة التي ورد ذكرُها في القرآن الكريم والاحاديث تعني البستان الزاخر بالاشجار، وقد وُصِفت بأنّها بستان (او بساتين) مليئة بالاشجار الخضراء الجميلة التي تجري من تحتها الأنهار ذات المياه العذبة الباردة.. تتدلى منها الفواكه المختلفة المتنوعة الجميلة من اغصانها.

إنّ فواكه الجنّة لذيذةٌ وجذّابة جدّاً وهي في متناول المؤمنين هناك كلّما اشتهى المؤمنُ شيئاً منها تدنو اليه الأغصان، وتضع ثمارها بين يديه بمنتهى الخضوع، ليأكل منها ما يشتهي يخلف الله مكانها مثلها.

وفي الجنّة هناك أنواع المشروبات اللذيذة وبوفرة كبيرة.. وفيها أنهارٌ جارية من اللَبن والعسل المصفّى والماء العذب الهنيء.. ولا يطرأ على فواكه الجنّة ومشروباتها

---

(١) الدهر ـ ١٢/٢١ زمهريراً: شديدة البرد. دانية: أي مرخاة مسدولة عليهم قطوفها: اخذ ثمارها او ما اينع من ثمارها. قوارير: كؤوس مصنوعة من الفضة مزاجها: الممزوج معها زنجبيلاً: نبات عشبي لذيذ. سلسبيلاً: اي سلس المساغ في الحلق. ثمَّ: هناك.

فسادٌ ولا تغيير، ولا تتعفّن ولا تنتن.

في الجنّة بُنيت القصور والعمارات بصورةٍ ضخمةٍ، وجميلةٍ وواسعةٍ، ومن أفضل الموادّ الإنشائية، وهي توضع تحت تصرّف المؤمنين.. وهي مفروشة بفُرُش غالية وجميلة جدّاً.

المؤمنـون يتكّئـون على كراسي وأرائـك مريحة، وهم يلبسون أفضل وأجمل الألبسة، ويحادثون الانبياء والشهداء والأئمة وعباد الله الصالحين، ويعيشون مع أزواج جميلةٍ، وحنونةٍ، لطيفةِ المعشر، ويتمتّعون بنعمة الأُنس والمودّة وأنواع الملذّات، يقوم بخـدمتهم باستمـرار غلمانٌ في منتهى الجـمال والأدب، وبانواع الوسائل الفُخمة، والادوات والأواني الجميلة الجذّابة.

إنّ الَجنـةَ مكـانٌ واسـعٌ جدّاً سعـة السّماوات والأرض بل أوسع.

الجنّة مكانُ أمنٍ واستقرار، وراحةٍ ولذّة، ومتعة.

أهلُ الجنّة إخوانٌ وأحبّةٌ، ولا مكانَ في الجنّة للشيخوخةِ، ولا للضِعف والمرَض، والموت والأذى والإنزعاج.

الجنّة مكانٌ دائمٌ وخالدٌ للمؤمنين ليعيشوا فيه إلى الأبد.

الأطعمةُ في الجنة على نحوٍ لا يوجب نشوء البول والغائط، وأشجارها من نوع آخر، وللمثال نلفت نظركم إلى الحديث التالي:

قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: إنَّ السَّخاءَ شجرةٌ مِن أشجارِ الجنّة لها أغصـانٌ متدلّيةٌ في الدُنيا، فمن كانَ سَخيّاً تعلّقَ بغصنٍ من أغصانِها، فساقهُ ذلك الغصنُ إلى الَجنّة. والبخلُ شجرةٌ من أشجار النّار، لها أغصانٌ متدلّيةٌ في الدُّنيا، فمن كانَ بخيلاً تعلَّقَ بغصنٍ من أَغْصانها، فساقَهُ ذلك الغصنُ إلى النّار[1].

أبو أيوّب الانصاري عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: ليلةَ أُسري بي مرّبي إبراهيم عليه السلام فقال: مُرْ أُمّتَكَ أن يُكثروا مِنْ غَرسِ الجنّة، فانَّ أرضها واسعةٌ

---

(١) بحار الأنوار ج٨ ص ١٧١

وتربتها طيّبة، قلتُ: وما غرسُ الجنّة؟ قال: لا حولَ ولا قوةَ إلّا بالله[١].

وبكلمةٍ واحدةٍ: يُوجَد للمؤمن في الجنة كلُّ ما يحبُّ ويشتهي «وفيه ما تَشْتهي الأنفسُ وتلذّ الاعين».

بل إنّ هناك نعمًا لم تخطر لهم ببال أصلًا «فلا تَعْلم نفسٌ ما أُخفي لهُ من قرّةِ أعْيُن» والأهمّ من ذلك رِضوان الله «ورضوانٌ من الله أكبر».

ليس جميعُ أهل الجنة في درجةٍ واحدِة، بل تختلف وتتفاضلُ درجاتُهم بتفاوت علمهم ومعرفتهم وإخلاصهم وعملهم. عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: الجنّةُ مائة درجةٍ، ما بين كلّ درجةٍ منها كما بين السماء والأرض، والفردوسُ أعلاها سموّاً واوسطُها محلّة، ومنها تتفجّر أنهارُ الجنة، فقام اليهِ رجل فقال: يارسول الله إنّي رجل حُبِّبَ إلّي الصوت فهل لي في الجنّة صوتٌ حسنٌ؟ فقال: إي والذي نفسي بيده، إنّ الله يوحي إلى شَجَرة في الجنة: أنْ أسمِعي عِباديَ الّذين اشتَغلوا بعبادتي وذِكري عَنْ عَزْفِ البرابِط والمزامِير، فترفعُ صوتاً لم يَسمَعِ الخلائق بمثله قطّ من تسبيح الربّ[٢].

قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين «الشيخ الصدوق»: إعتقادُنا في الجنّة أنها دارُ البقاء ودارُ السّلامة، لا موتَ فيها ولا هرمَ، ولا سقمَ ولا مرض، ولا آفةَ ولا زمانةَ، ولا غمَّ ولاهمّ، ولا حاجةَ ولا فقَر، وأنّها دارُ الغناء والسعادة، ودارُ المقامة والكرامة، لا يمسّ أهلُها فيها نصبٌ ولا لُغوب، لهم فيها ما تشتهي الأنفسُ وتلذّ الأعين، وهم فيها خالدونَ. وأنها دارٌ أهلُها جيرانُ الله وأولياؤُه وأحبّاؤه، وأهل كرامته، وهمْ أنواعٌ على مراتب: منهم المتنعِّمون بتقديس الله وتسبيحه وتكبيره في جملة من ملائكته، ومنهم المتنعّمون بانواع المآكلِ والمشاربِ والفواكهِ والأرائكِ وحورِ العين واستخدامِ الولدان المخلّدين والجلوس على النمارق والزرابيّ ولباس السندس والحرير، وكلٌّ منهم إنّما يتلذذ بما يشتهي ويريدُ، حسبَ ما تعلّقَتْ عليه همّتُه، ويُعطى

(١) بحار الأنوار ج٨ ص ١٤٩ .

(٢) بحار الأنوار ج٨ ص ١٩٦ .

ما عَبَدَ الله من أجله[١].

الواجبات

١ ـ احفظوا الآيات الموجودة في هذا الدرس؟
٢ ـ تعلّموا جيّداً تفسير الآيات المذكورة؟
٣ ـ صنِّفوا الآيات وعيّنوا ما ذكرَتهُ كلُ آية من أوصاف الجنة.

* * *

(١) بحار الانوار ج٨ ص ٢٠٠ نقلا عن كتاب اعتقادات الصدوق. الزمانة: مرض يجعل الانسان مقعداً لا يستطيع حراكاً.

الدرس الثاني عشر

جهنم

جَهَنّم هو المكان الّذي أُعدَّ ليكون مثوى الكفار والظالمين والمنافقين والمسيئين في عالم الآخرة، فهم سينتقلون في يوم القيامة بعد محاسبة أعمالهم إلى ذلك المكان.. إنّه مكـان سيّء جدّاً، يعـذّب فيه ساكنوه بألوان العذاب والأذى، لينالوا بذلك جزاء أعمالهم السيئة.

إنّ وضع جهنَّم وأنواع العذاب والمشاقّ التي يعاني أهلُه فيه ليس معروفاً لنا في هذا العالَم جيّداً، بل وليس قابلاً للتصوّر بصورة صحيحة وحقيقية.

إنّ عالَم الآخرة عالَم آخر، وإنّ عذابه يناسب كذلك عذاب ذلك العالَم، ولكنّنا نعلم إجمالاً أنّ ذلك المكان مكانٌ سيّءٌ ومؤلم جدّاً.

إنّ الافضل عند بيان جهنَّم وألوان العذاب فيها هو مراجعة الآيات الكثيرة والعديدة التي نذكر نماذج منها هنا:

﴿بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحاطَتْ بِهِ خَطيئتُهُ فَأُوْلئِكَ أَصْحابُ النارِ هُم فيها خالِدونَ﴾[1].

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَموالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَأُوْلئِكَ هُمْ وَقُودُ النّارِ﴾[2].

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيْهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوْقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[3].

﴿إِنَّ الْمُنافِقِيْنَ فِي الدَرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾[4].

---

(١) البقرة ـ ٨١.

(٢) آل عمران ـ ١٠.

(٣) النساء ـ ٥٦.

(٤) النساء ـ ١٤٥ الدرك: الدرجة في جهنم.

﴿لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيْمٍ وعَذَابٌ أليمٌ بما كانُوا يَكْفُرُونَ﴾[١].

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِيْنَ﴾[٢].

﴿وَالَّذِيْنَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها في سَبِيْلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أليْمٍ. يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها في نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوْقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[٣].

﴿إنّا أعْتَدْنا لِلظالِمِيْنَ ناراً أحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها وإنْ يَستَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئسَ الشَّرابُ وَساءَتْ مُرْتَفَقاً﴾[٤].

﴿انَّهُ مَنْ يَأتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيْها وَلا يَحْيى﴾[٥].

﴿إنَّكُمْ وَما تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ أنْتُمْ لَها واردُونَ. لَوْ كان هؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيها خالِدُونَ. لَهُمْ فيها زَفِيرٌ وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ﴾[٦].

﴿هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا في رَبِّهِمْ فَالَّذِيْنَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوقِ رُؤوسِهِمُ الحَمِيْمُ.يُصْهَرُ بِهِ ما في بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ.وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيْدٍ. كُلَّما أرادُوا أنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيْدُوا فِيْها وَذُوْقُوا عَذابَ الْحَرِيْقِ﴾[٧].

﴿بَلْ كَذَّبُوا بالساعَةِ وَأَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسّاعَةِ سَعِيْراً.إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيْدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً.وَإذا أُلْقُوا مِنها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِيْنَ دَعَوا هُنالِكَ ثُبُوراً.لا تَدْعُوا الْيَومَ ثُبُوراً واحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً﴾[٨].

﴿إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوْمِ طَعامُ الأثِيْمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ.

---

(١) الانعام ـ ٧٠. حميم: الماء الشديد الحرارة.

(٢) العنكبوت ـ ٥٤.

(٣) التوبة ـ ٣٤/ ٣٥.

(٤) الكهف ـ ٢٩. السرادق: الخيمة. المهل: النحاس المذاب.

(٥) طه ـ ٧٤.

(٦) الانبياء ـ ٩٨/ ١٠٠. الحصب: ما يلقى في النار لتشتعل. الزفير الصوت الناشئ من اخراج النفس.

(٧) الحج ـ ١٩ / ٢٢. يصهر: يذاب. المقامع: جمع مقمعة: شيء من حديد يُضرب به على رأس الفيل.

(٨) الفرقان ـ ١١/ ١٤. التغيّظ: الغضب الشديد. الثبور: الهلاك.

خُذُوْهُ فَاعْتِلُوهُ إلى سَواءِ الْجَحِيْمِ ثمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذابِ الْحَمِيمِ﴾[١].

﴿وَأَصْحابُ الشِّمالِ ما أَصْحابُ الشِّمالِ في سَمُومٍ وَحَمِيمٍ. وَظِلّ مِنْ يَحْمُـوْمٍ. لا بارِدٍ وَلا كَرِيمٍ. إنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُتْرَفِينَ. وَكانُوا يُصِرُّونَ عَلى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ وَكانُوا يَقُولُونَ ءَإذا مِتْنا وَكُنّا تُراباً وَعِظاماً ءَإنّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَ آباؤُنا الأَوَّلُوْنَ. قُلْ إنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إلى مِيْقاتِ يَومٍ مَعْلُومٍ ثُمَّ إنَّكُمْ أَيُّها الْضّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمالِئُونَ مِنْها الْبُطُونَ. فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ. فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ. هذا نُزُلُهُمْ يَومَ الدِّينِ﴾[٢].

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُها النّاسُ وَالْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾[٣].

﴿انَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً لِلطاغِيْنَ مَآباً . لابِثِينَ فِيْها أَحْقاباً. لا يَذُوْقُوْنَ فِيها بَرْداً وَلا شَراباً إلّا حَمِيماً وَغَسّاقاً. جَزاءً وِفاقاً. إنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً وَكَذَّبوا بآياتِنا كِذّاباً وَكُلَّ شيءٍ أحصَيْناهُ كِتاباً فَذُوْقُوا فَلَنْ نَزِيْدَكُمْ إلّا عذاباً﴾[٤].

﴿كَلّا لَيُنْبَذَنَّ في الْحُطَمَةِ وَما أَدْراكَ ما الْحُطَمَةُ. نارُ اللهِ الْمُوْقَدَةُ الّتي تَطّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ إنّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾[٥].

ولقد وصفت جهنّم وأنواع العذاب منها، في الآيات المذكورة: بأنّ:

١ ـ حَطَب جهنّم هو البشر والأصنام والمعبودات المزيَّفة.

٢ ـ انّ جلود الجهنميّين ولحومَهم تشوى في جهنم ولكنّها سرعان ما تتجدّد حتى يَذُوقوا العذاب جيّداً.

---

(١) الدخان ـ ٤٨/٤٣ . الزقوم: شجرة مرّة منتَنة. اعتلوه: جُرّوه بعنف وغلظة.

(٢) الواقعة ـ ٥٦/٤١ . سَموم: ريحٌ حارّة. مترفون: منعّمون لا هون عن الطاعة الحِنث: الذنب. الهيم: الإبل العطاش. النُّزُل: ما يُعدُّه للضيف من طعام.

(٣) التحريم ـ ٦ .

(٤) النبأ ـ ٣٠/٢١ . المرصاد: مكان يراقَب منه. المَاب: المرجَع لا بثين: مقيمين أحقابا: دهوراً. غساقا: ما يسيل من صديدهم.

(٥) الهُمَزَة: ـ ٩/٤ . لينبَذَنَّ: ليُطرحنَّ باهانة. الحطمة: النارُ التي تحطّم الاشياء مؤصدة مغلقة عمد: جمع عمود. ممدّدة: ممدودة.

٣ ـ انّ نار جهنّم مثل الخيمة تحيط بالكافرين مِنْ جميع الجهات والأطراف، وهم يَحترِقُون في النّار.

٤ ـ إنّ الذين يدّخرون الذَهب والفضة ويكْنزون أموالَهم ولا يؤدُّون حقوقها الواجبة، تذوَّب تلك الاموال في جهنَّم، وتكوى بها وجوهُ أصحابِها، وجُنوبُهم وظهورُهم.

٥ ـ انّ على أهلِ جهنّم ألبسة من نار، وهم يوضعون في السلاسل والاغلال، ثم تصبُّ الموادّ الذائبة على رؤُوسهم.

٦ ـ انّ طعامَ أهل جهنّم من شجرة اسمُها الزقُّوم، وهم يأكلون منها لشدّة جوعهم، ولكنّها تغلي في بطونهم مثل الماء الحارّ، وتتلاشى أعضاؤهم الداخلية.

٧ ـ انّ الماءَ الّذي يشربه أهل جهنّم ليس سوى الحميم الغسّاق، وقد مرّ معناهما، فكلّما طلب أهلُ جهنّم الماء من شدّة العطش يُعطَون هذا المشروب الوبيء.

٨ ـ انّ نارجهنم تغضب على ساكنيها ونازليها حتى يسَمع صوت غضبها من مكان بعيد.

٩ ـ انّ جهنم مكان ضيّق جدّاً، وانّ الجهنميين يُطرَح بعضهم على بعض بحيث يستغيثون من شدّة الضّيق.

١٠ ـ انّ جهنم تلتهب من باطن ذات الانسان ومن داخله، وتحرق روحه وقلبه.

١١ ـ ان في جهنم لا يوجَد موت، والجهنميّون يطلبون الموت من شدّة العذاب الذي يعانون منه، ولكن لا موت هناك.

١٢ ـ انّ لجهنّم دركات ومراتب مختلفة، وكلُّ فريق يوضَع في الدرَك الذي يناسبُه.

إنّ الأمور المذكورة نماذج من خصائص العذاب الذي يعذّب به في جهنّم. هذا مضافاً إلى أن جهنّم وصفت في القرآن الكريم ـ وعلى سبيل الإجمال ـ بانها مكان سيّئ ومؤلم جدّاً ، ونجد هذا النوع من التعابير والألفاظ بوفرة في الكتاب العزيز.

عذابٌ مُهين، عذابٌ أليم،عذابٌ شديد،عذابٌ عظيم،عذابُ الحريق[١] عذابٌ مقيم، عذابُ الهون[٢]، بئس المصير، بئس مثوى الظالمين. بئس المهاد، ساءت مصيراً. ذلك الخزي العظيم. عَذاب غليظ. وما يشابهها من الأوصاف والنعوت التي يوصَف بها عذاب جهنم الرهيب.

انّ لكل هذه الأوصاف والتعاريف حقيقة، والهدف منها هو بيان شدّة العذاب الاخرويّ ، وصعوبته، لكن يجب أنْ نعلم أنّ المعرفةَ الكاملةَ بالأمور الأُخرويّة ليست ممكنةً لنا في هذا العالم، لأنّ عالَم الآخرة عالم آخر يتّصف بخصائص خاصة.

إنّ العذاب الأُخرويّ لابد وان يتناسب مع ذلك العالَم أيضاً.. ولا يمكننا أن نتصوّره أفضل من هذا .

كيف يمكننا من خِلال هذِهِ الألفاظ والمفاهيم الدنيويّة، الاطّلاعُ الكاملُ على حقائق العالَم الاخر وواقعيّاته؟

وفي هذه الأوصاف والتعاريف أيضاً تُوْجَد شواهد على أنّ العذاب الأُخرويّ على نمط آخر، فقد جاء في وصف نار جهنم: ﴿**نارُ الله الْمُوْقَدَةِ الَّتي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَة**﴾. فانّه يستَفاد من هذه الآية أنّ نار جهنّم تشرف على داخل الذّات البشرية وعلى باطن روح الانسان، وتلامسُ أعماقه.

وكذا يقول: ﴿**فَاتَّقُوا النّارَ الَّتي وَقُودُها النّاسُ والحجارة**﴾ فانه يستفاد من هذه الاية أن حَطَبَ جهنَّم هو النّاس والأوثان، لا أنها نارٌ من الخارج أو أنّ نار جهنّم تشعل بموادّ أُخرى، ثم يُلقى فيها الإنسان، بل ان الإنسان نفسه هو الّذي يوقِد النّار ويكون مادة لهيبها، وهو يكون حصب جهنّم، في حين أنّ النيران الدنيويّة ليست هكذا.. إنّ نيران جهنّم ليست منفكّة عن وجود الانسان.

كما يقول تعالى: ﴿**فالّذينَ كَفَروا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثيابٌ مِنْ نارٍ**﴾. فمن هذه الاية الكريمة يستفاد أن ألبسة أهل جهنّم مصنوعةٌ من النّار، اعدت لهم وَهُيئَتْ ليلفوا بها

---

(١) الحريق: المحرق .

(٢) الهون: الذِلّة.

وليذوقوا مزيداً من العذاب.

واخيراً فمن هذه الشواهد وأمثالها يُستفاد أنّ العذابَ الأُخرويّ بشكلٍ آخر، وهو بالتّالي أشدّ وأصعب مما نتصوّر. اعاذنا الله وجميع المؤمنين منها.

الواجبات

١ ـ تعلّموا تفسير هذه الآيات جيّداً.

٢ ـ استخرجوا الأوصاف المذكورة للعذاب الأُخرويّ بصورة دقيقة وسجّلوها في دفتركم.

٣ ـ احفظوا الآيات.

* * *

الفهرس

المقدمة ٣

الدرس الاول

ثمار الايمان في الحياة (١) ٧

١ ـ الامل ٧

٢ ـ الاطمئنان الى مصير الحياة ٨

٣ ـ المعرفة بالواجب ١٠

الدرس الثاني

ثمار الإيمان في الحياة (٢) ١٣

١ ـ طمأنينة الروح ١٣

٢ ـ الصبر والاستقامة ١٥

الدرس الثالث

العالم في نظر المؤمنين ١٩

أ ـ العالم في نظر المؤمنين ١٩

ب ـ مصير الحياة في نظر المؤمن ٢٠

ج ـ خالق الكون في نظر المؤمن ٢١

د ـ الانبيّاء في نظر المؤمن ٢١

الدرس الرابع

ضرورة اختيار رؤية صحيحة عن العالم ٢٦

ماذا تعني «النظرة الى الحياة» ٢٧

ما هي الايديولوجية؟ ٢٨

وجوب التحقيق والحصول على الجواب ٢٩

أُصول «النظرة العامة الى الحياة» ٣٠

الفصل الاول

معرفة الله ٣٣

مقدمة الفصل ٣٤

الدرس الخامس

النظم والتناسق في العالم ٣٥

الدرس السادس

الله منشأ الخلق ومصدر الوجود ٣٩

الدرس السابع

اوراق النبات الخضراء او صحائف التوحيد الجميلة ٤٤

الدرس الثامن

تعلمت من كتاب العلوم ٤٦

الدرس التاسع

الجهاز الدموي والجهاز التنفسي ٥١

الدرس العاشر

دورة الماء في الطبيعة ٥٦

الدرس الحادي عشر

نظرة الى عالم الخَلق ٦٠

الفهرس ١٧٩

الدرس الثاني عشر

لكل ظاهرةٍ حادثةٍ علة ٦٥

قانون العلية ٦٦

لا ظاهرة من دون علة ٦٧

للكون علة ايضاً ٦٨

خلاصة هذا الدرس ٦٩

الدرس الثالث عشر

فطرة التوحيد أو غريزة التدين ٧٠

الدرس الرابع عشر

صفات الله ٧٣

الدليل الاول ٧٣

الدليل الثاني ٧٤

الدرس الخامس عشر

بعض صفات الكمال ٧٦

١ ـ القدرة ٧٦

٢ ـ العلم ٧٦

٣ ـ الحياة ٧٦

٤ ـ الارادة ٧٦

٥ ـ السَّمع ٧٧

٦ ـ البَصَر ٧٧

٧ ـ التكلّم ٧٧

ملاحظة ضرورية ٧٨

الدرس السادس عشر

عدل الله (١) ٨٠

الدليل الاول ٨٠
الدليل الثاني ٨١
الدرس السابع عشر
عدل الله (٢) ٨٣
خلاصة البحث وتكميله ٨٧
الدرس الثامن عشر
صفات الجلال ٨٩
١ ـ الله تعالى ليس بجسم ٨٩
٢ ـ الله غير مرئيّ ٨٩
٣ ـ الله ليس جاهلاً ٩١
الدرس التاسع عشر
طائفة اخرى من الصفات السلّبية ٩٢
٤ ـ الله ليس عاجزاً ٩٢
٥ ـ لا يكون محلاً للحوادث ٩٢
٦ ـ ليس لله مكان ٩٢
٧ ـ الله ليس محتاجاً ٩٣
٨ ـ الله ليس ظالماً ٩٤
٩ ـ ليس لله شريك ٩٤
الدرس العشرون
التوحيد والشرك ٩٦
الدرس الواحد والعشرون
الدليل على التوحيد ١٠٠
الدليل الاول ١٠٠
الدليل الثاني ١٠٢
الدرس الثاني والعشرون
الشرك ١٠٣

الفهرس ١٨١

الدرس الثالث والعشرون

مكافحة الشرك ١٠٥

الفصل الثاني

المعاد ١١٣

الدرس الاول

اثبات المعاد ـ الدليل الاول ١١٥

الدرس الثاني

اثبات المعاد ـ الدليل الثاني ١١٩

الدرس الثالث

القرآن والرد على منكري المعاد ١٢٢

الدرس الرابع

الموت والبرزخ ١٢٧

السؤال والجواب في عالم البرزخ ١٣٠

الدرس الخامس

سكرة الموت ١٣٢

الدرس السادس

القيامة في القرآن الكريم ١٣٧

الدرس السابع

صحيفة العمل ١٤٣

الدرس الثامن

محاسبة الاعمال يوم القيامة ١٤٨

المرحلة الاولى ١٥٠

المرحلة الثانية ١٥١

الدرس التاسع

الميزان ١٥٤

* * *

الدرس العاشر
حاسبوا انفسكم قبل القيامة ١٥٨
الدرس الحادي عشر
الجَنَّةَ ونِعَمُها ١٦٣
الدرس الثاني عشر
جَهَنَّم ١٧٠
وصف جَهَنَّم ١٧٢
الفهرس ١٧٧

* * *